







# الأخلاق

بَيِّنَ

الطَّبْعُ وَالنَّطَبُ

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُنْقَحَةٌ وَمُزَيَّدَةٌ

هذه الطبعة الإلكترونية  
أُضِفَ إليها التي قبلها تنصح بالنسخ منها.

تَأَلَّفَ

أَبِي حَبْرَةَ فَيْصَلُ بْنُ حَبْرَةَ قَائِدُ الْإِسْرِي

دار الإحياء  
للطبع والنشر والتوزيع  
الطبعة ٥٤٥٧٦٩

دار القلم  
لتنسيق الكتاب والدراسة والبحوث  
الطبعة ٥٤٥٧٦٩ ت : ٥٢٢٠٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب : الأخلاق بين الطبع والتطبع  
إعداد فضيلة الشيخ : فيصل بن عبده قائد الحاشدي

رقم الإيداع : ٢٠١٥/١٣٤٦٦

نوع الطباعة : ٢ لون

عدد الصفحات : ٣٥٢

القياس : ٢٤×١٧

تجهيزات فنية : مكتب دار الإيمان

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. يسري حسن

محفوظ  
جميع الحقوق

٢٠١٦

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.  
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.  
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar\_aleman@hotmail.com



## مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ تَعَشَّقُهَا الْقُلُوبُ، وَتَهْفُو إِلَيْهَا النُّفُوسُ، فَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالصَّالِحِينَ، بِهَا تُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتُرْفَعُ الْمَقَامَاتُ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا - ﷺ - لِيُتِمَّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَصَالِحَهَا، فَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ بِلِسَانِ مَقَالِهِ، وَيَدْعُوهُمْ - أَيْضًا - بِأَخْلَاقِهِ، وَكَرِيمِ فِعَالِهِ.

## قَالَ الشَّاعِرُ:

خُلِقَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْسُدُهُ عَلَى ■■■ كَرَمِ الطَّبَاعِ، وَزِينَةِ الْأَوْصَافِ  
ضَمِنَتْ لَهُ الدُّنْيَا الشَّاءَ، فَكُلَّمَا ■■■ ذَكَرُوهُ جَادَ النَّاسُ بِالْإِتِّحَافِ<sup>(١)</sup>

فَمَنْ رُزِقَ الْأَخْلَاقَ تَرَأَسَ وَسَادَ، وَأَحَبَّهُ الْعِبَادُ، وَفُتِحَتْ لَهُ الْقُلُوبُ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ أَخْلَاقٍ.

## قَالَ شَاعِرُ النَّيْلِ حَافِظُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ:

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً<sup>(٢)</sup> مَحْمُودَةً ■■■ فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ  
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ، وَذَا ■■■ عِلْمٌ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

(١) الإِتِّحَافُ: الإِهْدَاءُ.

(٢) الْخَلِيقَةُ: الْخُلُقُ، وَالْجَمْعُ خُلَاقٌ.



وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحَصَّنًا ■■■ بِالْعِلْمِ، كَانَ نَهَايَةَ الْإِمْلَاقِ <sup>(١)</sup>  
 وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ <sup>(٢)</sup> ■■■ تَعْلِيهِ، كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ  
 لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ■■■ مَا لَمْ يَتَوَجَّ رُبُّهُ <sup>(٣)</sup> بِخِلَاقِ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>

وَلَمَّا لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ مَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الدِّينِ - بَلْ هِيَ  
 الدِّينُ كُلُّهُ -؛ فَقَدْ حَاوَلْتُ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ الْآتِيَةِ أَنْ أُسَلِّطَ الضَّوْءَ عَلَى مَكَارِمِ  
 الْأَخْلَاقِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُسْتَرْشِدًا بِفَهْمِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ  
 بِإِحْسَانٍ، مُذَكِّرًا نَفْسِي أَوَّلًا، وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ ثَانِيًا بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ.

وَكِتَابِي هَذَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُقْتَبَسٌ، وَفِيهِ لِمَنْ رَامَ الْأَخْلَاقَ نِعَمَ  
 الْمُتَلَمَّسِ، وَلَكِنْ أَتَحَدَّثُ عَنْهُ، فَهُوَ أَوْلَى بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَسِّنَ أَخْلَاقَنَا، وَيُوفِّقَنَا لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي أَقْوَالِنَا، وَأَفْعَالِنَا،  
 وَنِيَّاتِنَا، إِنَّهُ نِعَمَ الْمَوْلَى، وَنِعَمَ النَّصِيرِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ  
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَتَبَهُ

أَبُو حَبْرَةَ

فِيصَلِّ بْنِ حَبْرَةَ قَائِدُ الْحَاشِرِيِّ

(١) الإِمْلَاقُ: الْفَقْرُ، يُقَالُ: أَمْلَقَ الرَّجُلُ: إِذَا افْتَقَرَ.

(٢) الشَّمَائِلُ: الْأَخْلَاقُ، مُفْرَدُهَا شِمَالٌ - بِالْكَسْرِ -.

(٣) رَبُّهُ: صَاحِبُهُ، وَالْجَمْعُ أَرْبَابٌ.

(٤) بِخِلَاقٍ - بَفَتْحِ الْخَاءِ - : أَيُّ بِنَصِيبٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

(٥) «جَوَاهِرُ الْأَدَبِ» (ص ٤٩٥).

## تصريف الأخلاق

**الأخلاق: السجّايا والطّباع.**

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:

«الْخُلُقُ - بَضْمُ اللَّامِ وَسُكُونُهَا -: الدِّينُ، وَالطَّبْعُ، وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ صُورَةُ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ، وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهُ»<sup>(١)</sup>.

**وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ:**

«وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤). وَالْجَمْعُ أَخْلَاقٌ، لَا تُكْسَرُ<sup>(٢)</sup> عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْخُلُقُ: السَّجِيَّةُ<sup>(٣)</sup>».

**وَقَالَ - أَيْضًا -:**

«الْخُلُقُ - بَضْمُ اللَّامِ وَسُكُونُهَا -: هُوَ الدِّينُ، وَالطَّبْعُ، وَالسَّجِيَّةُ<sup>(٤)</sup>».

**وَقَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ:**

«اعْلَمْ أَنَّ الْأَخْلَاقَ جَمْعُ خُلُقٍ بِضْمِ الْخَاءِ وَاللَّامِ، وَيَجُوزُ إِسْكَانُهَا (خُلُق).

(١) «النهاية» (٧٠ / ٢).

(٢) لَا تُكْسَرُ: أَي لَا تُجْمَعُ جَمْعَ تَكْسِيرٍ.

(٣) «لسان العرب» (١٠ / ٨٦-٨٧).

(٤) المرجع السابق.

قَالَ الرَّاعِبُ:

الْخُلُقُ وَالْخُلُقُ - بِالْفَتْحِ وَبِالضَّمِّ - فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كَالشَّرْبِ وَالشُّرْبِ، وَلَكِنْ خُصَّ الْخُلُقُ الَّذِي بِالْفَتْحِ بِالْهَيْئَاتِ وَالصُّوَرِ الْمُدْرَكَةِ بِالْبَصَرِ، وَخُصَّ الَّذِي بِالضَّمِّ بِالْقَوَى وَالسَّجَايَا الْمُدْرَكَةِ بِالْبَصِيرَةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْجَاحِظُ:

«الْخُلُقُ: هُوَ حَالُ النَّفْسِ، بِهَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ أَفْعَالَهُ بِلا رَوِيَّةٍ، وَلَا اخْتِيَارٍ، وَالْخُلُقُ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزَةً وَطَبْعًا، وَفِي بَعْضِهِمْ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ وَالْاجْتِهَادِ»<sup>(٢)</sup>.



(١) «شرح المواهب اللدنية» (٢٤٣/٤).

(٢) «تهذيب الأخلاق» (ص ١٢).



## الْأَخْلَاقُ بَيْنَ الطَّبْعِ وَالتَّطَبُّعِ



اختلف العلماء في حقيقة الأخلاق، فذهب بعضهم إلى أنها طبائع، جبل الإنسان على التحلي بها، وذهب آخرون إلى أنها اكتساب، يكتسبها الإنسان بالممارسة، والدربة، والمرونة.

والصواب أن منها ما هو طبع، يتفضل الله - عز وجل - على بعض خلقه، فيجبلهم عليها، ويطبعهم بها من غير كسب منهم، ولا جهد، ومن لم يؤت فهو مكلف بمجاهدة نفسه، وحملها على مكارم الأخلاق، فإن النفس قابلة لذلك.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبت لها ■■■ وإذا تردت إلى قليل تقنع<sup>(١)</sup>

ومما يدل على أن الأخلاق الفاضلة تكون طبعاً، وتكون تطبعاً - قول النبي ﷺ - لأشجع عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ، يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ». قال: «يا رسول الله، هما خلقتان تخلقتهما بهما، أم جبلني الله عليهما؟». قال: «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا». قال: «الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث:

«فهذا دليل على أن الأخلاق الحميدة تكون طبعاً، وتكون تطبعاً، ولكن

(١) «عيون الأخبار» (٢/٥٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٢٥)، وأحمد (٢٠٦/٤)، وأخرج شطره الأول مسلم (١٧)، والترمذي (٢٠١١) عن ابن عباس.

الطَّبَعُ - بِلا شَكٍّ - أَحْسَنُ مِنَ التَّطَبُّعِ؛ لِأَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ إِذَا كَانَ طَبِيعِيًّا صَارَ سَجِيَّةً لِلْإِنْسَانِ، وَطَبِيعَةً لَهُ، لَا يَحْتَاجُ فِي مُمَارَسَتِهِ إِلَى تَكْلُفٍ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي اسْتِدْعَائِهِ إِلَى عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ، وَلَكِنْ هَذَا فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ حُرِمَ هَذَا - أَيَّ مَنْ حُرِمَ الْخُلُقَ عَنْ سَبِيلِ الطَّبَعِ - فَإِنَّهُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَنَالَهُ عَنْ سَبِيلِ التَّطَبُّعِ، وَذَلِكَ بِالْمُرُونَةِ وَالْمُبَارَسَةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ - أَيْضًا - :

«وَهُنَا مَسْأَلَةٌ: وَهِيَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، رَجُلٌ جُبِلَ عَلَى خُلُقٍ حَمِيدٍ، وَرَجُلٌ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، فَأَيُّهُمَا أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنَ الْآخَرِ؟»

وَنَقُولُ جَوَابًا عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: إِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي جُبِلَ عَلَى الْخُلُقِ الْحَسَنِ أَكْمَلُ مِنْ حَيْثُ تَخَلَّقَهُ بِذَلِكَ، أَوْ مِنْ حَيْثُ وَجُودِ هَذَا الْخُلُقِ الْحَسَنِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَنَاءٍ وَلَا إِلَى مَشَقَّةٍ فِي اسْتِدْعَائِهِ، وَلَا يَفُوتُهُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَوَاطِنِ، إِذْ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَطَبْعٌ، فَفِي أَيِّ وَقْتٍ تَلْقَاهُ تَجِدَهُ حَسَنَ الْخُلُقِ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَلْقَاهُ تَجِدَهُ حَسَنَ الْخُلُقِ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ تَلْقَاهُ تَجِدَهُ حَسَنَ الْخُلُقِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَكْمَلُ بِلا شَكٍّ.

وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي يُجَاهِدُ نَفْسَهُ، وَيُرَوِّضُهَا عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ - فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُؤْجِرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ مُجَاهِدَةٍ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ كَمَالِ الْخُلُقِ أَنْقَصُ بِكَثِيرٍ مِنَ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ.

فَإِذَا رُزِقَ الْإِنْسَانُ الْخُلُقَيْنِ جَمِيعًا طَبْعًا وَتَطَبُّعًا، كَانَ ذَلِكَ أَكْمَلَ<sup>(٢)</sup>.

(١) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص ١٣).

(٢) المرجع السابق (ص ١٤).

## أهمية الأخلاق

١. أنها امتثالٌ لأمرِ الله - سبحانه وتعالى - .
٢. أنها طاعةٌ لرسولِ الله - ﷺ - .
٣. أنها سببٌ لمحبةِ الله - سبحانه وتعالى - .
٤. أنها سببٌ لمحبةِ رسولِ الله - ﷺ - .
٥. أنها أعظمُ سببٍ لدخولِ الجنةِ بعدَ تقوى الله - تعالى - .
٦. أن كمالَ الدين - بعدَ التوحيدِ - في حُسنِ الخُلُقِ .
٧. أنها أثقلُ شيءٍ في الميزانِ .
٨. أنها عبادةٌ عظيمةٌ .
٩. حصولُ الخيرِ .
١٠. أنها مِن خيرِ أعمالِ العبادِ .
١١. أنها سببٌ لتعميرِ الديارِ، وزيادةِ الأعمارِ .
١٢. أنها مِن أعمالِ أهلِ الجنةِ .
١٣. أنها سببٌ في تأييدِ الله ونصرِهِ .





## أَهَمِيَّةُ الْأَخْلَاقِ



١. أَنَّهَا امْتِنَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - ﷺ - أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ» <sup>(١)</sup>.

٢. أَنَّهَا طَاعَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَمُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» <sup>(٢)</sup>.

٣. أَنَّهَا سَبَبٌ لِمُحِبَّةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٦٦٣)، و (٤٦٤٤).

(٢) رواه أحمد (١٣٥/٥-١٥٨)، والترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧/١).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٤٧١)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠١-٣٩٩/٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٩/١)، و«الصَّحِيحة» (٤٣٣).

٤ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(١)</sup>.

٥ - أَنَّهَا أَعْظَمُ سَبَبٍ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ - تَعَالَى - :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»<sup>(٢)</sup>.

٦ - أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ - بَعْدَ التَّوْحِيدِ - فِي حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٣)</sup>.

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ، زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ»<sup>(٤)</sup>.

٧ - أَنَّهَا أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠١/١)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٢١٥/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٢٩١/٢، ٣٩٢، ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٢)، وحسن إسناده الشيخ سليم الهلالي في كتابه «مكارم الأخلاق» (ص ٥٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٢٣٠ و ١٢٣٢)، و«الصحيح» (٢٨٤).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/٢٩٤).

(٥) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢) و (٢٠٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٥٧٢١)، و«الصحيح» (٨٧٦).



٨. أَنَّهَا عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ:

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(١)</sup>.

٩. حَصُولُ الْخَيْرِيَّةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٢)</sup>.

١٠. أَنَّهَا مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ، هُمَا أَخْفُ عَلَى الظُّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟». قَالَ: «بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ». قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطَوْلِ الصِّمْتِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»<sup>(٤)</sup>.

١١. أَنَّهَا سَبَبٌ لَتَعْمِيرِ الدِّيَارِ، وَزِيَادَةِ الْأَعْمَارِ:

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «صِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ - يَعْمُرُنَ الدِّيَارَ، وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٦٢٠)، و«الصحيح» (٧٩٥).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٩) و (٣٧٥٩) و (٦٠٢٩) و (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩١)، وأحمد في «المسند» (٤/٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وهو صحيح الإسناد.

(٤) رواه البزار في «كشف الأستار» (٤/٢٢٠) عن أنس، وأبو الشيخ عن أبي ذرٍّ وأبي الدرداء، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٤٠٤٨)، وهو في «الصحيح» (١٩٣٨).

(٥) رواه أحمد (١٥٩/٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٣٧٦٧)، و«الصحيح» (٥١٩).

١٢. أنها من أعمال أهل الجنة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَنَا زَعِيمٌ<sup>(١)</sup> ببيت في رَيْضِ<sup>(٢)</sup> الجنة لمن تَرَكَ الْمِرَاءَ<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيت في وَسْطِ الجنة لمن تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَببيت في أعلى الجنة لمن حَسَنَ خُلُقَهُ<sup>(٤)</sup>» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجنةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ» . وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الضَّمُّ، وَالضَّرَجُ»<sup>(٥)</sup> . .

١٣. أنها سبب في تأييد الله ونصره:

وَصَفَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِنُزُولِ الْوَحْيِ، وَيَقُولُ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» . فَقَالَتْ: «كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا» - ثُمَّ ذَكَرَتْ سَبَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهَا - وَاللَّهُ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ<sup>(٦)</sup>، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ<sup>(٧)</sup>، وَتَقْرِي الضَّيْفَ<sup>(٨)</sup>، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ<sup>(٩)</sup>» .

(١) زعيم: ضامن، وكفيل، والجمع زعماء.

(٢) رَيْضُ الجنة - بفتحتين -: أدها. ورَيْضُ المدينة: ما حَوْلَهَا، والجمع: أَرْبَاضٌ، ورَبُوضٌ.

(٣) المِرَاء: أصله من مَرِيتُ النَّاقَةَ: إِذَا اسْتَخْرَجْتَ مَا فِي ضَرْعِهَا، وَهُوَ الْمَنَازَعَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِقَصْدِ الْبَاطِلِ، فَإِذَا كَانَ بِقَصْدِ الْحَقِّ فَهُوَ جَدَالٌ.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٤٦٤)، و«الصحيح» (٢٧٣).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) الْكَلَّ - بالفتح -: الْعِيَالُ. وَتَحْمِلُ الْكَلَّ: أَي عَنْ صَاحِبِ الْعِيَالِ وَالْفَاقَةِ، فَتُعْطِيهِ مَا يُرِيحُهُ مِنْ ثِقَلِ مُؤَنَةِ عِيَالِهِ.

(٧) تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ: تَبَادُرُ إِلَى إعْطَاءِ الْفَقِيرِ، فَتَكْسِبُ حَسَنَتَهُ قَبْلَ غَيْرِكَ. سُمِّيَ الْفَقِيرُ مَعْدُومًا؛ لِأَنَّ حَيَاتَهُ نَاقِصَةٌ، فَوُجُودُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ.

(٨) تَقْرِي الضَّيْفَ: تُكْرِمُهُ فِي تَقْدِيمِ قِرَاءِهِ، وَإِحْسَانِ مَأْوَاهُ.

(٩) رواه البخاري (٣)، و (٤٩٥٣)، و (٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).

قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«قَالَ الْعُلَمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: مَعْنَى كَلَامِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّكَ لَا يُصِيْبُكَ مَكْرُوهُ؛ لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ، وَذَكَرْتَ ضُرُوبًا<sup>(١)</sup> مِنْ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَخِصَالِ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ»<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ الْبَرِيَّةَ يَوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَدَ ■■■ نَظَرَ إِلَهِهَا، فَبَدَّلَ حَالَهَا  
بَلْ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ حِينَ اخْتَارَ مِنْ ■■■ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهَلَالَهَا  
ووصَفَ ابْنَ الدَّغْنَةِ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ بِمِثْلِ مَا وَصَفَتْ بِهِ خَدِيجَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -  
رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى بَلَغَ  
بَرْكَ الْغِمَادِ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟  
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>، وَأَعْبُدَ رَبِّي.

قَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ: إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي  
الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؛ فَأَنَا لَكَ جَارٌ<sup>(٤)</sup>؛ ارْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَدِكَ. فَرَجَعَ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَفِي مُوَافَقَةٍ وَصَفَ ابْنُ الدَّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ بِمِثْلِ مَا وَصَفَتْ بِهِ خَدِيجَةُ النَّبِيِّ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَاتِّصَافِهِ بِالصِّفَاتِ الْبَالِغَةِ فِي أَنْوَاعِ  
الْكَمَالِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) ضُرُوبًا: جَمْعُ ضَرْبٍ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ الصَّنْفُ وَالنَّوْعُ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى أَضْرَبٍ، وَأَضْرَابٍ.

(٢) «شرح مسلم» (٢/٢٠٢).

(٣) سَاحَ فِي الْأَرْضِ يَسِيحُ سَيْحًا وَسُوحًا وَسِيَاحَةً وَسَيَّحَانًا: أَيُ ذَهَبَ.

(٤) جَارٌ: أَيُ مُجِيرٌ، أَمْنٌ مَنْ يُؤْذِيكَ.

(٥) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٦) «الفتح» (٧/٦٤٠).



وقال . ايضاً .:

«وَمِنْ أَعْظَمِ مَنَاقِبِهِ<sup>(١)</sup> - أَيُ أَبِي بَكْرٍ - ضَوْثٌ - أَنَّ ابْنَ الدَّغْنَةِ سَيِّدَ الْقَارَةِ  
وَصَفَّهُ بِنَظِيرِ مَا وَصَفَتْ بِهِ خَدِيجَةُ النَّبِيِّ - ﷺ - لَمَّا بُعِثَ، فَتَوَارَدًا عَلَى نَعْتِ  
وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَاطَأَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي مَدْحِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -  
مُنْذُ نَشَأَ كَانَتْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ<sup>(٢)</sup>» .

أَبُو بَكْرٍ وَالشَّدُو الْجَمِيلُ بِكَ ابْتِكِرِ □ □ □ وَذِكْرَاكَ قَدْ طَافَتْ عَلَى الْبَدُو وَالْحَضَرُ  
هُمَا<sup>(٣)</sup> كَانَ الشَّمْسُ أَصْغَتْ لِفَضْلِهِ □ □ □ وَحَنَّتْ لَهُ الْجَوَازُ<sup>(٤)</sup> وَشِيعَةُ الْقَمَرِ  
تَفَرَّدَ بِالْعُلَيَاءِ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ □ □ □ مَنَاقِبُهُ زَانَتْ رِبِيعَةً<sup>(٥)</sup> أَوْ مُضَرَ<sup>(٦)</sup>



(١) المناقب: جمع منقبة - بوزن المتربة - وهي الفضيلة.

(٢) «الإصابة» (١٠٤/٤).

(٣) الهمام: السيد الشجاع، أو الملك العظيم الهمة.

(٤) الجوزاء: برج في السماء.

(٥) ربيعة: قبيلة عربية، كانت مع قبيلة مضر من أقوى القبائل في الجاهلية، رحلت من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية، ثم إلى شمال بلاد الفرات.

(٦) مضر: قبيلة عربية، كانت ديارهم فيما بين النهرين على الفرات، كان رسول الله - ﷺ - منها من بني النضر بن كنانة.



## أسباب اكتساب مكارم الأخلاق

١. الإخلاص.
٢. العلم.
٣. العقيدة الصحيحة.
٤. النظر في كتاب الله - تعالى -.
٥. التأسي بالنبي - ﷺ -.
٦. الدعاء.
٧. العمل الصالح.
٨. الرفقة الصالحة.
٩. المحاسبة.
١٠. المجاهدة.
١١. الاستفادة من الآخرين.
١٢. علو الهمة.
١٣. النظر في عواقب سوء الخلق.



## أسباب اكتساب مكارم الأخلاق

### الإخلاص



إِنَّ لِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ فَهُوَ يَمُدُّ قَلْبَ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ، تَجْعَلُهُ يَنْهَضُ لِلْمَكَارِمِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، غَيْرَ مُتَنَظِّرٍ مِنْ أَحَدٍ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا، يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْحِلْمِ، وَالْعَفْوِ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَطَلَبًا لِرِضَا، وَالْفَوْزِ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ.

وَمَنْ تَكُنِ الْعِلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ■■■ فِكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ<sup>(١)</sup>

فَهُوَ إِنْ أَعْطَى فَعَطَاؤُهُ لِلَّهِ، وَإِنْ مَنَعَ فَمَنَعُهُ لِلَّهِ، وَإِنْ أَحَبَّ فَحُبُّهُ لِلَّهِ، وَإِنْ أَبْغَضَ فَبُغْضُهُ لِلَّهِ، وَإِنْ صَبَرَ فَصَبْرُهُ لِلَّهِ، وَإِنْ غَضِبَ فَغَضَبُهُ لِلَّهِ، وَهَكَذَا فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ - فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «جواهر الأدب» (ص ٥٢٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١) بإسناد حسن، وله شاهد عند الترمذي (٢٥٢١)، وأحمد (٤٤٠/٣) من حديث معاذ الجهني بزيادة: «وَأَنْكَحَ اللَّهُ»، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥/٢)، و«الصحيح» (٣٨٠).

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو طَاهِرٍ السُّلْفِي:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْأَجَرَ لَيْسَ بِحَاصِلٍ ■■■ إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ صِفَتَانِ  
لَا بُدَّ مِنْ إِخْلَاصِهِ وَنَقَائِهِ ■■■ وَخُلُوهٍ مِنْ سَائِرِ الْأَذْرَانِ<sup>(١)</sup>  
وَكَذَا مَتَابَعَةُ الرَّسُولِ فَحْكُمُهَا ■■■ نَصٌّ بِحُكْمِ نَبِيِّنَا الْعَدْنَانِ



(١) الْأَذْرَانُ : جَمْعُ دَرْنٍ - بَفَتْحَتَيْنِ - وَهُوَ الْوَسْخُ، وَبَابُهُ فَرِحَ.



## الْعِلْمُ



الْعِلْمُ أَصْلُ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْأَخْلَاقِ، فَهُوَ يَثْمُرُ التَّدِينِ الصَّحِيحَ، فَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَقْرَأُهَا، فَتَرْقُقُ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وَالْإِحْسَانَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْحَنَانَ!، وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ تَتَخَلَّقُ بِهِ مَعَ النَّاسِ، يَجْلِبُ لَكَ مَحَبَّةَ اللَّهِ، ثُمَّ مَحَبَّةَ النَّاسِ، فَتَعِيشُ سَعِيدًا!.

قَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

الْجَهْلُ جِسْرٌ لِلْمَذْمَةِ وَالْخَنَا ❖❖❖ وَالْعِلْمُ جِسْرٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
فَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ الشَّرِيفَ؛ فَإِنَّهُ ❖❖❖ يُنْجِيكَ مِنْ زَلَلٍ وَمِنْ إِخْضَاقٍ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«كُلُّ مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَدْحٍ لِلْعَبْدِ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ الْعِلْمِ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَمٍّ لِلْعَبْدِ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَهْلِ».

وَقَالَ - أَيْضًا -:

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعِلْمِ إِلَّا الْقُرْبُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالِاتِّحَاقُ بِعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، وَصُحْبَةُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى - لَكَفَى بِهِ شَرْفًا وَفَضْلًا، فَكَيْفَ وَعِزُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنُوطٌ<sup>(١)</sup> بِهِ، مَشْرُوطٌ بِحُصُولِهِ؟!»<sup>(٢)</sup>.

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ ❖❖❖ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ  
فَاجْعَلْ صَدِيقَكَ عِلْمًا تَسْتَقِيمُ بِهِ ❖❖❖ فَإِنَّهُ النُّورُ لَا يَنَائِي بِهِ خَطَرُ

(١) مَنُوطٌ: مُعَلَّقٌ.

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/١٠٨).

وَالْعِلْمُ الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ عِلْمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، فَأَجَلُ الْعُلُومِ - كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «مَا قَرَّبَكَ مِنْ خَالِقِكَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمَا أَعَانَكَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى رِضَاةِ<sup>(١)</sup>» .

**وقال - ايضاً - في بيان ما للعلم من أهمية في الأخلاق :**

«مَنْفَعَةُ الْعِلْمِ فِي اسْتِعْمَالِ الْفَضَائِلِ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُعَلِّمُ حُسْنَ الْفَضَائِلِ، فَيَأْتِيهَا - وَلَوْ فِي النَّدْرَةِ - وَيُعَلِّمُ قُبْحَ الرَّذَائِلِ، فَيَجْتَنِبُهَا - وَلَوْ فِي النَّدْرَةِ -، وَيُسَمِّعُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ، فَيَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ، وَالثَّنَاءَ الرَّدِيَّ، فَيَنْفِرُ مِنْهُ، فَعَلَى هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْعِلْمِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَلِلْجَهْلِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ رَذِيلَةٍ.

وَلَا يَأْتِي الْفَضَائِلَ مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ إِلَّا صَافِي الطَّبَعِ جِدًّا، فَاضِلِ التَّرْكِيبِ، وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ خُصَّ بِهَا النَّبِيُّونَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَلَّمَهُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، دُونَ أَنْ يَتَعَلَّمُوهُ مِنَ النَّاسِ.

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ غِمَارِ الْعَامَّةِ<sup>(٢)</sup> مَنْ يَجْرِي مِنَ الْاِعْتِدَالِ، وَحَمِيدِ الْأَخْلَاقِ إِلَى مَا لَا يَتَقَدَّمُهُ فِيهِ حَكِيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جِدًّا، وَرَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ الْعُلُومَ، وَعَرَفَ عُهُودَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، وَوَصَايَا الْحُكَمَاءِ، وَهُوَ لَا يَتَقَدَّمُهُ فِي خُبَثِ السَّيَرَةِ، وَفَسَادِ الْعِلَاقِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ - شَرَارُ الْخَلْقِ، وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مَوَاهِبُ، وَحَرَمَانٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى -<sup>(٣)</sup> .

(١) «الأخلاق والسير» (ص ٨٩).

(٢) غِمَارٌ: جَمْعُ غَمِيرٍ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ الْكَثِيرُ. وَغِمَارُ الْعَامَّةِ: جَمَاعَتُهُمْ وَلَنَفْسِهِمْ.

(٣) «الأخلاق والسير» (ص ٩٢ - ٩٣).

وَأَخِيرًا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْأَلْبِيرِيُّ - يَحْثُ وَلَدَهُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ -:

- جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا ■■■ لَعَمْرُكَ، فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا  
وَبَيْنَهُمَا - بِنَصِّ الْوَحْيِ - بَوْنٌ<sup>(١)</sup> ■■■ سَتَعْلَمُهُ إِذَا طَهَ قَرَأْنَا<sup>(٢)</sup>  
لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لَوَاءً<sup>(٣)</sup> مَالٍ ■■■ لَأَنْتَ لَوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْنَا  
لَئِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا<sup>(٤)</sup> ■■■ لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْنَا  
وَأَنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوِّمَاتٍ<sup>(٥)</sup> ■■■ لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْنَا  
وَمِنْهُمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي<sup>(٦)</sup> ■■■ فَكَمْ يَكْرَمِنَ الْحِكْمَ افْتَضَضْنَا  
وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ<sup>(٧)</sup> شَيْئًا ■■■ إِذَا مَا أَنْتَ رَبُّكَ قَدْ عَرَفْنَا<sup>(٨)</sup>



- (١) بَوْنٌ : فَرْقٌ وَتَفَاوُتٌ فِي الْفَضْلِ وَالْمَزِيَّةِ .  
(٢) يريد قوله - تعالى - : «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» (سورة طه : ١١٤) .  
(٢) اللِّوَاءُ : الْعَلَمُ وَالرَّايَةُ ، وَجَمْعُهُ أَلْوِيَّةٌ .  
(٤) الْحَشَايَا : جَمْعُ حَشِيَّةٍ ، وَهِيَ الْفِرَاشُ الْمَحْشُورُ .  
(٥) الْجِيَادُ : جَمْعُ جَوَادٍ ، وَهُوَ الْفَرَسُ . وَالْجِيَادُ الْمُسَوِّمَاتُ : أَيِ الْمُعَلَّمَاتِ ، يُقَالُ : سَوَّمَ الْفَرَسَ ، إِذَا أَعْلَمَهُ بِسُومَةٍ ، وَالسُّومَةُ : السُّمَّةُ وَالْعَلَامَةُ .  
(٦) الْغَوَانِي : جَمْعُ غَانِيَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ ، سُمِّيَتْ غَانِيَةً لِاسْتِغْنَائِهَا بِحَسَنَاتِهَا وَجَمَالَهَا عَنِ الْحُلِيِّ وَنَحْوِهِ .  
(٧) الْإِقْتَارُ : الْفَقْرُ وَضِيقُ الْمَعِيشَةِ ، يُقَالُ : أَقْتَرَ الرَّجُلُ : أَيِ افْتَقَرَ .  
(٨) «عَشْرُونَ قَصِيدَةً فِي الزُّهْدِ» (ص ٤٨) .



## العقيدة الصحيحة



العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ أَصْلُ الْأَخْلَاقِ وَمَصْدَرُهَا، فَإِذَا ثَبَّتَتْ وَاسْتَقَرَّتْ أَثْمَرَتِ الْأَخْلَاقَ الطَّيِّبَةَ.

فَالْاِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ يَحْمِلُ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَالْاِعْتِقَادُ الْفَاسِدُ يَحْمِلُ عَلَى مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، فَإِذَا اِعْتَقَدَ الشَّخْصُ أَنَّ هُنَاكَ جَنَّةً وَنَارًا، عَمِلَ لِمَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِ الْجَنَّةِ، وَتَرَكَ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِ النَّارِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَانُوا قَبْلَ الْبَعْثَةِ كَسَائِرِ كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ مِمَّنْ يَتَّصِفُونَ بِالشَّدَّةِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْغِلْظَةِ، وَلَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَخَالَطَتْ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ - رَقَّتْ طَبَاعُهُمْ، وَحَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ، بَلْ إِنَّهُمْ أَصْبَحُوا مِثَالًا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

جَزَاهُمْ اللَّهُ عَنْ دِينِ الرَّسُولِ فَمَا ■■■ أَحَلَّى مَآثِرَهُمْ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ<sup>(١)</sup>

لَوْلَا لَطَائِفُ صُنْعِ اللَّهِ مَا نَبَتَتْ ■■■ تِلْكَ الْمَكَارِمُ فِي لَحْمٍ، وَلَا عَصَبٍ

فَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الْأَسَاسُ الَّتِي انْطَلَقَ مِنْهَا الرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لِإِصْلَاحِ سُلُوكِ النَّاسِ، وَتَقْوِيمِ أَخْلَاقِهِمْ، فَالتَّغْيِيرُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ - أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - تَغْيِيرًا عَقِيدِيًّا، مَبْنِيًّا عَلَى الْاِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ فِي اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَتَوْحِيدِهِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَآثَارِهَا فِي الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ.

(١) الْحَقَبُ: جَمْعُ حِقْبَةٍ، وَهِيَ مُدَّةٌ مَبْهُمَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الزَّمَنِ.



تَأْمَلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ، وَانْظُرْ ■■■ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ<sup>(١)</sup>  
 عُيُونُ مَنْ لُجَيْنُ<sup>(٢)</sup> شَاخِصَاتُ ■■■ بِأَحْدَاقٍ<sup>(٣)</sup> هِيَ الذَّهَبُ السَّيِّئُ<sup>(٤)</sup>  
 عَلَى قَضْبِ الزَّيْرَجِدِ شَاهِدَاتُ ■■■ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيرُكَ  
 فَالْإِصْلَاحُ مَبْدُؤُهُ مِنَ الْقَلْبِ، وَكَذَلِكَ الْفَسَادُ، ثُمَّ يَتَّسِعُ لِيَشْمَلَ إِرَادَاتِ  
 الْإِنْسَانَ وَأَفْعَالَهُ.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «أَلَا  
 وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا  
 وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الْغَزَالِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«آدَابُ الظُّوَاهِرِ عُنْوَانُ آدَابِ الْبَوَاطِنِ، وَحَرَكَاتُ الْجَوَارِحِ ثَمَرَاتُ الْخَوَاطِرِ،  
 وَالْأَعْمَالُ نَتِيجَةُ الْأَخْلَاقِ، وَالْآدَابُ رَشْحُ الْمَعَارِفِ، وَسَرَائِرُ الْقُلُوبِ هِيَ مَغَارِسُ  
 الْأَفْعَالِ وَمَنَابِعُهَا، وَأَنْوَارُ السَّرَائِرِ<sup>(٦)</sup> هِيَ الَّتِي تُشْرِقُ عَلَى الظُّوَاهِرِ، فَتُزِينُهَا  
 وَتُجَلِّيْهَا، وَتُبَدِّلُ الْمَحَاسِنَ بِمَكَارِهَا وَمَسَاوِيَهَا، وَمَنْ لَمْ يَخْشَعْ قَلْبُهُ، لَمْ تَخْشَعْ  
 جَوَارِحُهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ صَدْرُهُ مِشْكَاةً<sup>(٧)</sup>. الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ، لَمْ يُفِضْ عَلَى ظَاهِرِهِ  
 جَمَالَ الْآدَابِ النَّبَوِيَِّّةِ»<sup>(٨)</sup>.

(٢) اللُّجَيْنُ: الْفُضَّةُ.

(١) الْمَلِكُ: الْمَالِكُ.

(٣) أَحْدَاقٌ: جَمْعُ حَدَقَةٍ، وَهِيَ سَوَادُ الْعَيْنِ الْأَعْظَمِ، وَتَجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى حَدَقٍ، وَحِدَاقٍ.

(٤) السَّيِّئُ: الْمَذَابُ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).

(٦) السَّرَائِرُ: الْقُلُوبُ، مَفْرَدُهَا سَرِيرَةٌ.

(٧) الْمِشْكَاةُ: فَجْوَةٌ فِي الْجِدَارِ، لَا تَصِلُ فَتَحَتِهَا إِلَى الطَّرَفِ الثَّانِي مِنْهُ، شَبَّهَ الصَّدْرَ بِهَا.

(٨) «الْإِحْيَاءُ» (٣٥٧/٢).

وَدَعَنِي - أَخِي - أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ يُورِثُ كُلَّ خَلْقٍ حَمِيدٍ، وَيَبْعَثُ الطَّمَأْنِينَةَ، وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ، فَلَا يَقْلُقُ بِفَوَاتٍ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي ذَلِكَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿﴾ (سورة الحديد: ٢٢-٢٣).

فَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ.

عَنْ صُهَيْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شُكِرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبِرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وَشَأْنُ الْبَشَرِ الصُّعُودُ وَالنُّزُولُ.

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ، تَمِيلُ أَحْيَانًا، وَتَقُومُ أَحْيَانًا»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ - أَيْضًا - أَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ الْحَقَّ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَيُنْكِرُ الْمُنْكَرَ، وَيُقِرُّ الْمَعْرُوفَ، فَيُحِبُّهُ اللَّهُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِهِ قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (سورة التوبة: ٥١).

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) رواه أبو يعلى، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٤٥/٢)، و«الصَّحِيحة» (٢٢٨٨).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَا يَمْنَعُنْ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ،  
أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ»<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا عَلِمَ الْمَرْءُ أَنَّ الْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ<sup>(٢)</sup>، فَلَا يَحْمِلُهُ اسْتِبْطَاءُ رِزْقِهِ أَنْ يَطْلُبَهُ  
بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، بَلْ لَا يَطْلُبُهُ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ، فَلَا يَظْلِمُ، وَلَا يَسْرِقُ، وَلَا يَغْشَى، وَلَا  
يَخُونُ، وَلَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِيعُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ.  
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ  
فِي رُوعِي<sup>(٣)</sup> أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ،  
وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ  
اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ إِسْمَاعِيلُ الْقُرَيْ - مِنْ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ - فِي قَصِيدَةٍ  
لَهُ وَعَظِيَّةٍ بَلِيغَةٍ، فَقَالَ - وَأَجَادَ - :

تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ: رَبِّي غَافِرٌ ■■■ صَدَقْتُ، وَلَكِنْ غَافِرٌ بِأَمْرِ شَيْئَةٍ  
وَرَبُّكَ رِزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ ■■■ فَلِمَ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسُّوِيَّةِ؟  
فَإِنَّكَ تَرْجُو الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ■■■ وَلَسْتَ بِرَاجِي الرِّزْقِ إِلَّا بِحِيلَةٍ  
عَلَى أَنَّهُ بِالرِّزْقِ كَفَلَ نَفْسَهُ ■■■ لِكُلِّ، وَلَمْ يَكْفُلْ لِكُلِّ بَجَنَّةٍ<sup>(٥)</sup>

(١) «السُّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» (١٦٨).

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٢٦٦٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ لَأَمْ  
حَبِيبَةٌ: «لَقَدْ سَأَلَتِ اللَّهُ لَأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَارْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يَعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ  
حِلِّهِ». وَمَعْنَى حِلِّهِ: أَيِ نَزْوِلِهِ.

(٣) الرُّوعُ - بَضْمُ الرَّاءِ - : الْقَلْبُ وَالْعَقْلُ.

(٤) رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٠٨٥/١).

(٥) «إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ» (ص ٢٥٨).



وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ خَزَائِنَ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ <sup>(١)</sup>، تَوَاضَعَ لِلَّهِ، وَلَمْ يَسْتَكْبِرْ عَلَى الْخَلْقِ، وَلَمْ يُنْزِلْ حَاجَتَهُ بِهِمْ، وَلَمْ يُذِلْ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَحْسُدِ النَّاسَ عَلَى مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ.

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَقْنَعْ بِعَيْشِهِ، فَإِنَّهُ ■■■ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - مِنَ الْفَقْرِ مُوقِرٌ <sup>(٢)</sup>

إِذَا كَانَ فَضْلُ النَّاسِ يُغْنِيكَ بَيْنَهُمْ ■■■ فَأَنْتَ بِفَضْلِ اللَّهِ أَغْنَى وَأَيْسَرَ <sup>(٣)</sup>

وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الذُّنُوبَ مُقَدَّرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ <sup>(٤)</sup>، وَكَذَلِكَ الْإِبْتِلَاءُ - لَمْ يُعَيِّرِ الَّذِينَ أَخْطَأُوا خَطَأً غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ، وَلَكِنْ يَشْمَتُ بِمَنْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ. قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ قَرِصَةَ:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ■■■ حَوَادِثُهُ <sup>(٥)</sup>، أَنَاخَ بِأَخْرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا: أَفِيْقُوا ■■■ سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ <sup>(٦)</sup> كَمَا لَقِينَا <sup>(٧)</sup>

وَإِذَا أُيْقِنَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا، حَسَنَتْ أَخْلَاقَهَا، وَلَمْ تَسْأَلْ زَوْجَهَا طَلَاقَ ضَرَّتِهَا <sup>(٨)</sup>.

(١) قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (سورة الحجر: ٢١). وَقَالَ

اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة المنافقون: ٧).

(٢) الْوَقْرُ - بَكْسَرُ الْوَاوِ - : الْحَمْلُ، يُقَالُ: أَوْقَرَتِ النَّخْلَةُ: أَيِ كَثُرَ حَمْلُهَا.

(٣) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ١٥١).

(٤) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٣٤٠٩) وَ (٤٧٣٦) وَ (٤٧٣٨) وَ (٦٦١٤) وَ (٧٥١٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٥٢)، مِنْ

حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَحْتَجُّ آدَمَ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ،

أَنْتَ أَبُونَا، أَنْتَ خَيْبَتُنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَأَ لَكَ

بِيَدِهِ، أَتَلُوْمُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟. فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : «فَحَجَّ آدَمُ

مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

(٥) حَوَادِثُ الدَّهْرِ: نَوَازِلُهُ وَمَصَائِبُهُ، وَالْمُفْرَدُ حَادِثَةٌ.

(٦) الشَّمَاتَةُ: الْفَرَحُ بِبَلِيَّةِ الْعَدُوِّ وَحُزْنُهُ، وَبَابُهُ سَلِمَ.

(٧) «الْآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (٤١٢/١).

(٨) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (١٢٤٠) وَ (٢٧٢٣) وَ (٥١٥٢) وَ (٦٦٠١)، وَمُسْلِمٌ (١٤١٣) مِنْ

حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِهَا؛

لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا».



قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

هَوْنٌ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْأُمُورَ ■■■ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا  
فَلَيْسَ بِآتِيكَ مِنْهُيُّهَا ■■■ وَلَا قَاصِرُ عَنْكَ مَأْمُورُهَا<sup>(١)</sup>

وَإِذَا وَعَدَ الْمَرْءُ رَجُلًا، وَجَلَسَ بَانْتِظَارِهِ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَفَاءِ حَائِلٌ خَارِجٌ  
إِرَادَتِهِ، وَجَاءَ يَشْكُو عُدْرَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ فَسِيرَضَى، وَيُسَلِّمُ  
أَنَّهُ مَا فَاتَهُ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ، فَحِينَئِذٍ سَيَقِلُّ عِتَابُهُ وَلَوْمُهُ، وَتَثْرِيهِهُ عَلَى أَخِيهِ،  
وَسَيَطِيبُ خَاطِرُهُ، وَيُطْمَئِنُّ قَلْبُهُ عَلَى مَا قَدْ فَاتَ، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ أَبْوَابِ  
الْإِيمَانِ<sup>(٢)</sup>.

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمْ يَنْبَغِ أَنْ يَفْزَحَ ■■■ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتَ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ<sup>(٣)</sup>

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هُنَا مَثَلًا وَاحِدًا لِيَتَّضِحَ الْبَيَانُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ التُّهَامِيُّ - يَرِثُنِي وَلَدُهُ الصَّغِيرُ -:

بَيْنَا تَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا ■■■ أَلْفَيْتَهُ خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ  
طَبِيعَتٌ عَلَى كَدَرٍ، وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ■■■ صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ  
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدُّ طِبَاعِهَا ■■■ مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةٌ<sup>(٤)</sup> نَارِ



(١) «روضة العقلاء» (ص ١٥٨).

(٢) انظر «فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين» (١٢/٤).

(٣) «الآداب الشرعية» (١/٣٨٨).

(٤) الجذوة - بثليث الجيم - : الجمرة، والجمع جذى - بثليث الجيم -.

## النَّظَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى -



كتابُ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَمَعَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ خَيْرَ جَمْعٍ، وَنَظَّمَهَا خَيْرَ نَظْمٍ، مَا فَرَطَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء: ٩). وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: ٤١-٤٢).

فَمَنْ أَرَادَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، فَلْيَعْتَمِدْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، وَيُحَاوِلْ جَاهِدًا أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، فَقَدْ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الْقُرْآنَ، كَمَا وَصَفَتْهُ بِذَلِكَ زَوْجُهُ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: قُلْتُ: «يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -». قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟». قُلْتُ: «بَلَى». قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - كَانَ الْقُرْآنَ». قَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«مَنْ جَهَلَ مَعْرِفَةَ الْفَضَائِلِ، فَلْيَعْتَمِدْ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَرَسُولُهُ ﷺ -؛ فَإِنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) «الأخلاق والسير» (ص ١٧٦).

وَقَالَ الْإِمَامُ السَّلْفِيُّ صَدِيقُ حَسَنِ خَانَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - بَعْدَ ذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي سَارَ فِيهَا أَصْحَابُهَا لَاكْتِسَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ:

«وَقَدْ قَضَتِ الشَّرِيعَةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ حَقَّ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ، فَلَمْ تَدَعْ لِأَحَدٍ مَقَالًا يَقُولُهُ، وَكَلَامًا يَتَكَلَّمُ بِهِ، فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ يَكْفِيَانِ - لِمَنْ يُرِيدُ إِدْرَاكَ هَذَا الْعِلْمِ، وَالتَّحَلِّيَ بِهِ عَنْ تِلْكَ الْكُتُبِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، فَإِنَّ الصَّبَّاحَ يُغْنِي عَنِ الْمَصْبَاحِ»<sup>(١)</sup>.

سَمِعْتُكَ - يَا قِرَّانُ - وَاللَّيْلُ وَاجِمٌ<sup>(٢)</sup> ■■■ سَرَيْتَ<sup>(٣)</sup> تَهْزُ الْكَوْنُ، سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى! فَتَحَنَّا بِكَ الدُّنْيَا، فَأَشْرَقَ نُورُهَا ■■■ فَسَلْ دَوْلَةَ الْأَخْبَارِ يَرْمُوكَ أَوْ بَدْرًا



(١) «أيجد العلوم» (١/٣٧).

(٢) واجم: هادي صامت، وبأبه وعد.

(٣) سريت: من السرى، وهو السير ليلاً.

## التَّاسِيَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ



النَّبِيُّ - ﷺ - هُوَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِالتَّاسِيَّ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ.

قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

فَهَذِهِ الْآيَةُ تُؤَكِّدُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَالْاِقْتِدَاءَ بِهِ، وَاعْتِبَارَ ذَلِكَ الْأَصْلُ الَّذِي يَجِبُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْطَلِقَ مِنْهُ لِتَصْحِيحِ أَخْلَاقِهِ، وَتَقْوِيمِ سُلُوكِهِ.

وَقَدْ اِمْتَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَخَلِيلِهِ - ﷺ - بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَجَمَعَ فِيهِ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ بِتَمَامِهَا، وَأَبْعَدَهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَنَوَّهَ بِذِكْرِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤).

وَوَصَفَتْهُ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِأَصُولِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ: «كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

(١) تقدّم تخريجه.



ووصفته زوجته عائشة بنت الصديق - رضي الله عنها - بأنه كان خلقه القرآن.

عن سعد بن هشام قال: قلت: «يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله - ﷺ -». قالت: «ألست تقرأ القرآن؟». قلت: «بلى». قالت: «فإن خلق نبي الله - ﷺ - كان القرآن»<sup>(١)</sup>.

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَوْلِيَاءُ؟ ■■■ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ  
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ ■■■ كَمَا مَثَلُ النُّجُومِ الْمَسَاءُ  
حَنَّ جَذَعُ إِلَيْكَ وَهُوَ جَمَادُ ■■■ فَعَجِيبٌ أَنْ يَجْمُدَ الْأَحْيَاءُ

فَانظُرْ إِلَى مَا وَصَفَنَاهُ بِهِ نَسَاؤُهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ - ﷺ - مِنْ أَصُولِ  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَصَفَتُهُ خَدِيجَةُ وَذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ، وَوَصَفَتُهُ عَائِشَةُ بِأَنَّهُ  
كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ، نَعَمْ كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الَّتِي  
سَارَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَيْرَ سِيرَةٍ، وَقَامَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ.

يَا مُدْعِي حُبِّ أَحْمَدَ، لَا تُخَالِفْهُ ■■■ فَالْخُلْفُ يُحْرَمُ فِي دُنْيَا الْمُحِبِّينَا  
أَرَاكَ تَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ شَرِيعَتِهِ ■■■ وَتَتْرِكُ الْبَعْضَ تَدْوِينًا وَتَهْوِينًا  
خُذْهَا جَمِيعًا فَوْزًا تَفُوزُ بِهِ ■■■ وَإِلَّا طَرِيحًا وَاسْلُكْ سَبِيلَ الشَّيَاطِينَا  
فَعَلَيْنَا بِالتَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَطَاعَتِهِ، وَإِدَامَةِ النَّظَرِ فِي  
سِيرَتِهِ - ﷺ -<sup>(٢)</sup>؛ لِنَقْتَطِفَ مِنْهَا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، فَفِي ذَلِكَ عِزُّ الدُّنْيَا وَشَرَفُ  
الْآخِرَةِ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لعل أحسن كتاب في السيرة النبوية - من وجهة نظري - هو «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام  
ابن قيم الجوزية، وقد طبع مؤخراً طبعة رائعة في ستة مجلدات بتحقيق شعيب الأرنؤوط، فلو باع  
المرء ما يكتنيه من ملبوس، ومركوب، وأثاث، واشترى هذا الكتاب - ما كان ذلك كثيراً!

قال ابن حزم - يرحمه الله -:

«مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا، وَعَدَلَ السَّيْرِ، وَالاحتواءَ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ كُلِّهَا، وَاسْتِحْقَاقَ الْفَضَائِلِ بِأَسْرِهِا - فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيرَهُ مَا أَمَكَنَهُ، أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِتِّسَاءِ بِهِ بِمَنْهٖ، آمِينَ»<sup>(١)</sup>.

إذا كان هذا الجيلُ أتباعَ نهجِه

وقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

فَقُلْ: كَيْفَ كَانَ الْمُصْطَفَى وَهُوَ رَمَزُهُمْ

مَعَ نُورِهِ لَا تُذَكِّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ



(١) «الأخلاق والسَّير» (ص ٩١).

(٢) السَّادَاتِ: جمع سَيِّدٍ.

## الدُّعَاءُ



الدُّعَاءُ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِنَيْلِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَمَنْ أَرَادَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فَعَلَيْهِ  
بِالدُّعَاءِ، فَهُوَ أَشْرَفُ وَأَكْرَمُ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ - سبحانه - .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ  
مِنَ الدُّعَاءِ» (١) .

وَالْمُسْلِمُ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةٌ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ - تبارك وتعالى - بالدُّعَاءِ، وَوَعَدَ  
بِالْإِجَابَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر: ٦٠) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو  
اللَّهَ بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قِطِيعَةٌ رَحِمٍ - إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إمَّا أَنْ  
يُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَهَا، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا» . قالوا: «يا رسولَ اللَّهِ، إِذَا نُكْثِرَ» . قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ» (٢) .

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٣٦٢/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٩٢/٢) .

(٢) رواه أحمد في «المسند»، وصححه الحاكم والذهبي، ووافقهما الألباني، انظر «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيقه (٦٥٦)، وقد رواه الترمذي (٣٦٠٤) من حديث أبي هريرة، إلا أنه قال في الخصلة الثالثة: «وإمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدَرٍ مَا دَعَا» . وهو منكر بهذا اللفظ، قاله الألباني - وقد خرجه في «الضعيفة» (٤٤٨٣) - وذكر تحته ما صح منه كحديث أبي سعيد هذا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قيل: «يا رسول الله، ما الاستعجال؟». قال: «يقول: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - كَثِيرَ الضَّرَاعَةِ إِلَى رَبِّهِ أَنْ يَرْزُقَهُ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الْاسْتِفْتَاخِ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ، اهْدِنِي لأَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لأَحْسَنَهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»<sup>(٤)</sup>.

وورد أنه - ﷺ - كان يدعو بهؤلاء: «اللَّهُمَّ، جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥)، وهو عند البخاري بلفظ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي». والاستحسار: الإعياء والانقطاع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء، ومنه قوله تعالى -: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٩). أي لا ينقطعون عنها. وفيه طلب دوام الدعاء، وعدم استبطاء الإجابة، وهذا لا ينافي الدعاء بتعجيل الطلب، فقد صحَّ عن النبي ﷺ - في حديث الاستسقاء قوله: «عَاجِلًا غَيْرَ رَائِي»، صحيح رواه ابن ماجه (١٢٦٩). وقوله: «غير رائي»: أي غير آجل. والاستعجال المنهي عنه هو المذكور في الحديث، وهو قوله: «دَعَوْتُ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي».

(٢) صِفْرًا: فارغة.

(٣) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٧/١).

(٤) رواه مسلم (٧٧١).

(٥) رواه الترمذي (٣٥٩١)، والحاكم في «المستدرک» (٢٣٢/١)، وابن حبان في «الصَّحِيح» (٢٤٢٢) عن عمِّ زياد بن علاقة قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٩٨/١).



فَأَكْثَرُ - أَخِي الْحَبِيبَ - فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ مِنَ الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهْدِيكَ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَلَا سِيَّمَا فِي اللَّيْلِ؛ عَلَيْكَ أَنْ تُصَادَفَ سَاعَةً الْإِجَابَةِ، وَالتِّي تَتَأَكَّدُ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ وَقْتُ التَّزْوِلِ الْإِلَهِيِّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (٢).

قُلْتُ: يَا لَيْلُ، هَلْ بِجَوْفِكَ سِرٌّ ■■■ عَامِرُ بِالْحَدِيثِ وَالْأَسْرَارِ؟  
قَالَ: لَمْ أَلْقَ فِي حَيَاتِي حَدِيثًا ■■■ كَحَدِيثِ الْأَحْبَابِ فِي الْأَسْحَارِ

وَلِلَّهِ دُرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الْقَائِلُ:

أَتَهَزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدْرِيه ■■■ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ؟  
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي (٣)، وَلَكِنْ ■■■ لَهَا أَمَدٌ (٤)، وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءٌ (٥)

(١) رواه مسلم (٧٥٧).

(٢) رواه البخاري (١١٤٥) و (٦٣٢١) و (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) لا تخطي: لا تُخطئ، فَخُفِّتِ الْهَمْزَةُ تَسْهِيلاً.

(٤) الأمد - بفتحين -: الغاية والنهاية، جمعه آماد.

(٥) «ديوان الشافعي» (ص ٢٣).

## الْعَمَلُ الصَّالِحُ



الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ، وَالسَّبَبُ الْأَعْظَمُ لَتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، وَالْحُصُولِ عَلَى الْبَرَكَاتِ فِي الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَعْمَارِ، فَالْمُتَدِينُ تَدِينًا صَحِيحًا يَجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَجْتَنِبُ مَعَاصِيهِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْعِبَادَاتِ وَمِنْهَا الْأَخْلَاقُ، بَلْ إِنَّ الْأَخْلَاقَ أَعْظَمَهَا أَجْرًا، وَأَيْسَرَهَا مَوْنَةً، وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً.

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (سورة مريم: ٩٦). أَيُّ: مَوَدَّةٍ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ عَلَى قَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ -يَرْحَمُهُ اللَّهُ- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:

«هَذَا مِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَنْ وَعَدَهُمْ أَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُمْ وُدًّا، أَيُّ: مَحَبَّةً وَوَدَادًا فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ وُدٌّ، تَيْسَّرَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَالِدَعَوَاتِ، وَالْإِرْشَادِ، وَالْقَبُولِ، وَالْإِمَامَةِ مَا حَصَلَ، وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلُ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) و (٦٠٤٠) و (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة.

وَأِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ وُدًّا؛ لِأَنَّهُمْ وَدُّوهُ، فَوَدَّهُمْ إِلَى أَوْلِيَائِهِ وَأَحِبَّابِهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْأُبَيْرِيُّ:

كَمَا الطَّاعَاتُ تُبَدِّلُكَ الدَّرَارِي ■■■ وتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ، وَإِنْ بَعُدَتْ

وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا ■■■ وَتَلْقَى الْبِرْفِيفَهَا حَيْثُ شِئْتَا

وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا<sup>(٢)</sup> عَزِيزًا ■■■ وَتَجْنِي الْحَمْدَ فِيمَا قَدْ غَرَسْتَا<sup>(٣)</sup>

فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَبْعَثَانِ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَهُمَا النَّظَامُ  
الدَّاخِلِيُّ الَّذِي يَقُومُ أَخْلَاقَ الْمَرْءِ وَيُوجِّهُهَا.

وَأَنْتِ لَيْسْتَيْنِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ<sup>(٤)</sup> ■■■ وَعَنْ شَتَمِ ذِي الْقُرْبَى. خَلَائِقُ أَرْبَعُ:

حَيَاءٌ، وَإِسْلَامٌ، وَتَقْوَى، وَطَاعَةٌ ■■■ لِرَبِّي، وَمَثَلِي مَنْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ<sup>(٥)</sup>

وَقَدْ تَجَدُّ الْمُتَدِينُ تَدِينًا صَحِيحًا - إِذَا كَانَ عَلَى عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ - لَا يَصْدُرُ مِنْهُ  
مَا يَثْلُمُ مَرْوَعَتَهُ، وَيَشِينُ أَخْلَاقَهُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْمُتَدِينُ إِذَا عَمَلَ  
مَا يَخْرِمُ مَرْوَعَتَهُ اتَّجَهَتْ إِلَيْهِ الْأَنْظَارُ، وَاسْتَغْرَبَ النَّاسُ أَنْ يَصْدُرَ ذَلِكَ مِنْهُ، أَمَّا  
غَيْرُ الْمُتَدِينِ فَكَمَا قِيلَ: «الشَّيْءُ مِنْ مَعْدِنِهِ لَا يُسْتَغْرَبُ».

وَلِلَّهِ دُرُّ أَبِي الْعُتَاهِيَةِ الْقَائِلُ:

لَيْسَ دُنْيَا إِلَّا بِدِينٍ، وَلَيْسَ الدُّ ■■■ يَنْ إِلَّا مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ<sup>(٦)</sup>

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٥٠١).

(٢) مناكب الدنيا: أرجاؤها ونواحيها، والمفرد منكب.

(٣) «عشرون قصيدة في الزهد» (ص ٥٣).

(٤) الخنأ: الفحش في النطق.

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥٠ - ٢٥١).

(٦) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٩٩).



وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «لَا مُرُوءَةَ لِمَنْ لَا دِينَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ - أَيْضًا - : «ثِقْ بِالْمُتَدِينِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ دِينِكَ، وَلَا تَثِقْ بِالْمُسْتَخِفِّ، وَإِنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ عَلَى دِينِكَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الأخلاق والسير» (ص ٨٠).

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٠). وهنا فائدة تناسب هذا المقام:

سُئِلَ ابْنُ عَثِيمِينَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «يُورَدُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ أَهْلَ الْغَرْبِ أَحْسَنَ أَخْلَاقًا مِنَّا فِي تَعَامُلِهِمْ، وَيَبِيعُهُمْ، وَشُرَائِهِمْ، بَيْنَمَا تَجِدُ الْغَشَّ، وَالْكَذِبَ، وَإِنْفَاقَ السَّلْعَةِ بِالْخَلْفِ الْكَاذِبِ مُتَشَرًّا بَيْنَ صَفُوفِنَا - نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ - ؟!».

فَقَالَ: «هُمْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَامَلُوا الْأَخْلَاقَ؛ لَكِنْ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ مَادَّةٍ، وَيُرُونَ مِنْ أَكْبَرِ الدَّعَايَةِ لَتَنْمِيَةِ أَمْوَالِهِمْ أَنْ يُحَسِّنُوا الْمَعَامِلَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْذِبُوا الْأَعْدَادَ الْكَبِيرَةَ، وَإِلَّا فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٦). وَلَا أَظُنُّ أَحَدًا أَصْدَقَ وَصْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْكَافِرِينَ، فَإِنَّهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ، وَكَيْفَ يُرْجَى خَيْرٌ مَقْصُودٌ لِدَاتِهِ مِنْ قَوْمٍ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ؟! لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ أَبَدًا، لَكِنْ مَا يَوْجَدُ فِيهِمْ مِنَ الصَّدْقِ، وَالْبَيَانِ، وَالنُّصْحِ فِي بَعْضِ الْمَعَامِلَاتِ - إِنَّمَا هُوَ مَقْصُودٌ لغيره عندهم، وَهُوَ الْحَصُولُ عَلَى الْمَادَّةِ وَالْكَسْبِ، وَإِلَّا فَمَنْ رَأَى ظُلْمَهُمْ، وَغَشَمَهُمْ، وَاسْتَطَالَتْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ - عَرَفَ مَصْدَاقَ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَا وَقَعَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْغَشِّ وَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ فِي الْمَعَامِلَاتِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ نَقَصُوا مِنْ إِسْلَامِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِقَدْرِ مَا خَالَفُوا الشَّرِيعَةَ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْمَعَامِلَاتِ». إِلَى أَنْ قَالَ: «فَلَا بُدَّ أَنْ نُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ مِنْ كَمَالِ الدِّينِ كَمَالَ الْخُلُقِ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا». وَعَلَى هَذَا فَكُلُّ مَنْ كَانَ نَاقِصَ الْخُلُقِ فَهُوَ نَاقِصُ الدِّينِ؛ فَكَمَالُ الدِّينِ بِكَمَالِ الْخُلُقِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنْ تَأَثَّرَ كَامِلُ الْخُلُقِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ جَلْبِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَى الدِّينِ - أَكْبَرُ مِنْ تَأَثُّرِ ذِي الدِّيَانَةِ السَّيِّئِ الْخُلُقِ، فَإِذَا وَفَّقَ مَنْ كَانَ قَوِيًّا فِي الْعِبَادَةِ إِلَى كَمَالِ الْخُلُقِ، كَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ وَأَكْمَلَ». عَنْ كِتَابِ «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» لابْنِ عَثِيمِينَ (ص ٥٠-٥٢) بِإِخْتِصَارٍ.



وَقَصَدَ ابْنُ حَزْمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - أَنْ هُنَاكَ أُمَمًا عِنْدَهَا قِيمٌ موروثةٌ، تُغْذِيهَا بَقَايَا الْخَيْرِ مِنْ دِينِهَا، دَلٌّ عَلَى ذَلِكَ عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانُوا مِنْ أَحْسَنِ الْأُمَمِ أَخْلَاقًا؛ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ بَعْضَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَهِيَ الَّتِي وَرِثُوهَا مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَكَانُوا قَدْ ضَلُّوا بِالْكَفْرِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مُحَمَّدًا - ﷺ -؛ لِيَتِمَّ مَحَاسِنُهَا، وَيُبَيِّنَ مَا ضَلُّوا عَنْهُ، وَمَا قَضَى بِهِ فِي شَرْعِهِ، فَكَانَ فِي مُسْتَهْلٍ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ - وَفِي رَوَايَةٍ: صَالِحَ - الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِأَخِيهِ لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ - ﷺ -: «ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ». فَرَجَعَ فَقَالَ: «رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا بَحَثْتَ عَنِ التَّقْيِ وَجَدْتَهُ ■■■ رَجُلًا يَصْدَقُ قَوْلُهُ بِفِعَالٍ  
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ أَمْرُهُ وَأَطَاعَهُ ■■■ فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالٍ  
وَعَلَى التَّقْيِ - إِذَا تَرَأَسَخَ فِي التَّقْيِ - ■■■ تَاجَانِ: تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَمَالٍ  
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرُّجَالُ فَمَا أَرَى ■■■ نَسَبًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ<sup>(٣)</sup>



(١) رواه أحمد في «المسند» (٣١٨/٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم في «المستدرک» (٦١٣٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٩/١)، و«الصَّحِيحَةُ» (٤٥).

(٢) رواه البخاري (٣٥٢٢) و(٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٩).

## الرفقة الصالحة



الرفقة الصالحة من أعظم الأسباب المعينة على محاسن الأخلاق؛ وذلك لأن الطبع لص يسرق من الطبع الخير والشر، فمن كان جليسه صالحاً، استفاد منه صلاحاً وأخلاقاً. ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ - : «إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير»<sup>(١)</sup>، فحامل المسك إما أن يحذيك<sup>(٢)</sup>، وإما أن تبتاع منه<sup>(٣)</sup>، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»<sup>(٤)</sup>.

وقوله - ﷺ - : «الرجل على دين خليله»<sup>(٥)</sup>؛ فلينظر أحدكم من يخال<sup>(٦)</sup>، ومعنى الحديث أن الإنسان في الدين والأخلاق على قدر من يصاحب، فلينظر من يصاحب، فإن صاحب الصالحين صار منهم، وإن صاحب سواهم صار مثلهم، كما قيل:

عن المرء لا تسأل، وسل عن قرينه ■■■ فكل قرين بالمقارن يقتدي  
وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهم ■■■ ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي<sup>(٧)</sup>

(١) الكير - بكسر الكاف - : زق ينفخ فيه الحداد.

(٢) يحذيك : يعطيك بدون بيع.

(٣) تبتاع منه : تشتري منه.

(٤) رواه البخاري (٢١٠١) و (٥٥٣٤)، ومسلم - واللفظ له - (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري.

(٥) «الخليل»: هو الذي أحبك، وتعبه حباً جمّاً، حتى يتخلل حبه جميع البدن، كما قال بشار:

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسَلَّكَ الرُّوحِ مِنِّي ■■■ وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلاً

(٦) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥/١)، و«الصحيححة» (٩٢٧).

(٧) «الأدب الشرعية» (٢٢٥/٤).

وقديماً قيل: «قُلْ لِي: مَنْ تَصَاحِبُ؟» أُخْبِرَكَ مَنْ أَنْتَ.

وفي ذلك يقول الشاعر:

أنت في الناس تَقْـاسُ ■ ■ ■ بالذي اخْتَرْتَ خَلِيلاً  
فاصْحَبِ الْأَخْيَارَ تَعْلُ ■ ■ ■ وتَنَلْ ذِكْرًا جَمِيلاً<sup>(١)</sup>

فَتَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ أَثَرَ الصَّدِيقِ فِي صَدِيقِهِ خَطِيرٌ وَكَبِيرٌ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْتَقِيَ أَصْدِقَاءَهُ، وَأَنْ يَخْتَبِرَ مَعَدَنَهُمْ، حَتَّى يَأْنَسَ إِلَى أَصَالَتِهِ، فَلَا يُصَاحِبَ إِلَّا قُرْنَاءَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّهُمْ يُعِينُونَهُ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَحِفْظِ الْحَقُوقِ، وَيُبْعِدُونَهُ عَنِ السُّوءِ، وَاقْتِرَافِ الْآثَامِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُمْ يَقُودُونَهُ إِلَى النَّجَاحِ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَلَاحِ فِي الْآخِرَى، فَهُوَ - وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُمْ - وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمَحَبَّتِهِ وَصَدَاقَتِهِ لَهُمْ.

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»<sup>(٢)</sup>.

أَمَّا قُرْنَاءُ السُّوءِ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ وَبَالًا عَلَيْهِ، وَهَلْ مَنَّعَ أَبَا طَالِبٍ مِنَ التَّلَفُّظِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي بِهَا نَجَاتُهُ وَفَلَاحُهُ - إِلَّا الرُّفْقَةَ السَّيِّئَةَ؟!  
إِنَّ رُفْقَاءَ السُّوءِ يَضْعُونَ رَفِيقَهُمْ - دَائِمًا - عَلَى شَفَا<sup>(٣)</sup> جُرْفٍ<sup>(٤)</sup> هَارٍ، وَسُرْعَانَ مَا يَنْهَارُ بِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! - فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَقْرَعُ حِينَهَا سِنَّ النَّدَمِ، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنَدَمٍ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْقَائِلُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

(١) «نفع الطيب» (٦٧/٨).

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨) و (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٣) شَفَا كُلُّ شَيْءٍ: حَرَفُهُ وَطَرَفُهُ.

(٤) الْجُرْفُ - بَضْمُ الرَّاءِ وَسُكُونُهَا - : مَا تَجَرَّفَتُهُ السُّيُولُ وَأَكَلَتْهُ مِنَ الْأَرْضِ.



الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ (سورة الفرقان: ٢٧-٢٩).

وهناك ست صفات ذكرها أهل العلم، ينبغي توافرها فيمن تؤثر صحبته ومحبته:

**أولها** - أن يكون مؤمناً، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ - يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»<sup>(١)</sup>.

**ثانيها** - أن يكون من ذوي العقول الراجحة، فالعقل رأس المال، ولا خير في صحبة الأحمق. لأن الأحمق يورد نفسه وغيره مواطن الهلاك والفساد، ويركب رأسه، ولا ينصاع للرأي السديد، ويغضب لأتفه الأسباب، وشر الأصدقاء من تكلف لك، وأخرجك إلى اعتذار، وألجأك إلى مداراة.

**قال الشاعر:**

لا تياسن من اللبيب<sup>(٢)</sup> وإن جفا<sup>(٣)</sup>      واقطع حبالك من حبال الأحمق

فعداوة من عاقل متجمل<sup>(٤)</sup>      أولى وأسلم من صداقة أخرق<sup>(٤)</sup>

قال ابن القيم - يرحمه الله - في سياق كلامه عمن مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه، وقوته وضعفه -:

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١/٢).

(٢) اللبيب: العاقل، والجمع ألباء.

(٣) جفا: هجر.

(٤) «جواهر الأدب» (ص ٧٢٣).



«وَمِنْهُمْ مَنْ مُخَالَطَتُهُ حُمَى الرُّوحِ، وَهُوَ الثَّقِيلُ الْبَغِيزُ الْعَقْلُ الَّذِي لَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيْفِيدَكَ، وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُنْصِتَ فَيَسْتَفِيدَ مِنْكَ، وَلَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ فَيَضَعُهَا فِي مَنْزِلَتِهَا، بَلْ إِنْ تَكَلَّمَ فَكَلَامُهُ كَالْعَصَا تَنْزِلُ عَلَى قُلُوبِ السَّامِعِينَ مَعَ إِعْجَابِهِ بِكَلَامِهِ، وَفَرَحِهِ بِهِ، فَهُوَ يُحَدِّثُ مِنْ فِيهِ كَلَّمَا تَحَدَّثَ، وَيُظَنُّ أَنَّهُ مِسْكٌ يَطِيبُ بِهِ الْمَجْلِسُ، وَإِنْ سَكَتَ فَأَثْقَلُ مِنْ نَصْفِ الرَّحَى»<sup>(١)</sup> الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَا يُطَاقُ حَمْلُهَا، وَلَا جَرُّهَا عَلَى الْأَرْضِ».

ويذكر عن الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا جَلَسَ إِلَى جَانِبِي ثَقِيلٌ إِلَّا وَجَدْتُ الْجَانِبَ الَّذِي هُوَ فِيهِ أَنْزَلَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَتَبُّ بِهِ ■■■ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يُدَاوِيهَا<sup>(٣)</sup>

**ثالثها** - أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخُلُقِ، طَيِّبَ السَّمْتِ<sup>(٤)</sup>، فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةٍ مَنْ يَغْلِبُهُ الْغَضَبُ، أَوِ الْكَذِبُ، أَوِ الْبُخْلُ، أَوِ الْجُبْنُ، أَوِ اطَّاعَ هَوَاهُ، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ؛ لِأَنَّ أَخْلَاقَهُ سُرْعَانَ مَا تَثْقَلُ إِلَى مَنْ يُصَاحِبُهُ، فَلِلْعَدَوَى قَانُونُهَا الَّذِي يَسْرِي فِي الْأَخْلَاقِ كَمَا يَسْرِي فِي الْأَجْسَامِ.

(١) الرَّحَى: حَجَرُ الطَّاحُونِ، جَمْعُهَا أَرْحَاءٌ، وَرُحَىٌ.

(٢) «التفسير القيم» (ص ٦٢٩).

(٣) «جواهر الأدب» (ص ٧٢٣).

(٤) السَّمْتُ: الْهَيْئَةُ وَالْمَظْهَرُ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

وَاحْذَرُ مُؤَاخَاةَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ ■■■ يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ  
وَاخْتَرُ صَدِيقَكَ، وَاصْطَفِ فِيهِ تَفَاخُرًا ■■■ إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ  
وَدَعِ الْكَذُوبَ، وَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ■■■ إِنَّ الْكَذُوبَ لَيُبْسِ خِلًا<sup>(١)</sup> يُصْحَبُ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ .:

صَافِ الْكِرَامَ، فَخَيْرُ مَنْ صَافَيْتَهُ ■■■ مَنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ، وَكَانَ ظَرِيفًا  
وَاحْذَرُ مُؤَاخَاةَ اللَّئِيمِ؛ فَإِنَّهُ ■■■ يُبْذِي الْقَبِيحَ، وَيُنْكَرُ الْمَعْرُوفَا<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ: أَيْضًا .:

اجْعَلْ قَرِينَكَ مَنْ رَضِيتَ فِعَالَهُ ■■■ وَاحْذَرُ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ الشَّائِنِ  
كَمْ مِنْ قَرِينٍ شَائِنٍ لِقَرِينِهِ<sup>(٤)</sup> ■■■ وَمُهْجِنٌ<sup>(٥)</sup> مِنْهُ لِكُلِّ مُحَاسِنٍ<sup>(٦)</sup>

**رابعها** - أَلَّا يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ صُحْبَةَ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُورِثُ  
الْحَرِصَ؛ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ، فَالطَّبَعُ - كَمَا سَبَقَ - لَصٌّ  
يَسْرِقُ مِنَ الطَّبَعِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَسَرِقَتُهُ لِلشَّرِّ أَكْثَرُ وَأَسْرَعُ مِنْ سَرِقَتِهِ لِلْخَيْرِ، أَلَّا  
تَرَى - مَثَلًا - أَنَّ غَيْرَ الْمُدْخَنِ سُرْعَانَ مَا تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ عَدْوَى التَّدْخِينِ مِنَ الْمُصَابِ بِهَا  
إِذَا جَالَسَهُ، وَيَنْدُرُ أَنْ يَقَعَ الْعَكْسُ.

(١) الْخِلُّ - بِالْكَسْرِ - : الصَّدِيقُ.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٦٩).

(٣) المرجع السابق (ص ٧١٩).

(٤) شَائِنٌ : اسم فاعل من شَانَ يَشِينُ، وشَائِنٌ لِقَرِينِهِ : أي يَحْطُ من قَدْرِ صَاحِبِهِ.

(٥) مُهْجِنٌ : مُقَبِّحٌ.

(٦) «جواهر الأدب» (ص ٧٢٠).

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتْرَكَ مُجَالَسَةَ طُلَّابِ الدُّنْيَا، وَيُجَالِسَ الزُّهَّادَ وَالْعُلَمَاءَ، فَهَؤُلَاءِ مُخَالَطَتُهُمْ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - كَالْغِذَاءِ.

قَالَ حَكِيمُ لَابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمِهِمْ بِرُكْبَتِكَ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ لَتَحْيَا بِالْحِكْمَةِ، كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِوَابِلِ الْمَطَرِ».

**خامسها** - أَنْ يَكُونَ عَدْلًا غَيْرَ فَاسِقٍ؛ لِئَلَّا يَجُرَّكَ إِلَى فِسْقِهِ، فَقَدْ قِيلَ: «وَدَّ صَاحِبُ الْفِسْقِ وَالْمَعْصِيَةِ لَوْ فَسَقَ النَّاسُ جَمِيعًا؛ لِئَلَّا يُصْبِحَ نَشَازًا بَيْنَهُمْ».

وَلَأَنَّ صُحْبَةَ الْفَاسِقِ تُهَوِّنُ أَمْرَ الْمَعْصِيَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَتُبْطِلُ نُفْرَةَ الْقَلْبِ عَنْهَا، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ لَا تُؤْمِنُ غَائِلَتُهُ<sup>(١)</sup>، وَلَا يُوثِقُ بِصِدَاقَتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَحْوَالِ.

**سادسها** - أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُبْتَدِعٍ؛ لِئَلَّا يُلْقِيَ عَلَيْكَ الشُّبُهَةَ، فَيَتَشَرَّبَهَا قَلْبُكَ، وَالْقُلُوبُ - كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ - ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبُهَةُ خَطَافَةٌ.

وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ أَهَمِّ الصِّفَاتِ فِي الصَّدِيقِ؛ فَإِنْ فِي مُخَالَطَةِ الْمُبْتَدِعِ الْهَلَكُ كُلُّهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِيمَنْ مُخَالَطَتُهُ الْهَلَكُ كُلُّهُ: «وَمُخَالَطَتُهُ بِمَنْزِلَةِ السُّمِّ، فَإِنْ اتَّفَقَ لِأَكْلِهِ تَرِيَاقٌ<sup>(٢)</sup>، وَإِلَّا فَأَحْسَنَ اللَّهُ فِيهِ الْعِزَاءَ، وَمَا أَكْثَرَ هَذَا الضَّرْبَ فِي النَّاسِ - لَا كَثَرَهُمْ اللَّهُ! - وَهُمْ أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ، الصَّادُونَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، فَيَجْعَلُونَ الْبِدْعَةَ سُنَّةً، وَالسُّنَّةَ بَدْعَةً، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا!».

(١) الْغَائِلَةُ: الشَّرُّ وَالِدَاهِيَةُ، جَمْعُهَا غَوَائِلُ.

(٢) التَّرِيَاقُ - بِكسْرِ التَّاءِ - : دَوَاءُ السُّمِّ.



إِنْ جَرَدْتَ التَّوْحِيدَ بَيْنَهُمْ قَالُوا: تَنْقَضَتْ جَنَابَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ جَرَدْتَ الْمَتَابَعَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالُوا: أَهْدَرْتَ الْأُتَمَّةَ الْمَتَّبِعِينَ، وَإِنْ وَصَفْتَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِيرٍ - قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمُشَبَّهِينَ، وَإِنْ أَمَرْتَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُنْكَرِ - قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمَفْتُونِينَ، وَإِنْ اتَّبَعْتَ السُّنَّةَ، وَتَرَكْتَ مَا خَالَفَهَا، قَالُوا: أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُضِلِّينَ، وَإِنْ انْقَطَعْتَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، وَخَلَيْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَيْفَةِ الدُّنْيَا - قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمُلَبَّسِينَ، وَإِنْ تَرَكْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَاتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ، فَأَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ التَّمَاسُّ مَرْضَاةَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَرَسُولِهِ بِإِغْضَابِهِمْ، وَأَلَّا تَشْتَغَلَ بِأَعْتَابِهِمْ، وَلَا بِاسْتِعْتَابِهِمْ، وَلَا تُبَالِي بِذَمِّهِمْ وَلَا بِغَضِّهِمْ؛ فَإِنَّهُ عَيْنُ كَمَالِكَ، كَمَا قَالَ:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ ■■■ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ

وَقَالَ آخِرُ:

وَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي ■■■ بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِيٍّ غَيْرِ طَائِلٍ<sup>(١)</sup> (٢)

فَعَلَيْكَ - أَخِي الْحَبِيبَ - أَنْ تُرَاعِيَ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّتَّ فِيمَنْ تَتَّخِذُهُ صَدِيقًا، وَلَا تَتَسَاهَلَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

(١) رَجُلٌ غَيْرُ طَائِلٍ: حَقِيرٌ خَسِيسٌ.

(٢) «التفسير القيم» (ص ٦٣٠ - ٦٣١).



قال أبو سليمان الداراني - يرحمه الله - :

«لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل يرتفق به في أمر دنياك، أو رجل يزيد معه، وتتفع به في أمر آخرتك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير».

وقال ابن المقفع :

«على العاقل ألا يخادن»<sup>(١)</sup>، ولا يصاحب، ولا يجاور من الناس ما استطاع، إلا ذا فضل في العلم، والدين، والأخلاق؛ فيأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك؛ فيؤيد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل؛ فإن الخصال الصالحة من البر<sup>(٢)</sup> لا تحيا، ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين، وليس لذي الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال، فزاده وثبته؛ ولذلك زعم بعض الأولين أن صفة بلید نشأ مع العلماء أحب إليهم من صفة لييب نشأ مع الجهال<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حزم - يرحمه الله - :

«من طلب الفضائل لم يسأير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وحسن العشرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة. ومن طلب الجاه، والمال، واللذات، لم يسأير إلا أمثال الكلاب الكلبة<sup>(٤)</sup>، والثعالب الخلبة<sup>(٥)</sup>، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو في المعتقد، خبيث الطبيعة<sup>(٦)</sup>».

(١) يخادن : يُصادق.

(٢) البر: الطاعة، والصلاح، والصدق، وقد يراد به الأخلاق كما في الحديث: «البر: حسن الخلق». رواه مسلم (٢٥٥٣) عن النّوّاس بن سميّان الأنصاري.

(٣) «الأدب الصغير» (ص ٢٠ - ٢١).

(٤) الكلاب الكلبة: هي التي أصيبت بداء الكلب، وهو السعار.

(٥) الثعالب الخلبة: هي المخادعة التي تسلك سلوك المكر والخديعة؛ لتظفر بحاجتها.

(٦) «الأخلاق والسير» (ص ٩٢).

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ أَمِينُ الدِّينِ:

عَلَيْكَ بِأَرْيَابِ الصُّدُورِ، فَمَنْ غَدَا ■■■ جَلِيسًا لِأَرْيَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا  
وَأَيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ سَاقِطٍ ■■■ فَتَنْحَطَّ قَدْرًا مِنْ عُلَاكَ، وَتُحَقَّرَا  
ولعلَّ مِنْ أَجْمَلِ الْوَصَايَا فِي اخْتِيَارِ الرَّفِيقِ الصَّالِحِ وَصِيَّةٌ عَلَقَمَةٌ لِابْنِهِ،  
حَيْثُ قَالَ فِيهَا:

«يَا بُنَيَّ، إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرَّجَالِ حَاجَةٌ، فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتُهُ  
صَانَكَ<sup>(١)</sup>، وَإِنْ صَحِبْتُهُ زَانَكَ<sup>(٢)</sup>، وَإِنْ قَعَدْتَ بِكَ مُؤْنَةٌ<sup>(٣)</sup> مَانَكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا  
مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا،  
اصْحَبْ مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَ ابْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ<sup>(٤)</sup>  
وَأَسَاكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَمْرًا أَزْرَكَ، وَإِنْ  
تَنَازَعْتُمَا آثَرَكَ».

ثُمَّ قَالَ:

إِنْ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ ■■■ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْتُزِعَكَ  
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ<sup>(٥)</sup> صَدَعَكَ<sup>(٦)</sup> ■■■ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

(١) صَانَكَ : حفظك .

(٢) زَانَكَ : احترمتك وقدرتك .

(٣) مُؤْنَةٌ : حاجة ، وتجمعُ على مُؤْنٍ كَحُجَّةٍ وَحُجَجٍ .

(٤) نَازِلَةٌ : مُصِيبَةٌ ، وتجمعُ على نَوَازِلَ .

(٥) رَيْبُ الزَّمَانِ : حوادثُ الدَّهْرِ وَمَصَائِبُهُ .

(٦) التَّصْدَعُ : التَّشَقُّقُ ، والمراد تأثير حوادث الدَّهْرِ وإصابتها للمرء .

## المُحَاسِبَةُ



لَا بُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ مُحَاسِبَةٍ نَفْسِهِ، وَإِقَافِهَا عِنْدَ عُيُوبِهَا، فَإِنْ وَقَعَتْ فِي سَيِّئِ  
الْأَخْلَاقِ اسْتَدْرَكَهَا، وَتَعَاهَدَهَا، وَحَمَلَهَا عَلَى جَمِيلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ  
وَقْتَ اخْتِلَافِهِ بِنَفْسِهِ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ أَرْوَحُ لِلخَاطِرِ، وَأَجْمَعُ لِلْفِكْرِ.  
إِنْ زَكَاةَ النَّفْسِ وَطَهَارَتَهَا مَوْقُوفٌ عَلَى مُحَاسِبَتِهَا، فَلَا تَزْكُو، وَلَا تَطْهَرُ،  
وَلَا تَصْلُحُ الْبَتَّةَ إِلَّا بِمُحَاسِبَتِهَا.

قَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

وَحَاسِبِ النَّفْسِ تَظْفَرُ بِاسْتِقَامَتِهَا ■■■ وَعَدْلِ السَّيْرِ قَبْلَ الْعُضِّ وَالنَّدَمِ  
وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَصْدُقَ فِي مُحَاسِبَةِ نَفْسِهِ، وَلَا يَلْتَمِسَ لَهَا الْأَعْذَارَ، بَلْ عَلَيْهِ  
أَنْ يُسِيءَ الظَّنَّ بِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُمَكِّنُهُ مِنْ إِمَاطَةِ اللَّثَامِ عَنْ مَسَاوِيهَا وَعُيُوبِهَا.  
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«وَأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ فَإِنَّمَا احْتِاجَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ يَمْنَعُ مِنْ  
كَمَالِ التَّفْتِيشِ، وَيُلَبِّسُ عَلَيْهِ، فَيَرَى الْمَسَاوِيَ مَحَاسِنَ، وَالْعُيُوبَ كَمَالاً، فَإِنَّ  
الْمُحِبَّ يَرَى مَسَاوِيَ مَحْبُوبِهِ وَعُيُوبَهُ كَذَلِكَ.

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ■■■ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَ



وَلَا يُسِيءُ الظَّنُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ، فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَالْمَرْءُ حَظُّهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ بِقَدْرِ حَظِّهِ مِنْ نُورِ الْحِكْمَةِ الَّذِي نَوَّرَ اللَّهُ بِهِ قُلُوبَ أَتْبَاعِ رَسُولِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - .

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - أَيْضًا - :

«وَنُورُ الْحِكْمَةِ هَاهُنَا هُوَ الْعِلْمُ، الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالضَّارَّ وَالنَّافِعَ، وَالكَامِلَ وَالنَّاقِصَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَيُبْصِرُ بِهِ مَرَاتِبَ الْأَعْمَالِ، رَاجِحَهَا وَمَرْجُوحَهَا، وَمَقْبُولَهَا وَمَرْدُودَهَا، وَكُلَّمَا كَانَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا النُّورِ أَقْوَى، كَانَ حَظُّهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ جَمِيلِ مَا قِيلَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

«حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيِّنُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

وَيُرَوَّى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَوْلُهُ:

«لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ، كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ، مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ؟»<sup>(٤)</sup>.

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (ص ١٧٧-١٧٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٧٧).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٤٥٩) موقوفًا على عمر، انظر «تحفة الأحوذني» (٧/ ١٥٥).

(٤) «سنن الترمذي» (٢٤٥٩).



وَمُحَاسَبَةُ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْبَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ، وَالتَّرَقِّي فِي مَعَالِي الْأَخْلَاقِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ:

«مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ:

«أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وتعليقاً عليه نقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال - يرحمهم الله - قوله:

«إِنَّهُمْ خَافُوا؛ لِأَنَّهُمْ طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ، حَتَّى رَأَوْا مِنَ التَّغْيِيرِ مَا لَمْ يَعْهَدُوهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِنكَارِهِ، فَخَافُوا أَنْ يَكُونُوا دَاهِنُوا بِالسُّكُوتِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

هِيَ النَّفْسُ، إِنْ أَنْتَ سَامَحْتَهَا ■■■ رَمَتْ بِكَ أَقْصَى مَهَاوِي الْخَدِيعَةِ

فَإِنْ شِئْتَ فَوْزًا فَنَاقِضُ هَوَاهَا ■■■ وَإِنْ وَاصَلْتِكَ أَجْزَاهَا الْقَطِيعَةُ<sup>(٤)</sup>

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ:

«لِيَحْسُنَ تَعَاهُدُكَ لِنَفْسِكَ، بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيْرِ أَهْلًا؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، أَتَاكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ، كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ السَّيْلَ إِلَى الْحُدُورَةِ»<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري في «الإيمان»، بابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبُطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

(٢) التَّخْرِيجُ السَّابِقُ.

(٣) «فتح الباري» (١/١١١).

(٤) «نفح الطيب» (٧/٣٦٢).

(٥) الْحُدُورَةُ: المنخفض من الأرض.

(٦) «الأدب الصغير، والأدب الكبير» (ص ٢٠).

وَقَالَ - أَيْضًا - :

«وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيَهَا فِي الدِّينِ، وَفِي الْأَخْلَاقِ، وَفِي الْأَدَابِ، فَيَجْمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي صَدْرِهِ، أَوْ فِي كِتَابٍ، ثُمَّ يَكْثُرَ عَرْضُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُكَلِّفَهَا إِصْلَاحَهُ، وَيُوظِّفَ ذَلِكَ عَلَيْهَا تَوْظِيفًا مِنْ إِصْلَاحِ الْخَلَّةِ، وَالْخَلَّتَيْنِ، وَالْخِلَالِ فِي الْيَوْمِ، أَوْ الْجُمُعَةِ، أَوْ الشَّهْرِ.

فَكُلَّمَا أَصْلَحَ شَيْئًا مَحَاهُ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى مَحْوٍ اسْتَبَشَرَ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى ثَابِتٍ اكَتَابَ»<sup>(١)</sup>.

وَأَخِيرًا يَقُولُ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ، كَمْ تَسْعَى لَخِدْمَتِهِ؟ ■■■ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانٌ؟  
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ، وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ■■■ فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ - لَا بِالْجِسْمِ - إِنْسَانٌ<sup>(٢)</sup>



(١) المرجع السابق.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٧٠).

## المُجَاهِدَةُ



قَدْ مَرَّ مَعَنَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ إِذَا لَمْ يُطَبَّعْ عَلَيْهَا الْمَرْءُ نَالَهَا بِالْمُجَاهِدَةِ، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ بِصِدْقٍ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ - مِنَ الْهِدَايَةِ، وَالْمَعُونَةِ، وَالتَّوْفِيقِ عَلَى تَحْصِيلِ مَطْلُوبِهِ - أُمُورٌ إِلَهِيَّةٌ خَارِجَةٌ عَنْ مَدْرَكِ اجْتِهَادِهِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩).

وَمِنْ دُرَرِ الْإِمَامِ ابْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ:

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَرَكَاتِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فِي حَقِّهِ اللَّهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ يُعْطَفُ عَلَيْكَ، فَيُسَخَّرُهَا لَكَ، وَيُطَوِّعُهَا لِأَمْرِكَ، حَتَّى تَنْقَادَ لَكَ، وَيُسْقِطُ عَنْكَ مَثُونَةَ النَّزَاعِ لَهَا وَالْمُجَاهِدَةِ، حَتَّى تَصِيرَ طَوْعَ يَدِكَ وَأَمْرِكَ - تَعَاْفَ الْمُسْتَطَابَ عِنْدَهَا، إِذَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ خَبِيثًا، وَتَوَثَّرَ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهَا بِالْأَمْسِ كَرِيهًا، وَتَسَخَّفَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهَا ثَقِيلًا، حَتَّى تَصِيرَ رِقًّا لَكَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُسْتَرْقُّكَ»<sup>(١)</sup>.

وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ يَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهَا عَزِيزَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ.

(١) «كتاب الفنون» (٢/٤٩٦).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَعَلِمَ أَنَّ رِيَاضَةَ النَّفْسِ أَصْعَبُ مِنْ رِيَاضَةِ الْأَسَدِ؛ لِأَنَّ الْأُسْدَ إِذَا سُجِنَتْ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تَتَّخِذُ لَهَا الْمُلُوكُ، أُمِنَ مِنْ شَرِّهَا، وَالنَّفْسُ - وَإِنْ سُجِنَتْ -، لَمْ يُؤْمِنْ شَرُّهَا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ - أَيْضًا -:

«كَانَتْ فِي عِيُوبٍ، فَلَمْ أَزَلْ - بِالرِّيَاضَةِ، وَاطَّلَاعِي عَلَى مَا قَالَتْ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، وَالْأَفْضَلُ مِنَ الْحُكَمَاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ وَالْمَتَقَدِّمِينَ فِي الْأَخْلَاقِ، وَفِي آدَابِ النَّفْسِ - أُعَانِي مُدَاوَاتِهَا، حَتَّى أَعَانَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى أَكْثَرِ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ وَمَنِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِي:

فَلَمْ أَجِدِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا تَخَلُّقًا ■■■ وَلَمْ أَجِدِ الْأَفْضَالَ إِلَّا تَفْضُلًا<sup>(٣)</sup>



(١) «الأخلاق والسير» (ص ١٦٧).

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٧).

هنا فائدة: قال العلامة ابنُ قدامة المقدسي: «وَقَدْ زَعَمَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْبَطَالَةُ، فَاسْتَثْقَلَ الرِّيَاضَةَ أَنَّ الْأَخْلَاقَ لَا يَتَصَوَّرُ تَغْيِيرَهَا، كَمَا لَا يَتَصَوَّرُ تَغْيِيرُ صُورَةِ الظَّاهِرِ!».

والجواب: أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْأَخْلَاقُ لَا تَقْبَلُ التَّغْيِيرَ، لَمْ يَكُنْ لِلْمَوَاعِظِ وَالْوَصَايَا مَعْنَى، كَيْفَ تَنْكَرُ تَغْيِيرَ الْأَخْلَاقِ، وَنَحْنُ نَرَى الصَّيْدَ الْوَحْشِيَّ يَسْتَأْنَسُ، وَالْكَلْبَ يُعَلِّمُ تَرْكَ الْأَكْلِ، وَالْفَرَسَ تُعَلِّمُ حُسْنَ الْمَشْيِ، وَجُودَةَ الْإِنْقِيَادِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الطَّبَاعِ سَرِيعَةُ الْقَبُولِ لِلصَّلَاحِ، وَبَعْضُهَا مُسْتَصْعَبَةٌ؟! «مختصر منهاج القاصدين» (ص ١٥٢).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٢).



## الاستفادة من الآخرين



اللَّيْبُ يَسْتَفِيدُ مِنْ كُلِّ مَنْ يُخَالِطُهُ، سَوَاءُ أَكَانَ نَاقِصاً أَمْ كَامِلاً، وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ وَالْحُكَمَاءِ يَتَعَلَّمُونَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْمَوْصُوفِينَ بِأُصْدَادِهَا!

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَعَلَّمُ الْمَرْوَةَ، وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْمَوْصُوفِينَ بِأُصْدَادِهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْأَكَابِرِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ، فَظُسَ، غَلِظَ، لَا يُنَاسِبُهُ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَدْرُسُ عَلَيْهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ!».

وهذا يكونُ بمعرفةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي ضِدِّ أَخْلَاقِهِ، وَيَكُونُ بِتَمَرِينِ النَّفْسِ عَلَى مُصَاحَبَتِهِ، وَمُعَاشَرَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الرُّجَالَ إِذَا اخْتَبَرْتَ طِبَاعَهُمْ □□□ أَلْفَيْتَهُمْ شَتَّى عَلَى الْأَخْبَارِ  
لَا تَعْجَلَنَّ إِلَى شَرِيعَةٍ مَوْرِدٍ □□□ حَتَّى تَبَيِّنَ خُطَّةَ الْإِصْدَارِ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«لِكُلِّ شَيْءٍ فَائِدَةٌ، وَلَقَدْ انْتَفَعْتُ بِمَحْكِّ أَهْلِ الْجَهْلِ<sup>(٣)</sup> مِنْفَعَةً عَظِيمَةً، وَهِيَ

(١) «مدارج السالكين» (٢/٣٣٥).

(٢) «عيون الأخبار» (٣/١٧٢).

(٣) أي: بالتعرُّضِ لشرِّهم والتَّمَرُّسِ بهم.

أنّه توقّدَ طَبْعِي، واحتدّمَ خَاطِرِي، وحميَ فِكْرِي، وتَهَيَّجَ نَشَاطِي، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى تَوَالِيفَ لِي عَظِيمَةِ الْمَنَفَعَةِ، وَلَوْلَا اسْتِثَارُهُمْ سَاكِنِي، واقتدّاحُهُمْ كَامِنِي، مَا انْبَعَثَتْ لَتَلِكَ التَّوَالِيفِ<sup>(١)</sup>.

### قال الشاعر:

مَتَى تَصْنُفُوا لَكَ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ ■■■ إِذَا لَمْ تَرْضَ مِنْهَا بِالْمِزَاجِ!  
أَلَمْ تَرَجَوْهَ الدُّنْيَا الْمُصَفَّى ■■■ وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْبَحْرِ الْأُجَاجِ!<sup>(٢)</sup>  
وَرُبُّ مُخِيفَةٍ فَجَأَتْ بِهِوْلٍ ■■■ جَرَتْ بِمَسْرَةٍ لَكَ وَابْتِهَاجِ!  
وَرُبُّ سَلَامَةٍ بَعْدَ امْتِنَاعٍ ■■■ وَرُبُّ إِقَامَةٍ بَعْدَ اغْوِجَاجِ!

وَلَا يَقِفُ الْأَمْرُ هَاهُنَا، بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُقَلَاءِ يَتَعَلَّمُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أُمُورًا تَنْفَعُهُ فِي مَعَاشِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَصِنَاعَتِهِ، وَحَرَبِهِ، وَحَزْمِهِ، وَصَبْرِهِ.

قِيلَ لِرَجُلٍ: مَنْ عَلَّمَكَ الْبُكُورَ فِي حَوَائِجِكَ أَوَّلَ النَّهَارِ، لَا تُخِلُّ بِهِ؟! .

قَالَ: مَنْ عَلَّمَ الطَّيْرَ تَغْدُوَ خِمَاصًا<sup>(٣)</sup> كُلَّ بُكْرَةٍ<sup>(٤)</sup> فِي طَلَبِ أَقْوَاتِهَا عَلَى قُرْبِهَا وَبُعْدِهَا، لَا تَسْأَلُ ذَلِكَ، وَلَا تَخَافُ مَا يَعْزِضُ لَهَا فِي الْجَوِّ وَالْأَرْضِ؟! .

وَقِيلَ لِآخَرَ: مَنْ عَلَّمَكَ السُّكُونَ، وَالتَّحْفُظَ، وَالتَّمَاوَتَ حَتَّى تَظْفَرَ بِأَرْبِكَ<sup>(٥)</sup>، فَإِذَا ظَفَرْتَ بِهِ وَثَبْتَ وَثُوبَ الْأَسَدِ عَلَى فَرِسَتِهِ؟! .

(١) «الأخلاق والسير» (ص ١٢٨).

(٢) الأُجَاجُ : المالح.

(٣) تَغْدُو خِمَاصًا : تذهب صباحًا جائعة ضامرة البطن، ومفرد خِمَاصٍ خُمُصَانٌ للمذكر، وخُمُصَانَةٌ للمؤنث.

(٤) بُكْرَةٌ : صباح، والجمع بُكُرٌ.

(٥) الْأَرْبُ : الحاجة.

قَالَ: الَّذِي عَلَّمَ الْهَرَّةَ أَنْ تَرَصُدَ جُحَرَ الْفَأْرَةِ، فَلَا تَتَحَرَّكَ، وَلَا تَتَلَوَّى، وَلَا تَخْتَلِجُ، كَأَنَّهَا مَيِّتَةٌ، حَتَّى إِذَا بَرَزَتْ لَهَا الْفَأْرَةُ، وَثَبَتْ عَلَيْهَا كَالْأَسَدِ!

وَقِيلَ لِآخَرٍ: مَنْ عَلَّمَكَ حُسْنَ الْإِيثَارِ، وَالسَّمَاحَةِ بِالْبُذْلِ؟

قَالَ: مَنْ عَلَّمَ الدِّيكَ يُصَادُفُ الْحَبَّةَ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَلَا يَأْكُلُهَا، بَلْ يَسْتَدْعِي الدَّجَاجَ، وَيَطْلُبُهُنَّ طَلَبًا حَثِيثًا، حَتَّى تَجِيءَ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ فَتَلْقُطُهَا، وَهُوَ مَسْرُورٌ بِذَلِكَ، طَيِّبُ النَّفْسِ بِهِ؟!!

قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ، وَلَا الْخَوْ ■■■ فَوَلَكِنْ يَلِدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ ■■■ بٌ، وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ

وَكَذَلِكَ كَرَامُ الْأَسْوَدِ وَأَشْرَافُهَا يُتَعَلَّمُ مِنْهَا الْأَنْفَةُ، وَعِزَّةُ النَّفْسِ؛ فَهِيَ لَا تَأْكُلُ إِلَّا مِنْ فَرِسَتِهَا، وَإِذَا مَرَّتْ بِفَرِيسَةٍ غَيْرِهَا، لَمْ تَدْنُ مِنْهَا وَلَوْ جَهْدَهَا الْجُوعُ<sup>(١)</sup>.

وَكُنْتُ إِذَا صَحَبْتُ رَجَالَ قَوْمٍ ■■■ صَحَبْتُهُمْ وَشِيمَتِي<sup>(٢)</sup> الْوَفَاءُ

فَأَحْسَنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ ■■■ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا

وَأُبْصِرُ مَا يَعْيِبُهُمْ بَعَيْنٌ ■■■ عَلَيْهَا مِنْ عُيُوبِهِمْ غِطَاءُ

أُرِيدُ رِضَاهُمْ أَبَدًا، وَآتِي ■■■ مَشِيئَتَهُمْ، وَأَتْرِكُ مَا أَشَاءُ<sup>(٣)</sup>



(١) الشِّيمَةُ: الْخُلُقُ، وَالْجَمْعُ شِيَمٌ.

(٢) انظر «شفاء العليل» (ص ١٦٢ - ١٦٣) بتصرف.

(٣) «المروءة الغائبة» (ص ٤٢).

## عُلُوُّ الْهِمَّةِ



الْهِمَّةُ أَصْلٌ مُهِمٌّ مِنْ أَصُولِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْهِمَّةُ مَا هُمَّ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيُفْعَلَ<sup>(١)</sup>. وَمَحَلُّهَا الْقَلْبُ.

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ:

«الْهَمُّ: هُوَ عَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يُفْعَلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَالْهِمَّةُ: تَوَجُّهُ الْقَلْبِ وَقَصْدُهُ بِجَمِيعِ قُوَّاهُ الرُّوحَانِيَّةِ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ لِحَصُولِ الْكَمَالِ لَهُ، أَوْ لغيرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقِيلَ: «عُلُوُّ الْهِمَّةِ: هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النَّهَايَةِ مِنْ مُعَالِي الْأُمُورِ»<sup>(٣)</sup>.

وَتَعْلُوُّ أَخْلَاقِ الْمَرْءِ وَتَسْمُوُّ بِقَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَهِيَ لَا تَزَالُ تُضْرَبُ صَاحِبَهَا بِسَيَاطِ الْبُلُومِ وَالتَّائِبِ، حَتَّى تَرْفَعَهُ إِلَى مُعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافِهَا، وَهَلْ تَنْشَأُ مُعَالِي الْأَخْلَاقِ إِلَّا مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ؟!.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ، وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَمَنْ دَنَتْ هِمَّتُهُ، وَطَغَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «القاموس المحيط» (ص ١٥١٢).

(٢) «التعريفات» (ص ٣٢٠).

(٣) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٦).

(٤) «الفوائد» (ص ٢١١).



وقال - ايضاً - :

«فالنُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ لَا تَرْضَى مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِأَعْلَاهَا، وَأَفْضَلَهَا، وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً، وَالنُّفُوسُ الدَّنِيَّةُ تَحُومُ حَوْلَ الدَّنَاءَاتِ، وَتَقَعُ عَلَيْهَا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى الْأَقْدَارِ، فَالنُّفُوسُ الْعَلِيَّةُ لَا تَرْضَى بِالظُّلْمِ، وَلَا بِالْفَوَاحِشِ، وَلَا بِالسَّرِقَةِ، وَلَا بِالْخِيَانَةِ؛ لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ، وَالنُّفُوسُ الْمُهِينَةُ بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا وَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ فِي حَقِّ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مِنَ الْحَرِيصِينَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرَجَالًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»<sup>(٤)</sup>، حَبَسَهُمْ<sup>(٥)</sup> الْمَرَضُ. وَفِي رَوَايَةٍ: «حَبَسَهُمُ الْعَذَرُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق (ص ٢٦٦).

(٢) رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٣١/١٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١/١٨٩٠)، «وَالصَّحِيحَةُ» (١٣٧٨).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ (١٣١).

(٤) يَعْنِي: فِي إِدْرَاكِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

(٥) حَبَسَهُمْ: مَنَعَهُمْ.

(٦) رواه البخاريُّ (٢٨٣٩) وَ(٤٤٢٣)، عَنْ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ (١٩١١) عَنْ جَابِرٍ.

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ سِرْتُمْ جُسُومًا، وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا  
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ، وَعَنْ قَدَرٍ. وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ فَقَدْ رَاحَا  
فَحَرِيٌّ بِالْمَرْءِ أَلَّا تَقِفَ بِهِ هَمَّتُهُ دُونَ الْجَنَّةِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ كَانَتْ  
الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِبَةٌ، وَمَنْ  
كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا  
مَا قَدَّرَ لَهُ» (١).

وَعَلَّمَنَا نَبِيُّنَا - ﷺ - عُلُوَّ الْهَمَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الدُّعَاءِ، فَأَمَرَنَا أَنْ  
نَسْأَلَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ فَضْلِهِ، وَلَا نَسْتَعْظِمُ شَيْئًا فِي قَدْرِ اللَّهِ وَجُودِهِ.  
عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ  
فَلَيْسَتْ كَثِيرٌ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ» (٢).

وَفِي لَفْظٍ: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلَيْسَتْ كَثِيرٌ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -» (٣).

وَعَنْ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا  
سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ؛ فَإِنَّهُ سِرُّ الْجَنَّةِ» (٤) (٥).

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وروى ابنُ ماجة نحوه من حديث زيد بن ثابت (٤١٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٦٥١٠، ٦٥١٦)، و«الصحيح» (١٣٢٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/٥٩١)، و«الصحيح» (١٣٢٥).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/٤٣٧)، و«الصحيح» (١٢٦٦).

(٤) سِرُّ الْجَنَّةِ: أفضلُ موضعٍ فيها. والسرُّ: جَوْفُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَبُّهُ وَخَالَصُهُ.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/٥٩٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَرْدَوِيُّ:

يَا صَاحِبَ الْهَمَّةِ الْعُلْيَا، وَهَلْ حَمَلْتَ ■■■ رُوحَ الرُّسَالَاتِ إِلَّا رُوحَ مُخْتَارٍ<sup>(٢)</sup> ؟  
 أَعْلَى الْمَنَاصِبِ مَا شَادَتْ<sup>(٣)</sup> لِصَاحِبِهَا ■■■ مِنْ الْعُلَى وَالْمَعَالِي نَصَبَ تَذْكَارٍ<sup>(٤)</sup>  
 فِي كَفِّهِ شُعْلَةٌ تَهْدِي، وَفِي دَمِهِ ■■■ عَقِيدَةٌ تَتَّحِدُ كُلَّ جَبَّارٍ  
 وَمِنْ دُرَرِ ابْنِ الْقَيْمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ:

«الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ عَلَى الْهَمِّ كَالطَّائِرِ الْعَالِي عَلَى الطُّيُورِ، لَا يَرْضَى بِمَسَاقِطِهِمْ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْآفَاتُ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ الْهَمَّةَ كُلَّمَا عَلَتْ بَعُدَتْ عَنْ وُصُولِ الْآفَاتِ إِلَيْهَا، وَكُلَّمَا نَزَلَتْ قَصَدَتْهَا الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنَّ الْآفَاتِ قَوَاطِعُ وَجَوَازِبُ، وَهِيَ لَا تَعْلُو إِلَى الْمَكَانِ الْعَالِيِّ فَتَجْتَذِبُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا تَجْتَذِبُ مِنَ الْمَكَانِ السَّافِلِ، فَعَلُّوْهُ هِمَّةَ الْمَرْءِ عُنْوَانُ فَلَاحِهِ، وَسُقُوبُ هِمَّتِهِ عُنْوَانُ حِرْمَانِهِ»<sup>(٥)</sup>.

قُلْتُ لِلصَّقَرِ - وَهُوَ فِي الْجَوِّ عَالٍ - ■■■ اهْبِطِ الْأَرْضَ؛ فَالْهَوَاءُ جَدِيبُ  
 قَالَ لِي الصَّقَرُ: فِي جَنَاحِي وَعِزُّمِي ■■■ وَعَنَانِ السَّمَاءِ<sup>(٦)</sup> مَرْعَى خَصِيبٍ<sup>(٧)</sup>

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠) و(٤٧٢٣).

(٢) روح مختار: محمد - صلوات الله وسلامه عليه - . (٣) شادت: بنت وكونت.

(٤) النصب التذكري: ما رُفِعَ من الحجارة وغيرها تخليداً لذكرى العظماء.

(٥) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧١ - ١٧٢).

(٦) عَنَانِ السَّمَاءِ: هو السحاب، الواحدة عَنَانَةٌ.

(٧) «ديوان المثاني» (ص ٣٥).



وقال أبو فراس الحمداني - مُفْتَخِرًا بَعْلُو هِمَّتِهِ، عَائِبًا عَلَى مَنْ سَفَلَتْ  
هِمَّتُهُ، وَاسْتَرْقَاهُ هَوَاهُ - :

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةٌ <sup>(١)</sup> □ □ □ وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابٌ <sup>(٢)</sup>  
ولكنني - والحمد لله - حَازِمٌ □ □ □ أَعِزُّ إِذَا ذَلَّتْ لَهْنُ رِقَابُ  
وَلَا تَمْلِكُ الْحَسَنَاءُ قَلْبِي كُلَّهُ □ □ □ وَإِنْ مَلَكَتْهَا رَوْقَةٌ <sup>(٣)</sup> وَشَبَابُ  
وَأَجْرِي وَلَا أُعْطِي الْهَوَى فُضْلَ سُودْدِي □ □ □ وَأَهْدِي، وَلَا يَخْضِي عَلَيَّ صَوَابٌ <sup>(٤)</sup>

وعالي الهمة قد يشتد حرصه على معالي الأخلاق وأشرافها، حتى لا يكاد  
يشعر بما يلاقيه من جهل الجاهلين، وعناد المعاندين.

قال محمود سامي البارودي:

وَمَنْ تَكُنْ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ □ □ □ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبٌّ <sup>(٥)</sup>

وقال أبو الطيب:

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَائِمُ <sup>(٦)</sup> □ □ □ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا □ □ □ وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ <sup>(٧)</sup>

(١) خريدة: الحسناء، والجمع خرد، وخرائد.

(٢) كعاب - بالفتح - : وهي ناهدة الثدي مستديرته، والجمع كواعب.

(٣) الروقة: حسن النظر.

(٤) «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص ١٣).

(٥) «جواهر الأدب» (ص ٥٢٨).

(٦) العزائم: جمع عزيمة، وهي الإرادة.

(٧) «ديوان أبي الطيب» (٣/ ٣٧٨ - ٣٧٩).



وَعَالِي الْهِمَّةِ لَا يَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، وَلَا يَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ،  
يَنْهَضُ إِلَى الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ، وَيُرْمِي إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ، يَقُومُ بِجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ  
الَّتِي تَسْتَعِصِي عَلَى أُولِي الْقُوَّةِ مِنَ الرِّجَالِ، فَلَا يَتَبَرَّمُ<sup>(١)</sup>، وَلَا يَقْلُقُ، وَلَا  
يَشْكُو، وَلَا يَتَعَبُ.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرْوَمٍ<sup>(٢)</sup> ■■■ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ  
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ ■■■ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ<sup>(٣)</sup>



(١) التَّبَرُّمُ: التَّضَجُّرُ.

(٢) مَرْوَمٌ: مَقْصُودٌ وَمَطْلُوبٌ مِنْ رَأَمٍ يَرُومُ الشَّيْءَ، إِذَا قَصَدَهُ وَطَلَبَهُ.

(٣) «ديوان أبي الطَّيِّبِ» (٣/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

## النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ سُوءِ الْخُلُقِ



سَيِّئُ الْخُلُقِ مذكورٌ بالذِّكْرِ الْقَبِيحِ، يَمُقُّهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيُبْغِضُهُ الرَّسُولُ - ﷺ -، وَيُبْغِضُهُ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «وَأَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ - أَسْوَأُكُمْ اخْلَاقًا»<sup>(١)</sup>.

وَسَيِّئُ الْخُلُقِ هُوَ مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُهُ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ أُذُنِيهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُ»<sup>(٢)</sup>.

بَلْ إِنْ سَيِّئَ الْخُلُقِ يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ الْهَمُّ، وَالْغَمُّ، وَالْكَدَرُ، وَضِيقَ الْعَيْشِ، وَيَجْلِبُ لِغَيْرِهِ الشَّقَاءُ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«السَّيِّئُ الْخُلُقِ أَشَقَى النَّاسِ بِهِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، هِيَ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَدْخُلُ بَيْتَهُ، وَإِنَّهُمْ لَفِي سُرُورٍ، فَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ،

(١) رواه أحمد (١٩٣/٤ - ١٩٤)، وابن حبان (٤٨٢)، وابن أبي شيبة (٥١٥/٨)، والبخاري (٢٠١٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢١/٨): رجاله رجال الصَّحِيح، وحسنه الألباني في «الصَّحِيحَة» (٧٩١).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٢٧/١)، و«الصَّحِيحَة» (١٧٤٠).

فَيَنْفِرُونَ مِنْهُ فَرَقًا<sup>(١)</sup>، وَحَتَّى إِنَّ دَابَّتَهُ تَحِيدُ<sup>(٢)</sup> مِمَّا يَرْمِيهَا بِالْحَجَارَةِ، وَإِنَّ كَلْبَهُ لَيَرَاهُ فَيَنْزُو<sup>(٣)</sup> عَلَى الْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ قِطْعَهُ لَيَفِرُّ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَمْ تَتَّسِعْ أَخْلَاقُ قَوْمٍ ■■■ تَضِيقُ بِهِمْ فَسِيحاتُ الْبِلَادِ<sup>(٥)</sup>

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ:

«سُوءُ الْخُلُقِ سَيِّئَةٌ، لَا تَنْفَعُ مَعَهَا كَثْرَةُ الْحَسَنَاتِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ حَسَنَةٌ، لَا تَضُرُّ مَعَهَا كَثْرَةُ السَّيِّئَاتِ»<sup>(٦)</sup>.

وَصَدَقَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ»<sup>(٧)</sup>.

وَقَالَ صَاحِبُ الْإِحْيَاءِ:

«الْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ هِيَ السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ، وَالْمُهْلَكَاتُ الدَّامِغَةُ، وَالْمَخَازِي الْفَاضِحَةُ، وَالرَّذَائِلُ الْوَاضِحَةُ، وَالْخَبَائِثُ الْمُبْعِدَةُ عَنْ جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

(١) الْفَرْقُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : الْخَوْفُ، وَبَابُهُ فَرَحَ.

(٢) تَحِيدُ: تَمِيلُ عَنْهُ وَتُعْرِضُ.

(٣) يَنْزُو: يَثْبُ.

(٤) «السَّيْرُ» (٩٩/٦).

(٥) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» (ص ٢٤٣).

(٦) «الْإِحْيَاءُ» (٥١/٣).

(٧) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١/١٧٦)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (٩٠٦).

الْمُنْخَرِطَةُ بِصَاحِبِهَا فِي سِلْكِ الشَّيَاطِينِ، وَهِيَ الْأَبْوَابُ الْمَفْتُوحَةُ إِلَى نَارِ اللَّهِ - تَعَالَى - الْمُوقَدَةِ، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ<sup>(١)</sup>.  
وقال - أيضاً :-

«الْأَخْلَاقُ الْخَبِيثَةُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ، وَأَسْقَامُ النُّفُوسِ، إِلَّا أَنَّهُ مَرَضٌ يُفَوِّتُ حَيَاةَ الْأَبَدِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقال الأحنفُ بن قيس:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَاءِ الدَّاءِ؟». قالوا: «بلى». قال: «الْخُلُقُ الدُّنْيِيُّ، وَاللِّسَانُ الْبَذْيِيُّ»<sup>(٣)</sup>.  
وقال بعضُ الحُكَمَاءِ:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ»<sup>(٤)</sup>.  
وقال بعضُ الْبُلْغَاءِ:

«الْحَسَنُ الْخُلُقِ مِنْ نَفْسِهِ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ»<sup>(٥)</sup>.

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ ■■■ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ<sup>(٦)</sup> مَأْتِمًا وَعَوِيلًا<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>



(١) و (٢) «الإحياء» (٤٧/٣).

(٣) و (٤) و (٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٢).

(٦) المأتم: اجتماع النساء للنباحة، والجمع مأتم.

(٧) العويل - بالفتح - : رفع الصوت بالبكاء، تقول منه: أعول أعوالاً.

(٨) «الشوقيات» (١/١٨٣).



## صور من الأخلاق

- |  |  |
|--|--|
| ١. الحياء.                             | ٢. ير الوالدَين.                           |
| ٣. صلة الرَّحِم.                       | ٤. حُسْنُ الجِوار.                         |
| ٥. حُسْنُ السَّمَتِ.                   | ٦. الوقار.                                 |
| ٧. الرِّفْقُ.                          | ٨. الرَّحْمَةُ.                            |
| ٩. التَّواضُعُ.                        | ١٠. الحِلْمُ.                              |
| ١١. الكَرَمُ.                          | ١٢. إِكْرَامُ الضَّيْفِ.                   |
| ١٣. المُرُوَّةُ.                       | ١٤. الصَّبْرُ.                             |
| ١٥. الانتصارُ.                         | ١٦. الإنصافُ.                              |
| ١٧. المَدَاراةُ.                       | ١٨. الصدقُ.                                |
| ١٩. حُسْنُ الظَّنِّ.                   | ٢٠. تَجَنُّبُ الغَضَبِ.                    |
| ٢١. تَجَنُّبُ الحَقْدِ.                | ٢٢. تَجَنُّبُ الحَسَدِ.                    |
| ٢٣. غَضُّ البَصَرِ.                    | ٢٤. الغَيْرَةُ.                            |
| ٢٥ - عَدَمُ الانشغالِ بعيوبِ النَّاسِ. | ٢٦. حِفْظُ اللِّسَانِ.                     |
| ٢٧. تَجَنُّبُ آفاتِ اللِّسَانِ، ومنها: |  |
| ( أ ) الغيبةُ.                         | ( ب ) النَّمِيمةُ.                         |
| ( ج ) الكَذِبُ.                        | ( د ) اللَّعْنُ.                           |
| ( هـ ) السُّخْرِيَّةُ.                 | ( و ) البَدَأةُ والتَّفَحُّشُ في القَوْلِ. |
| ( ز ) شَهَادَةُ الزُّورِ.              | ( حـ ) إفشاءُ الأسرارِ.                    |
| ( ط ) المَدْحُ المَذْمُومُ.            |  |



## صور من الأخلاق

### الحَيَاءُ



**الحَيَاءُ فِي اللُّغَةِ:** تَغْيِيرٌ وَانكِسَارٌ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفٍ مَا يُعَابُ بِهِ .  
**وَفِي الشَّرْعِ:** خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ، وَاجْتِنَابِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالتَّخْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

#### ■ أنواعُ الحَيَاءِ:

«الحَيَاءُ قِسْمَانِ: غَرِيزِيٌّ، وَمُكْتَسَبٌ. والحَيَاءُ المُكْتَسَبُ: هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ الْمُكْلَفُ بِهِ دُونَ الْغَرِيزِيِّ، وَقَدْ يَنْطَبِعُ الشَّخْصُ بِالْمُكْتَسَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَالْغَرِيزِيِّ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ<sup>(١)</sup> فِي خِدْرِهَا<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي الذُّرْوَةِ<sup>(٣)</sup> الْعُلْيَا<sup>(٤)</sup>».

«وَيَنْقَسِمُ - أَيْضًا - إِلَى قَسْمَيْنِ: شَرْعِيٌّ، وَغَيْرِ شَرْعِيٍّ. فَالشَّرْعِيُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْإِجْلَالِ وَالْاحْتِرَامِ لِلْأَكَابِرِ، وَهُوَ مُحْمُودٌ، وَأَمَّا مَا يَقَعُ سَبَبًا لتركِ أَمْرٍ شَرْعِيٍّ، فَهُوَ مَذْمُومٌ، وَلَيْسَ بِحَيَاءٍ شَرْعِيٍّ، وَإِنَّمَا ضَعْفٌ وَمَهَانَةٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الْعَذْرَاءُ: الْبِكْرُ، وَالْجَمْعُ الْعَذَارَى - بفتح الرَّاءِ وَكسرها - ، وَالْعَذْرَايُ - بتشديد الياء - ، وَالْعَذْرَاوَاتُ .  
 (٢) الْخِدْرُ: سِتْرٌ تَجْعَلُهُ الْبِكْرُ فِي جَنْبِ الْبَيْتِ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْبِكْرِ حَالِ اخْتِلَافِهَا بِالزَّوْجِ

الَّذِي لَمْ تَعْرِفْهُ قَبْلُ، وَاسْتَحْيَا مِنْهَا .

(٣) ذُرْوَةُ الشَّيْءِ - بضم الدالِ وَكسرها - : أَعْلَاهُ وَنَهَائَتُهُ، وَالْجَمْعُ ذُرَا .

(٤) «فتح الباري» (١٠/٥٢٢ - ٥٢٣) .

(٥) المرجع السابق (١/٢٢٩) .

## ■ مكانة الحياء ومنزلته في الدين:

وصف الرسول - ﷺ - الحياء بأوصاف تدل على خطورته، وسمو منزلته منها:

١. أنه صفة من صفات الله - سبحانه وتعالى -:

عن يعلى بن أمية أن رسول الله - ﷺ - رأى رجلاً يغتسل بالبراز<sup>(١)</sup> بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «إن الله - عز وجل - حليم، حيي<sup>(٢)</sup>، ستير يحب الحياء والستر؛ فإذا اغتسل أحدكم فليستتر<sup>(٣)</sup>».

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله رحيم، حيي، كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيراً<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

٢. أنه أبرز ما يتميز به الإسلام من مكارم الأخلاق، فهو الخلق المميز لأتباعه:

عن أنس وابن عباس - رضي الله عنهما - قالوا: قال رسول الله - ﷺ -: «إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء<sup>(٦)</sup>».

(١) البراز - بالفتح - : الفضاء الواسع.

(٢) قال صاحب بذل المجهود (٣٢٨/٨) - بتصرف -: «ومعناه على هذا: المبالغ في الحياء، والغرض والغاية من وصف الله - تعالى - به فعل ما يسر، وترك ما يضر، والعطاء من غير سؤال».

(٣) رواه أبو داود (١٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٦/١).

(٤) قال الفيروزآبادي - يرحمه الله - في «بصائر ذوي التمييز» (٥١٧/٢): «وأما حياء الرب - تبارك وتعالى - من عبده فنوع آخر، لا تذكره ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، فإنه كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحي أن يعذب شيئة شابت في الإسلام».

(٥) رواه الحاكم في «المستدرک»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٦٨/١).

(٦) رواه ابن ماجه (٤١٨١) و (٤١٨٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٤٩/١)، و«الصحيحه» (٩٤٠).



٣. أنه من الإيمان،

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء <sup>(١)</sup> من الجفاء، والجفاء في النار» <sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ على رجلٍ من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء <sup>(٣)</sup>، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «دعه؛ فإن الحياء من الإيمان» <sup>(٤)</sup>.

وعنه - أيضاً - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» <sup>(٥)</sup>.

فهذا يعني أن الحياء إذا ذهب معه الإيمان، ولا غرو <sup>(٦)</sup> فإن من فقد حياءه هبط من رذيلة إلى أخرى أشد نكراً، ولا يزال هاوياً حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل.

٤. أنه ملاك <sup>(٧)</sup> الخير؛

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الحياء خير كله»، أو قال: «كله خير» <sup>(٨)</sup>.

(١) البذاء: الفحش في الكلام.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٠٩)، ورواه ابن ماجه (٤١٨٤) عن أبي بكره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٩٩/١)، و«الصحيحه» (٤٩٥).

(٣) أي يعاتبه فيه.

(٤) رواه البخاري (٢٤) و(٦١١٨)، ومسلم (٣٦).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرک»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٠٠/١).

(٦) لا غرو؛ لا عجب.

(٧) ملاك الخير - بفتح الميم وكسر هاء - : قوامه وعماده.

(٨) رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم - واللفظ له - (٣٧).

٥. أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا »<sup>(١)</sup> .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - : « كَيْفَ اغْتَسَلُ مِنَ الْمَحِيضِ ؟ » . قَالَ : « خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً<sup>(٢)</sup> ، وَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا » . ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - اسْتَحْيَا ، فَأَعْرَضَ بَوَجْهَهُ ، أَوْ قَالَ : « تَوَضَّئِي بِهَا » . فَأَخَذَتْهَا فَجَذَبْتُهَا ، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يَرِيدُ النَّبِيُّ - ﷺ -<sup>(٣)</sup> .

٦. أَنَّهُ عُنْصُرُ النَّبْلِ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَشُوبُهُ :

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ<sup>(٥)</sup> » .

#### ■ حَيَاةُ الْقَلْبِ فِي الْحَيَاءِ :

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : « الْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَمِنْهُ الْحَيَاةُ لِلْمَطَرِ ، لَكِنْ هُوَ مَقْصُورٌ ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةٌ خُلِقَ الْحَيَاءُ ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَا ، كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ<sup>(٦)</sup> » .

فَالْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ - وَلَا سِيَّمَا خُلُقُ الْحَيَاءِ - تَتَنَاسَبُ تَنَاسُبًا طَرْدِيًّا مَعَ قُوَّةِ حَيَاةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ .

(١) رواه البخاري (٣٥٦٢) و (٦١٠٢) و (٦١١٩) ، ومسلم (٢٣٢٠) .

(٢) فِرْصَةٌ مُمَسَّكَةٌ : قِطْعَةٌ مِنْ قُطْنٍ أَوْ صُوفٍ بِهَا طِيبُ الْمِسْكِ .

(٣) رواه البخاري - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٣١٤) ، (٣١٥) و (٧٣٥٦) ، ومسلم (٣٣٢) .

(٤) شَانَهُ : عَابَهُ .

(٥) رواه الترمذي (١٩٧٤) ، وابن ماجه - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٤١٨٥) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع »

(٥٦٥٥ / ٢) .

(٦) « تهذيب مدارج السالكين » (٦٢٠ / ٢) .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - أَيْضًا :-

«وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فِي صَاحِبِهَا أَكْمَلَ، كَانَتْ حَيَاتُهُ أَقْوَى وَأَتَمَّ؛ وَلِهَذَا كَانَ خُلُقُ الْحَيَاءِ مُشْتَقًّا مِنَ الْحَيَاةِ اسْمًا وَحَقِيقَةً، فَأَكْمَلُ النَّاسِ حَيَاةً أَكْمَلُهُمْ حَيَاءً، وَنُقْصَانُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِنْ نُقْصَانِ حَيَاتِهِ؛ فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا مَاتَتْ لَمْ تُحْسَ بِمَا يُؤْلِمُهَا مِنَ الْقَبَائِحِ، فَلَا تَسْتَحِي مِنْهَا، فَإِذَا كَانَتْ صَحِيحَةً الْحَيَاةِ أَحَسَّتْ بِذَلِكَ، فَاسْتَحَيْتْ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ سَاطَرُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالصِّفَاتِ الْمَمْدُوحَةِ تَابِعَةٌ لِقُوَّةِ الْحَيَاةِ، وَضِدُّهَا مِنْ نُقْصَانِ الْحَيَاةِ، وَلِهَذَا كَانَتْ حَيَاةُ الشُّجَاعِ أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الْجَبَانَ، وَحَيَاةُ السَّخِيِّ أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الْبَخِيلِ، وَحَيَاةُ الْفَطْنِ الذَّكِيِّ أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الْفَدَمِ<sup>(١)</sup> الْبَلِيدِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - أَكْمَلَ النَّاسِ حَيَاةً - حَتَّى إِنَّ قُوَّةَ حَيَاتِهِمْ تَمْنَعُ الْأَرْضَ أَنْ تُبْلِيَ أَجْسَامَهُمْ - كَانُوا أَكْمَلَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ<sup>(٢)</sup>».

قَالَ السَّرِيُّ:

«إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْأَنْسَ يَطْرُقَانِ الْقَلْبَ، فَإِنْ وَجَدَا فِيهِ الزُّهْدَ وَالْوَرَعَ، وَإِلَّا رَحَلَا<sup>(٣)</sup>».

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ:

«خَمْسٌ مِنْ عِلَامَاتِ الشَّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَطُولُ الْأَمَلِ<sup>(٤)</sup>».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ:

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ ■■■ فَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ  
حَيَاءُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا ■■■ يَدُلُّ عَلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ<sup>(٥)</sup>

(١) الْفَدَمُ - بِالْفَتْحِ - : الْعَبِيُّ الثَّقِيلُ الْبَيْنُ الْفَدَامَةُ وَالْفُدُومَةُ.

(٣) و (٤) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (٢/٦٢١).

(٢) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/٩٤٨).

(٥) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٥٧).



## ■ أَوْجُهُ الْحَيَاءِ:

الحياءُ يكونُ من ثلاثة أوجه:

**الأوّل** - حياءُ المرءِ من خالقه - جلَّ وعلا-، والحياءُ من الله من أسمى منازلِ الحياءِ وأكرمِها، ولا غرورَ فإنَّ الإنسانَ لَيَسْتَحْيِي أَنْ يُقَدَّمَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي جَنْسِهِ - ولو نعمةً صغيرةً - أدنى إساءةٍ، فكَيْفَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ عَظِيمٌ، فَقَدْ أَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً؟! .

لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ قَدَرُوا خَالِقَهُمْ حَقَّ قَدْرِهِ، لَسَارَعُوا - بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ - إِلَى الْخَيْرَاتِ، يَفْعَلُونَهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَبَّاعَدُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ حَيَاءً وَخَجَلًا مِنْ مُقَابَلَةِ خَيْرِهِ الْمَحْضِ بِالْجُحُودِ وَالْكَفْرَانِ .

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

هَبْ<sup>(١)</sup> الْبَغْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسُلُهُ ■ ■ ■ وَجَاحِمَةَ النَّارِ<sup>(٢)</sup> لَمْ تُضْرَمْ<sup>(٣)</sup>

أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ ■ ■ ■ حَيَاءُ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعَمِ؟

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» . قُلْنَا: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» . قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنْ الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبِطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»<sup>(٤)</sup> .

(١) هَبْ: بمعنى ظَنٌّ وافترض، وهو فعل جامد ملازم للأمرية.

(٢) جاحمة النار: جهنم - أعاذنا الله منها ..

(٣) تُضْرَمْ: تُوقَد.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٥/١).



وَعَنْ بِهِزٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو يخطبُ النَّاسَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ، فَبِوَالِدِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَا ظِلُّ - حِينَ أَذْهَبُ الْغَائِطَ فِي الْفَضَاءِ - مُتَّقِنَعًا بِثُوبِي اسْتَحْيَاءً مِنْ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: «مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ مُطِيعًا، اسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ مُذْنِبٌ»<sup>(٣)</sup>.

وَفِي شَرْحِ هَذَا الْقَوْلِ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خُلُقُ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ - حَتَّى فِي حَالِ طَاعَتِهِ - فَقَلْبُهُ مُطْرَقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ إِطْرَاقَ مُسْتَحٍ خَجَلٍ، فَإِنَّهُ إِذَا وَقَعَ ذَنْبًا، اسْتَحْيَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَرَى مِنْ وَلِيِّهِ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْهِ مَا يَشِينُهُ عِنْدَهُ»<sup>(٤)</sup>.

**والثاني** - حياؤه من الناس، ويكون بكف الأذى عنهم، وترك المجاهرة بالقبيح خجلًا من أن يؤثر عنه سوء.

رُوي أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا، فَتَنَكَّبَ الطَّرِيقَ<sup>(٥)</sup> عَنْ النَّاسِ، وَقَالَ: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٧٦٩) و (٢٧٩٤)، وذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، انظر «الفتح» (٤٥٩/١)،

وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٨١٠) و «صحيح الجامع» (٢٠٣/١).

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص ٢٠).

(٣) و (٤) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/٦٢١).

(٥) تنكَّب الطريق: تجنَّبه و عدل عنه.

(٦) «آداب الدنيا والدين» (ص ٢٤٩).

بَلْ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْكِرَمِ، وَالنُّفُوسَ الشَّرِيفَةَ لَيَسْتَحْيِي مِنْ سَائِلِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ السَّائِلُ، فَلَا تُطَاوَعُهُ نَفْسُهُ بِمُوجَهَةِ السَّائِلِ حَيَاءً مِنْ خَجَلَتِهِ.

رَوَى أَنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: «يَا أَبَا فَلَانٍ، إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَلَا تُكَلِّمْنِي، وَاكْتُبْهَا فِي رِقْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى فِي وَجْهِكَ ذَلِكَ السُّؤَالَ».

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ■■■ «يَبِينُ رُكُوبَهَا إِلَّا الْحَيَاءُ»  
إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا<sup>(١)</sup> ■■■ تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ<sup>(٢)</sup>

وَالثَّالِثُ - حَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ، وَصِيَانَةِ الْخَلَوَاتِ.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ حَيَاءُ النَّفُوسِ الشَّرِيفَةِ الْعَزِيزَةِ الرَّفِيعَةِ مِنْ رِضَاهَا لِنَفْسِهَا بِالنَّقْصِ، وَقَنَاعَتِهَا بِالذُّونِ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُسْتَحْيَا مِنْ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَهُ نَفْسَيْنِ، يَسْتَحْيِي بِأَحَدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَيَاءِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَحْيَا مِنْ نَفْسِهِ، فَهُوَ بِأَنَّهُ يَسْتَحْيِي مِنْ غَيْرِهِ أَجْدَرُ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «لَيْكُنْ اسْتَحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتَحْيَاؤِكَ مِنْ غَيْرِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ: «مَنْ عَمِلَ فِي السَّرِّ عَمَلًا، يَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ - فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الْوَقَاحُ - بِالْفَتْحِ - : الْبَيْنُ الْقَحْطَ - بِكسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِهَا - وَهِيَ الْإِفْرَاطُ فِي سُوءِ الْأَدَبِ.

(٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٥٠).

(٣) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/٦٢٣).

(٤) وَ (٥) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٥٠).

فَسِرِّي كَأَعْلَانِي، وَتِلْكَ خَلِيقَتِي ■■■ وظلمة ليلى مثل ضوء نهارياً<sup>(١)</sup>  
**يقول الماوردي:** «فمتى كَمَلَ حَيَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ وُجُوهِ الثَّلَاثَةِ، فَقَدْ كَمَلَتْ فِيهِ  
 أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الشَّرِّ، وَصَارَ بِالْفَضْلِ مَشْهُورًا، وَبِالْجَمِيلِ  
 مَذْكُورًا.

وَأَنْ أَخْلَ بِأَحَدٍ وَجُوهُ الْحَيَاءِ، لِحَقِّهِ مِنَ النَّقْصِ بِإِخْلَالِهِ بِقَدْرِ مَا كَانَ يَلْحَقُهُ  
 مِنَ الْفَضْلِ بِكَمَالِهِ»<sup>(٢)</sup>.

أَخِي الْحَبِيبُ، عَلَيْكَ بِخُلُقِ الْحَيَاءِ؛ فَهُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ.  
 قَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: «مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ  
 الْحَيَاءِ سَكِينَةً»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «مَعْنَى كَلَامِ بُشَيْرٍ: أَنَّ مِنَ الْحَيَاءِ مَا يَحْمِلُ  
 صَاحِبَهُ عَلَى الْوَقَارِ، بِأَنْ يُوقِّرَ غَيْرَهُ، وَيَتَوَقَّرَ فِي نَفْسِهِ، وَمِنْهُ مَا يَحْمِلُ عَلَى أَنْ  
 يَسْكُنَ عَنْ كَثِيرٍ مَا يَتَحَرَّكُ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِذِي الْمُرُوءَةِ»<sup>(٤)</sup>.

**قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:**

حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِهِ ■■■ وَرَفِيقِي فِي مُكَامَلَتِي رَفِيقِي  
 وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ<sup>(٥)</sup> بِبَذْلِ وَجْهِهِ ■■■ لَكُنْتُ إِلَى الْعُلَا سَهْلَ الطَّرِيقِ<sup>(٦)</sup>

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق (ص ٢٥٠ - ٢٥١).

(٣) رواه البخاري - واللفظ له - (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

(٤) «فتح الباري» (٥٢٢/١٠) عند شرحه للحديث (٦١١٧).

(٥) سَمَحْتُ: جَدْتُ، وَبَابُهُ قَطَعَ.

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢٧٦/١٤).

وَلَقَدْ حَذَّرَ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - مِنْ كَسْرِ حَاجِزِ الْحَيَاءِ؛  
لئَلَّا يَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ قَبِيحٍ.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

«إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ■■■ وَلَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ  
فَلَا وَاللَّهِ، مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ■■■ وَلَا الدُّنْيَا، إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ  
يَعِيشُ الْمَرْءُ. مَا اسْتَحْيَا. بِخَيْرٍ ■■■ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ»<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

وَإِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبٌ فِي ذَهَابِ الْحَيَاءِ، فَاَلْمَحَافَظَةُ  
عَلَى الْإِيمَانِ، وَاجْتِنَابُ الْمَعَاصِي أَصْلُ حِفْظِ الْحَيَاءِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«مِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي ذَهَابُ الْحَيَاءِ، الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ أَصْلُ  
كُلِّ خَيْرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الْخَيْرِ أَجْمَعِهِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْحَيَاءُ  
خَيْرٌ كُلَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٤٨٣) و(٣٤٨٤) و(٦١٢٠).

(٢) اللحاء - بالكسر -: قشر الشجر، والجمع الحية، ولحي.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٨).

(٤) تقدم تخريجه.



والمقصود أن الذنوب تُضعِفُ الحياءَ مِنَ العبدِ، حتَّى ربَّما انسلَخَ منه بالكُلِّيَّةِ، حتَّى إنَّه ربَّما لا يتأثَّرُ بعِلْمِ النَّاسِ بِسُوءِ حَالِهِ، ولا باطِّلاعِهِمْ عليه، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْ حَالِهِ، وَقُبْحِ مَا يَفْعَلُ، وَالْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ انْسِلَاخُهُ مِنَ الحَيَاءِ، وَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، لَمْ يَبْقَ فِي صَلَاحِهِ مَطْمَعٌ<sup>(١)</sup>.

- وَلَيْسَ بِمَنْسُوبٍ إِلَى الْعِلْمِ وَالنُّهَى<sup>(٢)</sup> ■■■ فَتَى لَا تُرَى فِيهِ خَلَائِقُ أَرْبَعُ:  
 فَوَاحِدَةٌ - تَقْوَى الْإِلَهِ، الَّتِي بِهَا ■■■ يُنَالُ جَسِيمُ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ أَجْمَعُ  
 وَثَانِيَةٌ - صِدْقُ الْحَيَاءِ، فَإِنَّهُ ■■■ طِبَاعٌ<sup>(٣)</sup>، عَلَيْهِ ذُو الْمُرُوءَةِ يُطْبَعُ  
 وَثَالِثَةٌ - حِلْمٌ، إِذَا الْجَهْلُ أَطْلَعَتْ ■■■ إِلَيْهِ خَبَايَا مِنْ فُجُورٍ تَسْرَعُ  
 وَرَابِعَةٌ - جُودٌ بِمِلْكٍ يَمِينِهِ ■■■ إِذَا نَابَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ<sup>(٤)</sup>



(١) «الدَّاءُ وَالذَّوَاءُ» (ص ١٣١ - ١٣٣).

(٢) النُّهَى : جَمْعُ نَهْيَةٍ، وَهِيَ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى صَاحِبَهُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ.

(٣) الطَّبَاعُ - بِالْكَسْرِ - : الطَّبَعُ أَوْ الطَّبِيعَةُ، وَهِيَ الْخَلَائِقُ وَالسَّجَايَا الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ. انْظُرْ «اللِّسَانُ» (٢٦٣٤/٤).

(٤) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٥٦).

## بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

**الْبِرُّ - بكسر الباء -:** هُوَ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ. **وَالْبَرُّ - بفتح الباء -:** هُوَ المتوسِّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - .  
وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالْبِرِّ، وَحُسْنُ الْمُعَامَلَةِ، وَجَمِيلُ الْأَخْلَاقِ، وَلَيْنُ الْكَلَامِ،  
وَالْبَذْلِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالْبَشَاشَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُورِ الْأَخْلَاقِ  
الْحَمِيدَةِ - هُمَا الْوَالِدَانِ.

فَمَنْ كَانَ أَبَرَّ بِوَالِدَيْهِ فَهُوَ الْحَكِيمُ الْمَوْفَّقُ لِلْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ مُعَامَلَتُهُ الْمَنْزِلَةَ  
الَّتِي تَسْتَحِقُّهَا عَقْلاً وَشَرْعاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ  
حَقّاً يَلِي حَقَّهُ وَحَقَّ رَسُولِهِ - ﷺ - إِلَّا لِلْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -:  
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (سورة النساء: ٣٦).

وَقَالَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾  
(سورة الأنعام: ١٥١).

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ جَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حُرْمَةَ الْعُقُوقِ كَحُرْمَةِ  
الْإِشْرَاقِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حَرَّمَ الشُّرْكَ، وَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ،  
وَمُقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَأْمُرَ بِالتَّوْحِيدِ، وَيُحَرِّمَ الْعُقُوقَ، فَكَانَ الشُّرْكَ مُلَازِماً لِلْعُقُوقِ،  
وَالتَّوْحِيدُ قَرِينُ الْإِحْسَانِ <sup>(١)</sup>.

(١) الإحسان: هو البرُّ، ومنه قول الرسول - ﷺ -: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ». رواه مسلم (٢٥٥٣) عن  
النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>.

### فَضَائِلُ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ:

مَلِكُ الْوَالِدَيْنِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ، مِنْهَا - عَلَى جَادَةِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرِ - مَا يَأْتِي:

١. أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَاحِبُهَا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - حَتَّى إِنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - : «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟». قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» <sup>(٢)</sup>. قُلْتُ: «ثُمَّ أَيُّ؟». قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ: «ثُمَّ أَيُّ؟». قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ» <sup>(٤)</sup>.

٢. أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «رَغِمَ أَنْفُهُ» <sup>(٥)</sup>، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ <sup>(٦)</sup>. قِيلَ: «مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَهُ الْكِبَرَ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>.

(١) «غذاء الألباب» (١/٣٨٢).

(٢) أي في أول وقتها.

(٣) رواه البخاري (٥٢٧) و(٢٧٨٢) و(٥٩٧٠) و(٧٥٣٤)، ومسلم (٨٥).

(٤) رواه مسلم (١٥١٠).

(٥) رَغِمَ أَنْفُهُ: أُلْصِقَ بِالرَّغَامِ، وَهُوَ التُّرَابُ، وَالْعِبَارَةُ كُنَايَةٌ عَنِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ.

(٦) ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ: يَعْنِي أَنْ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ - أَوْ أَحَدَهُمَا - عِنْدَهُ الْكِبَرَ، فَلَمْ يَبْرِهْمَا فَمَاتَ - دَخَلَ النَّارَ.

(٧) رواه مسلم (٢٥٥١).



٣. ان رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما:

عن ابن عمرو - رضي الله عنه - أن رسول الله - عليه السلام - قال: «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما» <sup>(١)</sup>.

٤. أنه سبب في قبول الدعاء:

عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن رسول الله - عليه السلام - قال: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فأنحطت على قم غارهم صخرة من الجبل، فأنطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله - تعالى - بها، لعله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم، إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامراتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت <sup>(٢)</sup> عليهم حلبت، فبدأت بوالدي، فسقيتهما قبل بني، وإني نأى <sup>(٣)</sup> بي ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت ما كنت أحلب، فجيئت بالحلاب، فقامت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون <sup>(٤)</sup> عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم، حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة، فرأوا منها السماء...» <sup>(٥)</sup>. ثم توسل كل من الثاني والثالث بصالح أعمالهما، فانفرت الصخرة، فخرجوا يمشون.

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، ورواه الترمذي (١٨٩٩) بلفظ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٠٦/١، ٣٥٠٧)، و«الصحيح» (٥١٦).

(٢) أرحت: رجعت.

(٣) نأى: بعد.

(٤) يتضاغون: يصرخون من شدة الجوع.

(٥) رواه البخاري (٢٢١٥) و(٢٢٧٢) و(٢٣٣٣) و(٣٤٦٥) و(٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).



٥. بِرُّ الْأَوْلَادِ لِمَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ، فَمَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ بَرَّهُ أَوْلَادُهُ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ عَقَّهُ أَوْلَادُهُ، فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ.

وَمِنْ اللَّطَائِفِ مَا ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي زَمَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، يُقَالُ لَهُ (مَنْزَلُ)، وَكَانَ لَهُ أَبٌ كَبِيرٌ، يُقَالُ لَهُ (فِرْعَانُ التَّمِيمِيُّ)، وَكَانَ الشَّابُّ عَاقًا لِأَبِيهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ:

جَزَتْ رَحِمُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْزَلٍ ■■■ جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْجِزُ<sup>(١)</sup> الدِّينَ طَالِبُهُ  
تَرَيْتَ<sup>(٢)</sup> حَتَّى صَارَ جَعْدًا<sup>(٣)</sup> شَمْرَدَلًا<sup>(٤)</sup> ■■■ إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبٍ<sup>(٥)</sup> الْفَحْلُ<sup>(٦)</sup> غَارِبُهُ  
تَظَلَّمَنِي<sup>(٧)</sup> مَالِي، كَذَا وَلَوَى يَدِي ■■■ لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يُغَالِبُهُ  
وَإِنِّي لِدَاعٍ دَعْوَةٌ لَوَدَعَوْتُهَا ■■■ عَلَى جَبَلِ الرِّيَّانِ<sup>(٨)</sup> لَانْقَضَ جَانِبُهُ  
ثُمَّ ابْتَلَى مَنَازِلُ بَابِنِ يُقَالُ لَهُ (خَلِيجُ)، عَقَّهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَقَالَ:

تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيجُ، وَعَقَّنِي ■■■ عَلَى حِينٍ كَانَتْ كَالْحَنِيِّ عِظَامِي  
تَخَيَّرْتُهُ وَازْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي ■■■ وَمَا بَعْضُ مَا يَزْدَادُ غَيْرُ عُرَامٍ<sup>(٩)</sup>  
لَعَمْرِي، لَقَدْ رَيْتُهُ فَرَحًا بِهِ ■■■ فَلَا يَفْرَحُنْ بَعْدِي امْرُؤٌ بِغُلَامٍ  
فَأَرَادَ الْوَالِي ضَرْبَهُ، فَقَالَ الْإِبْنُ لِلْوَالِي: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، هَذَا مَنْزَلُ بَنٍ  
فِرْعَانَ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ أَبُوهُ:

جَزَتْ رَحِمُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْزَلٍ ■■■ جَزَاءُ، كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ

(١) اسْتَنْجَزَ الشَّيْءُ: طَلَبَ نَجَازَهُ وَالْوَفَاءَ بِهِ.

(٢) تَرَيْتَ: تَرَبَّيْتُ.

(٣) الْجَعْدُ: الطَّوِيلُ.

(٤) الشَّمْرَدَلُ: الْفَتَى الْقَوِيُّ.

(٥) الْغَارِبُ: مَا بَيْنَ السَّامِ إِلَى الْعُنُقِ.

(٦) الْعُرَامُ: الشَّدَّةُ وَالشَّرَاسَةُ وَالْأَذَى.

(٧) الْفَحْلُ: الذَّكَرُ الْقَوِيُّ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَالْجَمْعُ فُحُولٌ، وَفَحَالٌ.

(٨) الرِّيَّانُ: اسْمُ جَبَلٍ بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ.

(٩) تَظَلَّمَنِي: ظَلَمَنِي.

فَقَالَ الْوَالِي: «يَا هَذَا عَقَقْتَ وَعُقِقْتَ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ آخَرُ يُعَاتِبُ وَلَدَهُ الَّذِي عَقَّهُ:

غَذَوْتُكَ<sup>(٢)</sup> مَوْلُودًا، وَمَنْتُكَ<sup>(٣)</sup> يَافِعًا<sup>(٤)</sup> ■■■ تَعَلُّ<sup>(٥)</sup> بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ<sup>(٦)</sup>  
 إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكُو لَمْ أَبِتْ ■■■ لِشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهَرًا أَتَمَلَّمُ<sup>(٧)</sup>  
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ■■■ طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ<sup>(٨)</sup>  
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ، وَإِنَّهَا ■■■ لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤْجَلُ  
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ■■■ إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ  
 جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَضَاظَةً ■■■ كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ  
 فَلَيْسَتْكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوتِي ■■■ فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ  
 فَأَوْثَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ، وَلَمْ تَكُنْ ■■■ عَلَيَّ يَمَالِي - دُونَ مَالِكَ - تَبْخَلُ  
 تَرَاهُ مُعَدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ ■■■ بَرْدٌ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ<sup>(٩)</sup>

أخي الحبيب، اتَّقِ دَعْوَةَ الْوَالِدِ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّهَا سَهْمٌ صَائِبٌ لَا يُخْطِئُ أَبَدًا.

- (١) «عيون الأخبار» (٣/ ٨٦ - ٨٧).  
 (٢) غَذَوْتُكَ: رَبَّيْتُكَ.  
 (٣) مَنْتُكَ: حَمَلْتُ مَثَوْنَتَكَ، وَقُمْتُ بِكَفَايَتِكَ، وَبَابُهُ قَالَ. (٤) يَافِعًا: بِالْغَا كَبِيرًا.  
 (٥) يُقَالُ: عَلَّهُ الشَّرَابَ يَعْلُهُ - بَضَمَ الْعَيْنَ وَكَسَرَهَا -: أَيِ سَقَاهُ عَلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ، وَالْعَلَلُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : الشُّرْبُ الثَّانِي.  
 (٦) النَّهْلُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : الشُّرْبُ الْأَوَّلُ، وَبَابُهُ فَرَحَ.  
 (٧) يُقَالُ: تَمَلَّمَلْ عَلَى فَرَاشِهِ: إِذَا اضْطَرَبَ وَلَمْ يَسْتَقِرَّ مِنَ الْوَجَعِ.  
 (٨) تَهْمَلُ: تَفِضُّ بِالْذَّمِّ، وَبَابُهُ نَصَرَ.  
 (٩) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ تُنَسَّبُ لِابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَقِيلَ: لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى، وَقِيلَ: لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ، انْظُرْ «كُشْفُ الْخَفَاءِ» (١/ ٢٠٧ - ٢٠٨)، و«بِرِّ الْوَالِدِينَ» لِلْإِمَامِ الطَّرُوسِيِّ (ص ١٠٨ - ١٠٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»<sup>(١)</sup>.

### ■ شروط برِّ الوالدين:

لبرِّ الوالدين ثلاثة شروط<sup>(٢)</sup>:

**الأول** - أَنْ يُؤْثَرَ الْوَلَدُ رِضًا وَالِدَيْهِ عَلَى رِضَا نَفْسِهِ، وَزَوْجَتِهِ<sup>(٣)</sup>، وَأَوْلَادِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

**الثاني** - أَنْ يُطِيعَهُمَا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرَانِهِ بِهِ، وَيَنْهِيَانِهِ عَنْهُ، سَوَاءً أَوْافَقَ رِغْبَاتَهُ أَمْ لَمْ يُوَافِقْهَا، مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، أَوْ مَا فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهِ.

**الثالث** - أَنْ يُقَدَّمَ لَهُمَا كُلُّ مَا يَلْحَظُ أَنََّّهُمَا يَرْغَبَانِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَاهُ مِنْهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ وَسُرُورٍ، مَعَ شُعُورِهِ بِتَقْصِيرِهِ فِي حَقِّهِمَا، وَلَوْ بَذَلَ لَهُمَا دَمُهُ وَمَالُهُ.

(١) رواه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣١/١)، و«الصحيح» (٥٩٦).

(٢) «برِّ الوالدين» للحنائي (ص ٢٥).

(٣) لا شكَّ أَنَّ برِّ الوالدين مقدَّمٌ على رِضَا الزَّوْجَةِ، فعن ابنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكَانَتْ أَحْبَبُهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لِي: طَلَّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرَ النَّبِيُّ - ﷺ -، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «طَلَّقْهَا». رواه أبو داود - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٥١٣٨)، والترمذي (١١٨٩)، انظر «صحيح التَّرمِيزِ والتَّرهيب». وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِعَشْرٍ كَلِمَاتٍ، قَالَ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قَتَلْتَ، وَحَرَقْتَ، وَلَا تَعُقْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». «صحيح التَّرمِيزِ والتَّرهيب». وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنْ رَجُلًا أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنْ لِي امْرَأَةٌ، وَإِنْ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلْقِهَا، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضَعْ ذَلِكَ الْبَابَ، وَاحْفَظْهُ». رواه الترمذي - وَاللَّفْظُ لَهُ - (١٩٠٠)، وابن ماجه (٣٦٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٤٥/٢)، و«الصحيح» (٩١٠).



■ **الأسباب المعينة على بر الوالدين:**

- ١ - تقوى الله - تعالى - ، والاستعانة به على برهما .
- ٢ - استحضار فضل الوالدين الذي لا ينكره أحد .
- ٣ - استحضار فضائل البر ، وعواقب العقوق .
- ٤ - قراءة سير البارين بوالديهم .
- ٥ - أن يضع الولد نفسه موضع والديه .

■ **صور من بر الوالدين:**

■ لبر الوالدين صور كثيرة، منها:

- ١ - كثرة الدعاء والاستغفار لهما في الحياة، وبعد الممات .  
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>  
وعن سلمان - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أربع من عمل الأحياء تجري للأموات: رجل ترك عقبا صالحا، يدعو له، ينفعه دعاؤهم...»<sup>(٢)</sup>
- ٢ - البشاشة عند لقائهما، وتقبيل أيديهما ورأسيهما .
- ٣ - قضاء شؤنهما وديونهما .
- ٤ - إدخال السرور عليهما بما يقدر عليه المرء من الأسباب، مثل: الهدية، والسفر بهما، والمزاج معهما، ونحو ذلك .
- ٥ - السهر على راحتتهما خصوصا عند مرضيهما .
- ٦ - تطيب سمعتهما بالذكر الجميل .

(٢) العقب: الولد غالباً، وتلحق به الذرية والورثة.

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٨/١).



٧ - إِكْرَامُ أَصْدِقَائِهِمَا وَأَحْبَابِهِمَا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ أَبْرَأَ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ الْأَبَ»<sup>(١)</sup>.

يقول النووي - يرحمه الله -:

«وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلحق به أصدقاء الأم، والأجداد، والمشايع، والزوج، والزوجة»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ إِكْرَامِ الْأَبِ إِكْرَامُ الْعَمِّ؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُّو أَبِيهِ»<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ الْبِرِّ بِالْأُمِّ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَالَةِ؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»<sup>(٥)</sup>. وقوله: «الْخَالَةُ وَالِدَةُ»<sup>(٦)</sup>.

وَالْبِرُّ بِالْخَالَةِ لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَبِيرًا، وَتَسَاءَلَ إِنْ كَانَ لَهُ تَوْبَةٌ، فَدَّعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى بَابِ مِنَ الْبِرِّ، يُكَفِّرُ عَنْهُ مَا أَذْنَبَ، فَقَالَ لَهُ: «أَلَيْكَ وَالِدَانِ؟» قَالَ: «لَا». قَالَ: «فَلَيْكَ خَالَةٌ؟» قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «فَبِرَّهَا إِذَنْ»<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) «بلوغ الأمان» (٤١/١٩).

(٣) صِنُّو أَبِيهِ: هذا تشبيه للأخوين فأكثر من أب واحد، وهم فروعه كالنخلتين فأكثر تفرقان من أصل واحد، والصنُّ: هو المثل، وتثنيته صِنُونَانِ، وجمعه صِنُونَانُ، وأصْنَاءُ.

(٤) رواه الطَّبْرَانِيُّ في «الكبير» عن ابن مسعود، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٣/١).

(٥) رواه البخاري (٢٦٩٩) و(٤٢٥١) عن البراء.

(٦) رواه ابن سعد عن محمد بن علي مرسلاً، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤٠/١).

(٧) رواه الترمذي (١٩٠٤)، انظر «صحيح سنن الترمذي» (١٥٥٤).

٨ - المشيُ أَمَامَهُمَا لَيْلاً، وَخَلْفَهُمَا نَهَاراً.

٩ - التَّصَدُّقُ عَنْهُمَا بَعْدَ مَمَاتِهِمَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - : إِنْ أَبِي مَاتَ، وَتَرَكَ مَالًا، وَلَمْ يُوصِرْ، فَهَلْ يُكْفَرُ عَنْهُ إِنْ تُصَدَّقَ عَنْهُ؟. قَالَ: **نَعَمْ**.<sup>(١)</sup>

وَصَدُّ الْبِرِّ الْعُقُوقُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، بَلْ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : **«إِلَّا أَنْبَأَكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟»** ثَلَاثًا. قَالُوا: «بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ». قَالَ: **«الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»**.<sup>(٢)</sup>

وَلَوْ لَمْ يُحَرِّمِ اللَّهُ الْعُقُوقَ، لَكَانَ مِنْ نُبُلِ الْأَخْلَاقِ عَدَمُ عُقُوقِهِمَا، فَكِرَامُ النَّاسِ تَتَقَدَّمُ مَنَزَلَةُ وَالِدِهِمْ عَلَى النَّفْسِ، وَالْأَهْلِ، وَالْوَلَدِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ تَجَدَّدَ الرَّجُلُ يُحْسِنُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَلَا يَمَلُّ الْجُلُوسَ مَعَهُمْ، فَإِذَا جَلَسَ مَعَ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَجَدَتْهُ مُتَمَلِّمًا، كَأَنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَمْرِ، فَهَذَا لَيْسَ بِبَارٍّ، بَلِ الْبَارُّ مَنْ يَنْشِرُ صَدْرُهُ لَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَيَخْدُمُهُمَا عَلَى أَهْدَابِ عَيْنَيْهِ، وَيَحْرِصُ غَايَةَ الْحَرِصِ عَلَى رِضَاهُمَا بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ»<sup>(٣)</sup>.

### ■ صُورٌ مِنْ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ:

■ لِلْعُقُوقِ صُورٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

١ - إِبْكَاءُ الْوَالِدَيْنِ وَتَحْزِينُهُمَا بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ.

عَنْ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) رواه مسلم (١٦٣٠).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤) و(٥٩٧٦) و(٦٢٧٣) و(٦٩١٩)، ومسلم (٨٧).

(٣) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص ٤١).

إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ؛ ابْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ، وَإِنِّي وَالِدِي يُبْكِيَانِ». قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»<sup>(١)</sup>.

٢ - التَّضَجُّرُ مِنْ مَطَالِبِهِمَا، وَالتَّأْفُّفُ مِنْهُمَا، وَنَهْرُهُمَا، وَرَفْعُ الصَّوْتِ عَلَيْهِمَا، وَالْعُبُوسُ عِنْدَ لِقَائِهِمَا، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمَا شَرْراً<sup>(٢)</sup>.

يقول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا<sup>(٣)</sup> وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا<sup>(٤)</sup>﴾ (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ<sup>(٥)</sup> وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا ﴿ (سورة الإسراء: ٢٣ - ٢٤).

٣ - شَتْمُهُمَا، بَلْ إِنَّ التَّسَبُّبَ إِلَى شَتْمِهِمَا مِنَ الْكِبَائِرِ، فَكَيْفَ بَشْتَمِهِمَا مُبَاشَرَةً؟!.

عَنِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟». قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»<sup>(٦)</sup>.

٤ - انْتِقَادُ مَا تُعَدُّهُ الْوَالِدَةُ مِنَ الطَّعَامِ، بَلْ إِنَّ الطَّعَامَ لَا يُعَابُ مُطْلَقًا، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْ إِعْدَادِ يَدِ الْوَالِدَةِ؟!.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَابَ طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِهِ سَكَتَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٢٥٢٨)، وابن ماجه - واللفظ له - (٢٧٨٢)، والنسائي (٨٦٩٦) و(٨٦٩٧)، وإسناده حسن.

(٢) نَظَرَ إِلَيْهِ شَرْراً: هُوَ نَظَرُ الْغَضَبَانِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ.

(٣) أَفٌ: كَلِمَةٌ تَضْجُرُ وَكِرَاهَةٌ، وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ مُضَارِعٍ.

(٤) لَا تَنْهَرُهُمَا: لَا تَرْجُرُهُمَا عَمَّا يَتَعَاطِيَانَهُ مِمَّا لَا يُعْجِبُكَ.

(٥) اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ: تَوَاضَعْ رَحْمَةً لَهُمَا، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمَا.

(٦) رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم - واللفظ له - (٩٠).

(٧) رواه البخاري (٣٥٦٣) و(٥٤٠٩)، ومسلم - واللفظ له - (٢٠٦٤).



- ٥ - إِصْدَارُ الْأَمْرِ عَلَيْهِمَا.
  - ٦ - تَشْوِيهِ سُمْعَتِهِمَا أَمَامَ النَّاسِ بِذِكْرِ مَعَايِبِهِمَا، وَالْمَأْخِذِ عَلَيْهِمَا.
  - ٧ - عَدَمُ الْإِسْرَاعِ فِي قَضَاءِ شُؤْنِهِمَا مِمَّا يُسَبِّبُ عِنْدَهُمَا الضِّيقَ.
  - ٨ - تَرْكُ الْإِصْغَاءِ لِحَدِيثِهِمَا.
  - ٩ - الْبُخْلُ عَلَيْهِمَا، وَتَعْدَادُ الْأَيَادِي.
  - ١٠ - الْبَقَاءُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مَعَ حَاجَةِ الْوَالِدَيْنِ إِلَى الْوَلَدِ، وَعَدَمُ إِذْنِهِمَا لَهُ.
  - ١١ - إِيدَاعُهُمَا دُورَ الْعِجْزَةِ وَالْمُسِنَّةِ.
  - ١٢ - تَمَنِّي زَوَالِهِمَا.
  - ١٣ - تَقْدِيمُ طَاعَةِ الزَّوْجَةِ عَلَيْهِمَا.
  - ١٤ - الشُّجَارُ أَمَامَهُمَا، إِمَّا مَعَ الْأُخُوَّةِ، أَوْ مَعَ الزَّوْجَةِ.
  - ١٥ - كَثْرَةُ الشُّكْوَى وَالْأَنِينِ أَمَامَهُمَا.
- وَأَخِيرًا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَيَحْسُنُ تَحْسِينَ لَخُلُقٍ وَصُحْبَةٍ ■■■ وَلَا سِيَّامًا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكَّدِ  
 وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ، وَأَوْجِبَ طَوْعُهُ ■■■ سِوَى فِي حَرَامٍ، أَوْ لِأَمْرٍ مُؤَكَّدٍ  
 كَتِطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ ■■■ وَتَطْلِيْقِ زَوْجَاتِ بِرَائِي مُجَرَّدٍ  
 وَأَحْسِنَ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ■■■ وَنَفْذِ وَصَايَا مِنْهُ فِي حُسْنِ مَعْهَدٍ  
 وَأَكْبَرِمَهُ بِاسْتِغْفَارِكَ إِنْ كُنْتَ بَارِرًا ■■■ فَهَذَا بِقَايَا بِرِّهِ الْمُتَعَوِّدِ<sup>(١)</sup>

(١) «الْأَلْفِيَّةُ فِي الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» (ص ٣٥).



## صِلَةُ الرَّحِمِ



**الصَّلَةُ - بكسر الصاد المهملة -:** مصدر وَصَلَهُ كَوَعَدَهُ عِدَّةً.

**وَالرَّحِمُ:** هُمُ الْقَرَابَةُ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ.

وَصِلَةُ الرَّحِمِ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَالرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ، وَإِنْ تَعَدُّوا وَأَسَاءُوا.

وَصِلَةُ الرَّحِمِ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَقَرَّرَتْهَا الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ.

فَلِلْقَرِيبِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِكَ فِي الْقَرَابَةِ حَقٌّ هَذِهِ الْقَرَابَةُ بِحَسَبِ قُرْبِهِ.

قَالَ اللَّهُ - تعالى - : ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (سورة الإسراء: ٢٦). وَقَالَ:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

وَلَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ - ﷺ - عَلَى تَوْثِيقِ الصَّلَاتِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ.

فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

عَلَيْكَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ كُلِّهِمَا ■■■ وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ، وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ

وَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا ■■■ عَفِيفًا، ذَكِيًّا، مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ<sup>(٢)</sup>

(١) رواه ابن عساکر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٨/١)، و«الصَّحِيحَةُ» (٨٦٩).

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٦١).

والإحسانُ إلى الأقارب يكونُ إما بِبَذْلِ الجاهِ، أو النَّفْعِ البدنيِّ، أو النَّفْعِ الماليِّ بحسَبِ ما تَتَطَلَّبُهُ قُوَّةُ القَرَابَةِ والحَاجَةِ، فَإِنْ لَمْ يَتيسَّرْ هَذَا ولا ذاكُ، فليَكُنْ بِخُلُقٍ حَسَنٍ: مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَبَسْطِ الوَجْهِ، والطلاقةِ، وَلِئِنْ الجَانِبِ، وَخَفَضِ الجَنَاحِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ التَّحَابُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «**بُلُّوا<sup>(١)</sup> أَرْحَامَكُمْ، وَلَوْ بِالسَّلَامِ<sup>(٢)</sup>**».

وَحَقُّ القَرَابَةِ قَدْ ضُيِّعَ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنْ قَبْلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، فَتَجَدَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَا يَصِلُ قَرَابَتُهُ لَا بِالْجَاهِ، وَلَا بِالْمَالِ، وَلَا بِالْخُلُقِ، تَمْضِي الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَالسَّنُونَ مَا رَأَهُمْ، وَلَا زَارَهُمْ، وَلَا تَحَبَّبَ بِهِدِيَّةٍ إِلَيْهِمْ، وَلَا جَلَبَ لَهُمْ مَنَفْعَةٍ، أَوْ دَفَعَ عَنْهُمْ مَضَرَّةً، بَلْ رُبَّمَا - إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ - أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ، أَوْ بِالْفِعْلِ، أَوْ بِهِمَا مَعًا، يَصِلُ الْبَعِيدَ، وَيَقْطَعُ الْقَرِيبَ!

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعَامِلُ قَرَابَتَهُ بِالْمِثْلِ، إِنْ وَصَلُوهُ وَصَلَهُمْ، وَإِنْ قَطَعُوهُ قَطَعَهُمْ، وَهَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ، بَلْ هُوَ مُكَافِيٌّ لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ، وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْمَعْرُوفِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْقَرِيبُ وَغَيْرُهُ، وَالْوَاصِلُ - حَقِيقَةٌ - هُوَ مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَلَا يُبَالِي سَوَاءً وَصَلُوهُ أَمْ لَا.

عَنْ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا<sup>(٣)</sup>**».

(١) بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ: نَدُّوْهَا بِصِلَتِهَا، وَهِيَ يُطْلَقُونَ النَّدَاةَ عَلَى الصَّلَةِ، كَمَا يُطْلَقُونَ الْعَبْسَ عَلَى الْقَطِيعَةِ.

(٢) «السُّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» (١٧٧٧)، مِنْ حَدِيثِ سُوَيْدِ بْنِ عَامِرٍ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٩١).

وَلَقَدْ حَسَّنَا الرَّسُولُ - ﷺ - عَلَى أَدَاءِ حَقِّ الرَّحِمِ، وَإِنْ عَامَلُونَا بِالْجَفْوَةِ،  
وَالْغِلْظَةِ، وَالشَّرِّ فِي حِينٍ أَنَّهُ يُطَمِّنُنَا عَلَى مُسْتَقْبَلِنَا، وَيَزِيحُ عَنْ قُلُوبِنَا الْيَأْسَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي قَرَابَةٌ أَصْلُهُمْ  
وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ». فَقَالَ: «لَنْ  
كُنْتُ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُهُمْ» <sup>(١)</sup> الْمَلُّ <sup>(٢)</sup>، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ،  
مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» <sup>(٤)</sup>.

قال محمد بن عبد الله الأزدي:

وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ، وَسُوءِ صَنِيعَةٍ ■■■ مَنَاوَةٌ <sup>(٥)</sup> ذِي الْقُرْبَى، وَإِنْ قِيلَ قَاطِعٌ  
وَلَكِنْ أَوَاسِيَةٌ، وَأَنْتَ ذُنُوبُهُ ■■■ تُرْجِعُهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ  
وَلَا يَسْتَوِي فِي الْحُكْمِ عَبْدَانِ: وَاصِلٌ ■■■ وَعَبْدٌ لِأَرْحَامِ الْقَرَابَةِ قَاطِعٌ <sup>(٦)</sup>



(١) تُسْفِهُهُمْ - مِنَ السَّفْوَةِ -: تَطْعَمُهُمْ وَتُلْقِمُهُمْ.

(٢) الْمَلُّ: قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَصْلُ الْمَلَّةِ: التُّرْبَةُ الْمُحْمَاةُ تُدْفَنُ فِيهَا الْخَبْزَةُ.

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: الْمَلُّ: الْجَمْرُ، وَيُقَالُ لِلرَّمَادِ الْحَارِّ - أَيْضًا - الْمَلُّ، وَالْمَلَّةُ: مَوْضِعُ الْخَبْزَةِ. يَقُولُ: إِذَا لَمْ  
يَشْكُرُوكَ، فَإِنَّ عَطَاءَكَ إِيَّاهُمْ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ، وَنَارٌ فِي بُطُونِهِمْ. فَفِيهِ تَشْبِيهُ لِمَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الْإِثْمِ بِمَا يُلْحَقُ  
أَكَلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلَمِ.

(٣) الظَّهِيرُ: الْمَعِينُ وَالنَّاصِرُ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٥٨).

(٥) مَنَاوَةٌ: مُعَادَاةٌ.

(٦) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ١٥٣).



## ■ فضائلُ صِلَةِ الرَّحِمِ:

لِصِلَةِ الرَّحِمِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ، مِنْهَا:

١. أَنَّهَا شِعَارُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ» <sup>(١)</sup>.

٢. أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَصِلُ الْوَاصِلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَمْدُهُ بِالرَّحْمَةِ، وَيُسِرُّ لَهُ الْأُمُورَ، وَيُفْرِجُ عَنْهُ الْكُرْبَاتِ:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتَهُ» <sup>(٢) (٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ» <sup>(٤)</sup>، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ <sup>(٥)</sup> بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قِطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ.

(١) رواه البخاري (٦١٣٨).

(٢) بَتَّتَهُ: قَطَعَتْهُ.

(٣) رواه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٤/٢)، و«الصَّحِيحَةُ» (٥٢٠).

(٤) فَرَغَ مِنْهُمْ: كَمَلَ خَلْقَهُمْ.

(٥) الْعَائِدُ وَالْمُسْتَعِيدُ: هُوَ الْمُعْتَصِمُ بِالشَّيْءِ، الْمُلتَجِيءُ إِلَيْهِ.



ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢-٢٣)»<sup>(١)</sup>.

٣. أَنَّهَا أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - تعالى - بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ:

عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَتَمِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ، ثُمَّ صَلَاةُ الرَّحْمَنِ»<sup>(٢)</sup>.

٤. أَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: «دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ». قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ». فَلَمَّا أَدْبَرَ<sup>(٣)</sup>، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرِي بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٤)</sup>.

٥. أَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ وَالْعَمْرِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ<sup>(٥)</sup>، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ<sup>(٦)</sup>، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠) و(٥٩٨٧) و(٥٧٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٦٦).

(٣) أدبر: ولى وذهب.

(٤) رواه البخاري (١٣٩٦) و(٥٩٨٣)، ومسلم - واللفظ له - (١٣).

(٥) يُبْسَطُ لَهُ فِي رِزْقِهِ: يُوسَّعَ لَهُ فِيهِ.

(٦) يُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ: يُؤَخَّرُ لَهُ فِي أَجَلِهِ وَعُمْرِهِ.

(٧) رواه البخاري (٢٠٦٧) و(٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

٦. أنها تعمّر الديار:

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ، يُعَمِّرَنَّ الدِّيَارَ، وَيَزِدَنَّ فِي الْأَعْمَارِ»<sup>(١)</sup>.

٧. أنها تجلب محبة الله - تعالى - للمتواصلين فيه:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «حُقَّتْ<sup>(٢)</sup> مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِي»<sup>(٣)</sup>.

٨. أن الصدقة على ذي الرحم أعظم أجراً من الصدقة على المسكين:

عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - : «أَيُّ جُزْئٍ<sup>(٥)</sup> عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ النِّفَقَةُ عَلَى زَوْجِي، وَأَيَّتَامٍ فِي حَجْرِي؟». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «نَعَمْ، وَلَهَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حُقَّتْ: وَجِبَتْ.

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٢٩/٥)، والحاكم في «المستدرک»، والطبرانی في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٢١/٢).

(٤) رواه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٥٨/٢).

(٥) أي جزئ: أي كفي.

(٦) رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً<sup>(١)</sup> فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَذَكَرَنَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ: «لَوْ أُعْطِيَتْهَا أَخْوَالُكَ، كَانَ أَعْظَمَ لَأَجْرِكَ»<sup>(٢)</sup>.

٩ - أَنَّهَا سَبَبُ لَشَيْعِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّرَابُطِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ:

عَنْ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «صِلَةُ الْقَرَابَةِ مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَنَسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ»<sup>(٣)</sup>.

١٠ - أَنَّهَا أَعْجَلُ الطَّاعَةِ ثَوَابًا:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «وَأَنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لَصِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنْ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجْرَةً، فَتَنَمُو أَمْوَالَهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ، إِذَا تَوَاصَلُوا»<sup>(٤)</sup>.

وَضِدُّ الصِّلَةِ الْقَطِيعَةُ، وَهِيَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ مِنْ أَعْجَلِ الْمَعْصِيَةِ عُقُوبَةً.

(١) الوليدة: الأمة.

(٢) رواه البخاري (٢٥٩٢) و(٢٥٩٤)، ومسلم (٩٩٩).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٦٨/٢).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٥/٢)، و«الصحيحة»

(٩١٥) و(٩٧٨).

(٥) رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ - مِثْلُ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»<sup>(١)</sup>.

### ■ أسباب قطيعة الرحم:

الأسباب كثيرة جداً، ولعل من أبرزها ما يلي:

- ١ - الجهلُ بحقوقِ الأقاربِ.
- ٢ - ضعفُ التقوى.
- ٣ - الكبرُ.
- ٤ - الانقطاعُ الطويلُ الذي يسببُ الوحشةَ والنسيانَ.
- ٥ - التَّكَلُّفُ الزائدُ مِنْ قَبْلِ الموصولِ، ممَّا يجعلُ الوَاصِلَ لَا يَحْرِصُ عَلَى زيارَتِهِ؛ لئَلَّا يَقَعَ فِي الحَرَجِ.
- ٦ - اللامبالاةُ، وَعَدَمُ الاكتراثِ والاهتمامِ بالزَّائرينَ مِنَ الأقاربِ.
- ٧ - العِتَابُ الشَّدِيدُ مِنْ بعضِ الأقاربِ، ممَّا يُسبِّبُ النُّفْرَةَ مِنْهُ.
- ٨ - الشُّحُّ والبُخْلُ مِنْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَةً فِي الرِّزْقِ، فتراهُ لَا يُوَاصِلُ قَرَابَتَهُ؛ لئَلَّا يَخْسَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَالِهِ: كاستدانتهم مِنْهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.
- ٩ - نسيانُ بعضِ الأقاربِ فِي الولايمِ، الأمرُ الَّذِي يُسبِّبُ سُوءَ الظَّنِّ فيما بَيْنَهُمْ.

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤/٢)، و«الصَّحِيحَةُ» (٩١٨).



- ١٠ - الوشاية والإصغاء إليها.
- ١١ - المزاح الخارج عن حد الاعتدال.
- ٢ - المن وتعداد الأيادي، والمطالبة بالمثل.
- ١٣ - الطلاق بين الأقارب.
- ١٤ - تأجيل قسمة الميراث بين الأقارب.
- فعلى الأقارب أن يحاولوا اجتناب هذه الأسباب المؤدية للقطيعة، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وَكُنْ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى الْكَاشِحِ ■■■ تُوَفَّرُ فِي عُمُرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدِ  
وَلَا تَقْطَعْ الْأَرْحَامَ، إِنَّ قَطِيعَةَ ■■■ لِنَذِي رَحِمٍ كُبْرَى مِنَ اللَّهِ تَبْعَدِ  
فَلَا تَغْشَ قَوْمًا رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِمْ ■■■ ثَوَى <sup>(١)</sup> قَاطِعٌ، قَدْ جَاءَ ذَا بِتَوَعُّدِ <sup>(٢)</sup>



(١) ثَوَى: أَقَامَ.

(٢) «الْأَلْفِيَّةُ فِي الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» (ص ٣٥).

## حُسْنُ الْجَوَارِ



لِلْجَارِ عَلَى جَارِهِ حَقٌّ عَظِيمٌ، وَهَذَا الْحَقُّ يَتَفَاوَتُ مِنْ جَارٍ لآخر بِحَسَبِ مَنْزِلَةِ الْجَارِ.

■ أقسامُ الجيران:

الجيرانُ ثلاثة:

**الأول** - جارُّه ثلاثةُ حُقوقٍ: وهو الجارُّ المسلمُ القريبُ مِنْكَ نَسَبًا، له حقُّ الجوارِ، وحقُّ الإسلامِ، وحقُّ القرابةِ.

**الثاني** - جارُّه حقَّانٍ: وهو الجارُّ المسلمُ غيرَ القريبِ مِنْكَ فِي النَّسَبِ، له حقُّ الجوارِ، وحقُّ الإسلامِ.

**الثالث** - جارُّه حقٌّ واحدٌ: وهو الجارُّ الكافرُ، له حقُّ الجوارِ.

أَكْرَمَ الْجَارَ وَرَاعَ حَقَّهُ ■ ■ ■ إِنَّ عِرْفَانَ<sup>(١)</sup> الْفَتَى الْحَقَّ كَرَمَ<sup>(٢)</sup>

■ عَظْمَةُ مَنْزِلَةِ الْجَارِ:

لِلْجَارِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمَكَانَةٌ عَلِيَّةٌ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كَثْرَةُ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَالتَّرغِيبِ فِي ذَلِكَ، وَلِنَقْتِظِفَ مِنْ تِلْكَ النُّصُوصِ مَا يَلِي:

(١) عِرْفَانُ: مَعْرِفَةٌ.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٦٠).

١ - قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ<sup>(١)</sup> وَالْجَارِ الْجُنُبِ<sup>(٢)</sup>﴾ (سورة النساء: ٣٦).

٢ - وعن ابنِ عمرَ وعائشةَ - رضي الله عنهما - قالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ»<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

وعن ابنِ عمرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : أَهْدَيْتُمْ لْجَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ أَهْدَيْتُمْ لْجَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ : «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ»<sup>(٥)</sup> .

٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُوْذِ جَارَهُ»<sup>(٦)</sup> .

وفي روايةٍ لمسلمٍ : «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ» .

٤ - وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ : «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ!»<sup>(٧)</sup> .<sup>(٨)</sup> قيل : «مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» . قَالَ : «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»<sup>(٩)</sup> .

وفي روايةٍ : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ»<sup>(٩)</sup> .

(١) الجار ذِي الْقُرْبَى : الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ .

(٢) الجار الجُنُب : الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ .

(٣) أَي ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُلْغَنِي عَنِ اللَّهِ الْأَمْرُ بِتَوْرِيثِ الْجَارِ جَارَهُ . وفي هذا تأكيدٌ عظيمٌ على الحثِّ على رعاية حقوقه .

(٤) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤) و(٢٦٢٥) .

(٥) رواه الترمذي (١٩٤٣)، وقال : حسنٌ غريبٌ .

(٦) رواه البخاري (٥١٨٥) و(٦٠١٨) و(٦١٣٦) و(٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧) .

(٧) البَوَائِقُ : الْغَوَائِلُ وَالشُّرُورُ، وَالْمُفْرَدُ بَائِقَةٌ .

(٨) رواه البخاري (٦٠١٦) .

(٩) رواه مسلم (٤٦) .

٥ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لْجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَيْنِ» (١) شاة، (٢).

فعليك - أخي الكريم - بالإحسان إلى جارك بتقديم الهدايا - ولو كانت رمزية - له في المناسبات؛ فإن الهدية تجلب المودة، وتزيل العداوة، وأحق الجيران بها أقربهم منك باباً.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي جَارَيْنِ، فإلى أيهما أُهدي؟». قَالَ: «إلى أَقْرَبَهُمَا مِنْكَ بِابٍ» (٣).

٦ - وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَمْنَعُ جَارُ جَارِهِ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟» (٤)، وَاللَّهُ، لِأَرْمِينَ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ» (٥) (٦).

وَفِي رُوَايَةٍ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يَمْنَعَ جَارُهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي دَارِهِ» (٧).

٧ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً» (٨)، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ».

(١) فَرَسَيْنِ الشَّاةُ: ظَلْفُهَا. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْفَرَسَيْنُ مِنَ الْبَعِيرِ كَالْحَافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ. قَالَ: وَرُبَّمَا اسْتَعِيرَ فِي الشَّاةِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦٦) وَ (٦٠١٧) وَمُسْلِمٌ (١٠٣٠).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٥٩) وَ (٢٥٩٥) وَ (٦٠٢٠).

(٤) يَعْنِي عَنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

(٥) أَي: بَيْنَكُمْ. وَفِيهِ وَجُوبُ تَمْكِينِ الْجَارِ مِنْ وَضْعِ الْخَشَبِ عَلَى جِدَارِ جَارِهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٦٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٠٩).

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٦٢٧).

(٨) أَي ذَا مَرَقٍ مِنْ لَحْمِ دَجَاجٍ، وَغَنَمٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.



وفي رواية: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي - ﷺ - أوصاني: «إذا طبختَ مَرَقًا،

(١)

فأكثِرْ ماءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِئْتَكَ، فَأَصْبِهِمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

٨ - وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «خَيْرُ

(٢)

الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

٩ - وَعَنِ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -

لأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزُّنَا؟». قَالُوا: «حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بَعِشْرَ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ

بِامْرَأَةٍ جَارِهِ». قَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرْقَةِ؟». قَالُوا: «حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهِيَ حَرَامٌ».

(٣)

قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ».

١٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةً تُصَلِّي اللَّيْلَ،

وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَفِي لِسَانِهَا شَيْءٌ، تُؤْذِي جِيرَانَهَا، سَلِيْطَةً». قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي

النَّارِ». وَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ فُلَانَةً تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَتَصَدَّقُ بِالْأَنْثَوَارِ<sup>(٤)</sup>، وَلَيْسَ

(٥)

بِهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا». قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ».

وَلَفْظُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: «وَلَا تُؤْذِي بِلِسَانِهَا جِيرَانَهَا».

(١) رواه مسلم (٢٦٢٥).

(٢) رواه الترمذي (١٩٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٢٧٠)، و«الصحيح» (١٠٣).

(٣) رواه أحمد في «المستد»، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٥٠٤٣)، و«الصحيح» (٦٥).

(٤) الأنثوار: هو اللبن الجامد المستحجر.

(٥) رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، وصححه الحاكم (٤/ ١٦٦)، ووافقه الذهبي.

وَالنُّصُوصُ الَّتِي جَاءَتْ بِالْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ، وَمُرَاعَاةِ حَقِّهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَكْفِي مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ.

فَمَا أَحَدٌ مِنَّا بِمُهْدٍ لِحَارِهِ ■■■ اذاعة، وَلَا مُزْرِيهِ وَهُوَ عَائِدٌ  
لَأَنَّا نَرَى حَقَّ الْجَوَارِ أَمَانَةً ■■■ ويحفظه مِنَّا الْكَرِيمُ الْمَعَاهِدُ<sup>(١)</sup>

وَمِنَ اللَّطَائِفِ هُنَا أَنَّ امْرَأً كَانَ لَهُ مَنْزِلٌ أَمَامَ أَبِي دُلْفَ بِالزُّورَاءِ<sup>(٢)</sup>، فَرَكِبَهُ مِثُونَ مِنَ الدِّيُونِ حَتَّى تَضَاءَلَ، وَاحْتِاجَ إِلَى بَيْعِ دَارِهِ، فَسَاوَمَهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ دَارَكَ لَا تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهَا بِخَمْسِمِائَةٍ، وَأَبِيعُ جَوَارَهَا بِخَمْسِمِائَةٍ أُخْرَى، فَبَلَغَ الْقَوْلُ أَبَا دُلْفَ، فَقَضَى دَيْنَهُ وَوَصَلَهُ.  
ولله درُّ القائل:

يَلُومُونَنِي أَنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي ■■■ وَلَمْ يَعْرِفُوا جَارًا هُنَاكَ يُنْغِصُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا الْمَلَامَ؛ فَإِنَّمَا ■■■ بِجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ حِينَ رَحَلَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ:

وَقَائِلَةٌ: مَا لِي أَرَاكَ مُرَحَّلًا؟ ■■■ فَقُلْتُ: صَبْرًا، وَاسْمَعِي الْقَوْلَ مُجْمَلًا  
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نَسْرِبُ قُرْبِهِ ■■■ وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلًا  
وَحَقُّ لِحَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ مَقْعَدَا ■■■ وَلَا لَاءَمَتُهُ الدَّارُ - أَنْ يَتَرَحَّلَا  
أَلَيْسَ بِحَزْمٍ مَنْ لَهُ الظِّلُّ مَقْعَدَا ■■■ إِذَا أَدْرَكَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا؟

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص ٧٠).

(٢) الزُّورَاءُ: اسم لبغداد.

(٣) «بهجة المجالس» (٢٣/١).

بَلَيْتُ بِحِمَصٍ<sup>(١)</sup> وَالْمَقَامُ بَيْلِدَةٌ ■■■ طويلاً - لَعَمْرِي - مُخْلِقُ يُوْرِثُ الْبَيْلَا  
 إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ ■■■ وَلَمْ يَنْأَ عَنْهُمْ، كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلًا  
 وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالِمٍ ■■■ وَلَا غَرَّبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقِلَا<sup>(٢)</sup>

أَخِي الْكَرِيمُ، أَدِّ حُقُوقَ جِيرَانِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْجَاهِ،  
 وَالنَّفْعَ الْبَدَنِيَّ وَالْمَالِيَّ، وَكُفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ الْقَوْلِيَّ وَالْفِعْلِيَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ  
 الْجَوَارِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ تَعْمِيرِ الدِّيَارِ، وَزِيَادَةِ الْأَعْمَارِ كَمَا سَبَقَ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

وَحِفَاطُ جَارٍ لَا تُضِعُّهُ، فَإِنَّهُ ■■■ لَا يَبْلُغُ الشَّرْفَ الْجَسِيمَ مُضِيعٌ<sup>(٤)</sup>

وَقَالَ آخَرُ:

وَالْجَارُ لَا تَذْكُرْ كَرِيمَةً بَيْتِهِ ■■■ وَاغْضَبْ لِكَلْبِ الْجَارِ إِنْ هُوَ أُغْضِبَ  
 احْفَظْ أَمَانَتَهُ، وَكُنْ عِزًّا لَهُ ■■■ أَبَدًا، وَعَمَّا سَاءَهُ مُتَجَنِّبًا  
 كُنْ لِيُنَّا لِلْجَارِ، وَاحْفَظْ حَقَّهُ ■■■ كَرَمًا، وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرِيَا



(١) حمص: اسم إشبيلية، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْفَاتِحِينَ مِنْ أَهَالِي حِمَصِ الشَّامِ نَزَلُوهَا.

(٢) «الآداب الشرعية» (١٠٦/٢).

(٣) جاء ذلك في حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في (ص ١٥، ١٠٠).

(٤) «جواهر الأدب» (ص ٦٦٢).

## حَسَنُ السَّمْتِ



**حُسْنُ السَّمْتِ:** هُوَ حُسْنُ الْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ لِلإِنْسَانِ مِنْ طَرِيقَةِ الْحَدِيثِ وَالصَّمْتِ، وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالِدُخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالسَّيْرَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي النَّاسِ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ أَنْ يَنْسِبَهُ إِلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالِدَيَّانَةِ وَالْفَلَاحِ<sup>(١)</sup>.

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُحْسِنَ تَعَاهُدَ نَفْسِهِ فِي لِبَاسِهِ، وَنِظَافَةِ بَدَنِهِ، وَلِيَسْتَعْمَلَ الطَّيِّبَ وَالسَّوَاكَ، وَيَزِنَ كَلَامَهُ، فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ أَوْ لِيَصْمُتَ، فَهَذَا مِنْ السَّمْتِ، وَالسَّمْتُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحَ، وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «نظرة النعيم» (١٥٨٨/٥).

(٢) رواه أبو داود - واللفظ له - (٤٧٧٦)، وأحمد (٢٩٦/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٤٤/٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٩٣/١).

(٣) رواه أبو داود (٣٨٧٨) و(٤٠٦١)، والترمذي (٩٩٤)، وصححه الحاكم (١٨٥/٤)، ووافقه الذهبي، وقال محقق جامع الأصول: هو كما قال (٦٦٨/١٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٦/١).



وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ: اتانا رسولُ الله - ﷺ - فرأى رجلاً شعناً <sup>(١)</sup>، قد تفرَّقَ شعرُهُ، فقال: «أما كان هذا يجد ما يسكن به شعرُهُ؟» ورأى رجلاً آخر، وعليه ثيابٌ وسيخةٌ، فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبَهُ؟» <sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رضي الله عنه - قَالَ: «إِنْ أَشَبَّهَ النَّاسُ دَلًّا <sup>(٤)</sup>، وَسَمْتًا <sup>(٥)</sup>، وَهَدْيًا <sup>(٦)</sup> برسولِ الله - ﷺ - لِابْنِ أُمِّ عَبْدِ <sup>(٧)</sup> مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، لَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ إِذَا خَلَا» <sup>(٨)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهَ سَمْتًا، وَدَلًّا، وَهَدْيًا برسولِ الله في قِيَامِهَا، وَقُعُودِهَا - مِنْ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -» <sup>(٩)</sup>.

وَكَانَ السَّلَفُ - رضي الله عنهم - يَرْحَلُونَ لِتَعْلُمِ حُسْنِ السَّمْتِ مِنْ أَهْلِهِ، كَمَا يَرْحَلُونَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ.

(١) شعناً: مُغْبَرَّ الرَّأْسِ.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٦٢)، وروى النَّسَائِيُّ شَطْرَهُ الْأَوَّلَ (٥٢٣٨)، وصَحَّحَهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٣٣٣/١)، وَالصَّحِيحَةُ (٤٩٣).

(٣) رواه أبو داود (٤١٦٣)، وصَحَّحَهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٤٩٣/٢)، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥٠٠).

(٤) الدَّلُّ: الْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ وَالطَّرِيقَةِ.

(٥) السَّمْتُ: حُسْنُ الْمَنْظَرِ فِي أَمْرِ الدِّينِ.

(٦) الْهَدْيُ: السَّيْرَةُ وَالطَّرِيقَةُ.

(٧) ابْنُ أُمِّ عَبْدِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -.

(٨) رواه البخاري (٣٧٦٢) وَ(٦٠٩٧).

(٩) رواه أبو داود (٥٢١٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٣٨٧٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٨٣٦٩)،

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَرْحَلُونَ إِلَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَيَنْظُرُونَ إِلَى سَمْتِهِ، وَهَدْيِهِ، وَدَلِّهِ، فَيَتَشَبَّهُونَ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ:

«خَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: أَنَّ أَصْحَابَ ابْنِ مَسْعُودٍ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى سَمْتِهِ، وَهَدْيِهِ، وَدَلِّهِ، فَيَتَشَبَّهُونَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«كَانُوا إِذَا اتَّوَا الرَّجُلَ؛ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ، نَظَرُوا إِلَى صَلَاتِهِ، وَإِلَى سَمْتِهِ، وَإِلَى هَيْئَتِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْفَقِيهِ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لِبَاسِهِ وَنَعْلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«أَيْنَ تَرِيدُ؟» قَالَ: «إِلَى الْبَصْرَةِ». فَقِيلَ لَهُ: «مَنْ بَقِيَ؟». قَالَ: «ابْنُ عَوْنٍ أَخُذُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، أَخُذُ مِنْ آدَابِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «الصَّحَاح» (٤/١٦٩٩)، و«اللَّسَان» (٣/١٤٢٣). قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «عُمَرُ أَشَبَّهُ النَّاسَ بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَأَشَبَّهُ النَّاسَ بِعُمَرَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَبِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَالِمٍ» «الْفَتْح» (٥١٠/١٠).

(٢) «الْفَتْح» (٥١٠/١٠).

(٣) و(٤) و(٥) «الْآدَابُ الشَّرْعِيَّة» (٢/٢٥٥).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - أَيْضًا - :

«لَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ ابْنِ عَجَلَانَ، كُنْتُ أَشْبَهُهُ بِالْيَاقُوتَةِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ، مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ، لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ وَدَلَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«قَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَقْصِدُونَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ لِلنَّظَرِ إِلَى سَمْتِهِ وَهَدْيِهِ، لَا لِاقْتِبَاسِ عِلْمِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ثَمَرَةَ عِلْمِهِ هَدْيُهُ وَسَمْتُهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

«كَانَ يَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءٍ»<sup>(٤)</sup> خَمْسَةَ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ، أَقَلُّ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ يَكْتُبُونَ، وَالْبَاقِي يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الْأَدَبِ، وَحُسْنَ السَّمْتِ»<sup>(٥)</sup>.



(١) «الجرح والتعديل» (١/٢٧٣).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/٢٥٥).

(٣) «صيد الخاطر» (ص ٢١٦).

(٤) زُهَاءُ خَمْسَةَ آلَافٍ: قَدَّرُ خَمْسَةَ آلَافٍ.

(٥) «الآداب الشرعية» (٢/٩٧).

## الْوَقَارُ



**الْوَقَارُ:** هو الإمساكُ عَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَالْعَبَثِ، وَكَثْرَةِ الْإِشَارَةِ وَالْحَرَكَةِ فِيمَا يُسْتَغْنَى عَنِ التَّحَرُّكِ فِيهِ، وَقَلَّةُ الْغَضَبِ، وَالْإِصْغَاءُ عِنْدَ الْاسْتِفْهَامِ، وَالتَّوَقُّفُ عَنِ الْجَوَابِ، وَالتَّحْفُظُ مِنَ التَّسْرِعِ، وَالْمُبَاكَرَةُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ <sup>(١)</sup>.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةٍ، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ <sup>(٢)</sup> فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ <sup>(٤)</sup>، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا» <sup>(٥)</sup>.

وَالْحُصُولُ عَلَى الْوَقَارِ يَكُونُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَوْقِيرِهِ، وَمَنْ طَلَبَ التَّوْقِيرَ مِنَ النَّاسِ - وَهُوَ لَا يُعْظِمُ اللَّهَ، وَلَا يُوقِّرُهُ - فَقَدْ طَلَبَ مُحَالًا، وَلِلَّهِ دَرُ الْعَلَامَةِ الرَّبَّانِيِّ ابْنِ الْقِيَمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - حِينَ قَالَ: «مَنْ أَعْظَمَ الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ أَنْ تَطْلُبَ التَّعْظِيمَ وَالتَّوْقِيرَ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَقَلْبُكَ خَالٍ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَوْقِيرِهِ، فَإِنَّكَ تُوقِّرُ الْمَخْلُوقَ، وَتُجِلُّهُ أَنْ يَرَاكَ فِي حَالٍ لَا تُوقِّرُ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ عَلَيْهَا.

(١) «تهذيب الأخلاق».

(٢) الْخِيَلَاءُ: الْكِبَرُ، وَاحْتِفَارُ النَّاسِ، وَالْعُجْبُ عَلَيْهِمْ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٣٣٠١) وَ(٣٤٩٩) وَ(٤٣٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٥٢).

(٤) قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (١٣٩/٢): «الْفَرْقُ بَيْنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ: أَنَّ السَّكِينَةَ هِيَ التَّائِي

فِي الْحَرَكَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْعَبَثِ، وَالْوَقَارُ فِي الْهَيْئَةِ: كَغَضُّ الْبَصَرِ، وَخَفْضُ الصَّوْتِ، وَعَدَمُ الْإِنْفَاقِ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٦٣٦)، وَمُسْلِمٌ (٦٠٢).



قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (سورة نوح: ١٣). أي لا تعاملونه معاملة مَنْ تَوْقَرُونَهُ، والتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ وَتَوْقَرُوهُ ﴾ (سورة الفتح: ٩) <sup>(١)</sup>.

وَالْوَقُورُ يُدْرِكُ مَا لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ مِنْ مَعَانِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ.

قَالَ رَجُلٌ يَصِفُ الْإِمَامَ مَالِكًا:

يَدْعُ الْجَوَابَ، وَلَا يَرْاجِعُ هَيْبَةً ■■■ وَالسَّائِلُونَ نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ <sup>(٢)</sup>  
نُورُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ■■■ فَهُوَ الْمُهَيْبُ، وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ <sup>(٣)</sup>

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:

مَنْ كَانَ مُلْتَمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا ■■■ فَلَيَأْتِ حَلَقَةً مِسْعَرِبْنَ كِدَامٍ  
فِيهَا السُّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا ■■■ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْأَقْوَامِ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>



(١) «الفوائد» (ص ٣٢٩).

(٢) نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ: مُطَاطَنُ الرَّءُوسِ، والمفرد ناكسٌ، وهو من الجمع الشاذ.

(٣) شرح حديث (ما ذئبان جائعان) (ص ٧٨).

(٤) عِلْيَةُ الْأَقْوَامِ: أَشْرَفُهَا وَأَرْفَعُهَا، والمفرد عَلِيٌّ، كَصَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ.

(٥) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٧/ ١٧٠).

## الرَّفْقُ



**الرَّفْقُ:** هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ، وَهُوَ دَكِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْإِنَاءَةِ، وَالرَّزَانَةِ، وَحِظُّ الْمَرْءِ مِنَ التَّوْفِيقِ بِقَدَرِ حِظِّهِ مِنَ الرَّفْقِ.

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩).

وَقَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (سورة طه: ٤٣-٤٤).

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»<sup>(١)</sup>.

وَعنها أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٢) (٣)</sup>.

وَعنها أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، أَرْفُقِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٢) شَانَهُ: عَابَهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (١٠٤/٦)، ورجاله رجال الصَّحِيح، وهو في «الصَّحِيحَةِ» (٥٢٣)، ورواه ابن

أبي الدنيا في ذمِّ الغضب بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ أَهْلَ بَيْتٍ، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ»، وهذا صحَّحه الألباني في

«صحيح الجامع» (١٧٠٤/١)، و«الصَّحِيحَةُ» (١٢٣٩).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ يُحْرَمَ الرِّفْقُ يُحْرَمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ<sup>(٣)</sup> فِي حَاجَةٍ ■■■ لَمْ يَقْضِهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ<sup>(٤)</sup>

وَالرِّفْقُ لَا يَكُونُ مَعَ بَنِي الْإِنْسَانِ فَحَسَبَ، بَلْ يَكُونُ حَتَّى مَعَ الْحَيَوَانِ.

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ»<sup>(٥)</sup>، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ<sup>(٦)</sup>، وَلْيُرِخْ ذُبِيحَتَهُ<sup>(٧)</sup> (٨).

وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الذُّرْوَةَ فِي رِفْقِهِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا غَرَوْ فَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨).

(١) رواه الترمذي (٢٠١٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٥٥/٢)، و«الصحيح» (٥١٩) و (٨٧٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢)، بدون كلمة «كُلَّهُ» وهي من زيادة أبي داود.

(٣) المدجج: الفارس الذي قد توارى بالسلاح من كثرتِه.

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٢١٦).

(٥) القِتْلَةُ: الهيئة والحالة التي يكون عليها القتل لمن استحقه، وكذلك الذَّبْحَةُ.

(٦) الشَّفْرَةُ: هي حَدُّ السَّكِّين الذي يكون الذَّبْحُ مِنْ جَانِبِهِ.

(٧) ذُبِيحَتُهُ: مذبحته، سُمِّيَتْ ذُبِيحَةً بِاعْتِبَارِ مَا تُتَوَلَّى إِلَيْهِ.

(٨) رواه مسلم (١٩٥٥).



■ وَمِنْ أَمْثَلَةِ رِفْقِهِ بِأُمَّتِهِ مَا يَلِي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «دَعُوهُ؛ فَإِنَّ لِرَّسَالَةِ الْحَقِّ مَقَالًا»، ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ». قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمِثْلَ مَنْ سِنِّهِ». فَقَالَ: «أَعْطُوهُ؛ فَإِنَّ مَنْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «دَعُوهُ، وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا»<sup>(٢)</sup> مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنْوِبًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْهُ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ؛ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا». فَقِيلَ: «هَلَكْتُ دَوْسًا». قَالَ: «اللَّهُمَّ، اهْدِ دَوْسًا، وَأَتِ بِهِمْ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطْلَاقَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ»<sup>(٥)</sup> فِي صَلَاتِي؛ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةٍ وَجَدَ<sup>(٦)</sup> أُمَّهُ مِنْ بُكَائِهِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البخاري - واللفظ له - (٢٣٠٥) و (٢٣٠٦) و (٢٣٩٠) و (٢٣٩٢) و (٢٣٩٣) و (٢٤٠١) و (٢٦٠٦) و (٢٦٠٩)، ومسلم (١٦٠١).

(٢) السَّجَلُ: الدَّلْوُ المَمْلُوءَةُ مَاءً، وَكَذَلِكَ الذَّنُوبُ، وَيُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارِغَةٌ: سَجَلٌ وَلَا ذَنْبٌ، وَجَمْعُ سَجَلٍ سَجَالٌ.

(٣) رواه البخاري (٢٢٠) و (٤٣٩٢) و (٦٣٩٧)، ورواه مسلم (٢٨٤) و (٢٨٥) عن أنس.

(٤) رواه البخاري (٢٩٣٧) و (٤٣٩٢) و (٦٣٩٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٥) اتَجَوَّزْتُ: أَخَفَّفْتُ وَلَا أَطِيلُ.

(٦) وَجَدَ أُمَّهُ: حَزَنَهَا وَأَسَاها.

(٧) رواه البخاري (٧٠٩) و (٧١٠)، ومسلم (٤٧٠).



قَالَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرِيزِيُّ:

الرَّفْقُ أَيَّمَنْ شَيْءٍ أَنْتَ تَتَّبِعُهُ

وَالْخُرْقُ أَشَامُ شَيْءٍ يُقَدِّمُ الرُّجُلَ<sup>(١)</sup>

وَذُو الثُّبُتِ مِنْ حَمْدٍ إِلَى ظُلْفٍ

مَنْ يَرْكَبِ الرَّفْقَ لَا يَسْتَحْقِبُ<sup>(٢)</sup> الزَّلَا<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ ابْنُ حَبَّانٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْعَاقِلُ يَلْزِمُ الرَّفْقَ فِي الْأَوْقَاتِ، وَالْاعْتِدَالُ فِي الْحَالَاتِ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَقْدَارِ فِي الْمُبْتَغَى عَيْبٌ، كَمَا أَنَّ النُّقْصَانَ فِيمَا يَجِبُ مِنَ الْمَطْلَبِ عَجْزٌ، وَمَنْ لَمْ يَصْلَحْهُ الرَّفْقُ لَمْ يَصْلَحْهُ الْعُنْفُ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ - أَيْضًا -: «الرَّافِقُ لَا يَكَادُ يُسَبِّقُ، كَمَا أَنَّ الْعَجَلَ لَا يَكَادُ يَلْحَقُ، كَمَا أَنَّ مَنْ سَكَتَ لَا يَكَادُ يَنْدَمُ، كَمَا أَنَّ مَنْ نَطَقَ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ»<sup>(٥)</sup>.

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لَمْ أَرِ مِثْلَ الرَّفْقِ فِي لَيْنِهِ ■■■ أَخْرَجَ لِلْعَذَاءِ مِنْ خِذْرِهَا  
مَنْ يَسْتَعِينُ بِالرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ ■■■ يَسْتَخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا<sup>(٦)(٧)</sup>

فَعَلَيْكَ - أَخِي فِي اللَّهِ - بِالرَّفْقِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا سِيَّما إِذَا كُنْتَ قَدْ وَلَّيْتَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) يَقْدِّمُ الرَّجُلُ: يَقُودُهُ وَيَتَقَدَّمُهُ.

(٢) اسْتَحْقِبَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ فِي حَقِيقَتِهِ، كَأَنَّهُ يَرْجِعُ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ.

(٣) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٢١٦).

(٤) و (٥) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص ٢١٦).

(٦) جُحْرُهَا: مَخْبِئَتُهَا، وَالْجَمْعُ جِحْرَةٌ، وَأَحْجَارٌ.

(٧) «حَيَاةُ الْحَيَوَانَ» (١/ ٢٧٥).

فَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: «أَيُّ بَنِي،  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ الرُّعَاءِ»<sup>(١)</sup> الْحُطَمَةُ»<sup>(٢)</sup>، فَإِيَّاكَ أَنْ  
تَكُونَ مِنْهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ فِي بَيْتِي  
هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَمِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَمٍ  
أُمَمِي شَيْئًا، فَفَرَّقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

وَرَأْفِقِ الرَّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، فَلَمْ  
يَنْدَمْ رَفِيقٌ، وَلَمْ يَنْدَمْ لَهُ إِنْسَانٌ  
وَلَا يَغُرَّنْكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرْقٌ<sup>(٥)</sup>  
فَالْخَرْقُ هَدْمٌ، وَرَفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانٌ<sup>(٦)</sup>



(١) الرُّعَاءُ: جمع راعٍ.

(٢) الْحُطَمَةُ: هو العنيف برعاية الإبل في السَّوْقِ، والإيراد، والإصدار، ويلقي بعضها ويعسفها، ضربه  
مثلاً لوالي السُّوء القاسي الذي يظلم الرِّعْيَةَ.

(٣) رواه مسلم (١٨٣٠).

(٤) رواه مسلم (١٨٢٨).

(٥) الْخَرْقُ: الْجَهْلُ، ضِدُّ الرَّفْقِ.

(٦) «جواهر الأدب» (ص ٦٧١).

## الرَّحْمَةُ



**الرَّحْمَةُ:** حَالَةٌ وَجْدَانِيَّةٌ تَعْرِضُ غَالِبًا لِمَنْ بِهِ رِقَّةُ الْقَلْبِ، وَتَكُونُ مَبْدَأً لِلانْعِطَافِ النَّفْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الْإِحْسَانِ <sup>(١)</sup>.

فَهِى دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ الصَّدْرِ، وَرِقَّةِ الْقَلْبِ، وَسُمُوِّ النَّفْسِ، وَالرَّجُلُ الَّذِي تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَيَرْحَمُ النَّاسَ، بَلْ يَرْحَمُ الْخَلْقَ كَافَّةً.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا». قَالُوا: «كُلُّنَا رَحِيمٌ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبِيهِ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ» <sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ - كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» <sup>(٤)</sup>.

(١) «الكليات» (٢/٣٧٦).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٤٥٣/١٠): أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات. وقال الألباني في «الصحيح»

(١/٢٧٠): هو في كتاب «الأدب» للبيهقي حديث (١٦٧).

(٣) رواه البخاري - واللفظ له - (٦٠١٣) و (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٤) رواه البخاري - واللفظ له - (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «سَدُّوا<sup>(١)</sup> ، وَقَارِبُوا<sup>(٢)</sup> ، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قالوا: «ولا أنت، يا رسول الله؟». قال: «ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي<sup>(٣)</sup> اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْهَا قَالَتْ: جَاءَنِي مَسْكِينَةٌ، تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْنِي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرُهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»<sup>(٦)</sup>.

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَا تُنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»<sup>(٧)</sup>.  
وَعَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ

(١) سَدُّوا: اطلبوا السَّدَادَ، وهو الصَّوَابُ والاستقامة.

(٢) الْمُقَارِبَةُ: الْقَصْدُ فِي الْعِبَادَةِ الَّذِي لَا غُلُوَّ فِيهِ، وَلَا تَقْصِيرَ.

(٣) يَتَغَمَّدَنِي: يَغْمُرُنِي.

(٤) رواه البخاري - واللفظ له - (٦٤٦٤) و (٦٤٦٧)، ورواه مسلم (٢٨١٦) عن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

(٥) رواه مسلم (٢٦٣٠).

(٦) رواه البخاري (٦٠٠٠) و (٦٤٦٩)، ومسلم - واللفظ له - (٢٧٥٢).

(٧) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٦٧/٢).



حَابِسِ التَّمِيمِي جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: «إِنْ لِي عَشْرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا.. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ<sup>(٢)</sup>، يَأْكُلُ الثَّرَى<sup>(٣)</sup> مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْرَ، فَمَلَأَ خُفَّهُ<sup>(٤)</sup> مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَضَرَ لَهُ». قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرٍ<sup>(٥)</sup>». فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(٦)</sup>.

وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَضَرَ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ<sup>(٧)</sup>، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ<sup>(٨)</sup> مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا<sup>(٩)</sup>، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَضَرَ لَهَا بِهِ»<sup>(١٠)</sup>.

(١) رواه البخاري - واللفظ له - (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨). قال ابن حجر معلقًا على هذا الحديث: «قال ابن بطال: فيه الحضُّ على استعمال الرَّحْمَةِ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ، فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَهَائِمُ الْمَمْلُوكُ مِنْهَا وَغَيْرُ الْمَمْلُوكِ، وَيَدْخُلُ فِي الرَّحْمَةِ التَّعَاهُدُ بِالْإِطْعَامِ، وَالسَّعْيِ، وَالتَّخْفِيفِ فِي الْحِمْلِ، وَتَرْكُ التَّعَدِّيِّ بِالضَّرْبِ». «فتح الباري» (٤٥٥/١٠).

(٢) يَلْهَثُ: يُخْرِجُ لِسَانَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ. (٣) الثَّرَى: التُّرَابُ الرُّطْبُ النَّدِي.

(٤) الْخُفُّ - بِالضَّمِّ - : الْحِذَاءُ، وَالْجَمْعُ خِفَافٌ - بِكسر الخاء -.

(٥) أَي فِي إِرْوَاءِ كُلِّ حَيٍّ ثَوَابٌ.

(٦) رواه البخاري (١٧٣) و (٢٣٦٣) و (٢٤٦٦) و (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٧) يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ: يَدُورُ حَوْلَهَا، وَالرَّكِيَّةُ: الْبَيْرُ، وَالْجَمْعُ رَكَيَا.

(٨) الْبَغِيَّةُ: الزَّانِيَةُ. (٩) الْمَوْقُ: الْخُفُّ.

(١٠) رواه البخاري (٣٣٢١) و (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْبَغْيِ ذَاتِ الْقَلْبِ الرَّؤُومِ وَالْمَرْأَةِ الَّتِي فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «عَذَّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» (١) (٢).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَبْيٌ (٣)، فَبَاذَ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَالصَّقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: «لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى الْأَلَّا تَطْرَحَهُ». فَقَالَ: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا» (٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ اَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» (٥).

وَالْأَحَادِيثُ فِي الرَّحْمَةِ كَثِيرَةٌ جَدًّا؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَهَمِّيَّتِهَا، وَعَظَمِ شَأْنِهَا.

قَالَ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الرَّحْمَةُ سَبَبٌ (٦) وَاصِلٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، بِهَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كُتُبُهُ، وَبِهَا هَدَاهُمْ، وَبِهَا أَسْكَنَهُمْ دَارَ ثَوَابِهِ، وَبِهَا رَزَقَهُمْ وَعَافَاهُمْ» (٧).

(١) خَشَاشُ الْأَرْضِ: هَوَامُّهَا وَحَشَرَاتُهَا، وَاحِدُهَا خَشَاشَةٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٦٥) وَ (٣٣١٨) وَ (٣٤٨٢)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٢٤٢).

(٣) سَبْيٌ: أُسْرَى جَمْعُ أُسِيرٍ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٥٩٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٤).

(٥) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٢٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٥٢٢/١)،

وَالصَّحِيحَةُ (٩٢٥).

(٦) «بَصَائِرُ ذَوِي التَّمْيِيزِ» (٥٥/٣).

(٧) سَبَبٌ: حَبْلٌ، وَالْجَمْعُ أَسْبَابٌ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - يرحمه الله -:

«الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء حقوق الله، وحقوق الخلق؛ فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها.

وإذا تدبرنا ما شرعه في المعاملات، والحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين، والقرابة، والجيران، وسائر ما شرع - وجدت ذلك مبنياً على الرحمة»<sup>(١)</sup>.

ثم قال:

«لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين كلُّ موفقٍ رشيد»<sup>(٢)</sup>.



(١) «الرياض الناضرة، والحدائق النيرة» (ص ٥٠ - ٥١) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ٣٥).



## التَّوَاضُّعُ



التَّوَاضُّعُ: صِفَةُ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٣).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِيٍّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«ذَكَرَ أَنَّ صِفَاتَهُمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ، وَنُعُوتُهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ : ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَي سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ وَلِلْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَالتَّوَاضُّعُ عِلَامَةٌ حُبِّ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٥٤).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«هَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْكُمَّلِ، أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ مُتَوَاضِعًا لِأَخِيهِ وَوَلِيِّهِ، مُتَعَزِّزًا عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «تفسير ابن سَعْدِيٍّ» (ص ٥٨٦).

(٢) «تفسير ابن كَثِيرٍ» (٧٣/٢).



وَوَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة: ٥٤).

وفي تعليل استعمال حرف الجر (على) في قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

تفسيران:

ففي قول أنه ضَمَنَهُ معنى الحنوَّ والعطف، كَأَنَّهُ قَالَ: عاطفينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ والتَّوَاضُّعِ.

وفي قول ثانٍ أَنَّ (عَلَى) تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَقَامِهِمْ، وَأَنَّهُ رَغِمَ فَضْلُهُمْ وَارْتِفَاعُ مَنْزِلَتِهِمْ يَذِلُّونَ وَيَخْضَعُونَ لِمَنْ فَضَّلُوا عَلَيْهِمْ، وَعُلُوُّ مَكَانِهِمْ<sup>(١)</sup>.

والتَّوَاضُّعُ سَبَبٌ لِرَفْعَةِ اللَّهِ لِلْمُتَوَاضِعِ، وَمَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي سَيَخْفِضُهُ وَيَضَعُهُ؟!.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - نَاقَةٌ، تُسَمَّى الْعَضْبَاءُ لَا تُسَبِّقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ<sup>(٣)</sup> فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى عَرَفَهُ فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ إِلَّا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(١) «تفسير البحر المحيط» (٥١٢/٣).

(٣) الْقَعُودُ - بِالْفَتْحِ -: هُوَ مَا اسْتَحَقَّ الرُّكُوبَ مِنَ الْإِبِلِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ سِنِّ الثَّانِيَةِ إِلَى السَّادِسَةِ، وَبَعْدَهَا يُقَالُ عَنْهُ جَمَلٌ.

(٤) رواه البخاري (٢٨٧٢) و (٦٥٠١).

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«مَنْ أَرَادَ الرُّفْعَةَ فَلْيَتَوَاضِعْ لِلَّهِ - تَعَالَى -؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا بِقَدْرِ التُّزُولِ،  
إِلَّا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ، صَعِدَ إِلَى أَغْلَاهَا، فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ:  
مَا صَعَدَ بِكَ هُنَا - أَعْنِي فِي رَأْسِ الشَّجَرَةِ، وَأَنْتَ تَحْتَ أَصْلِهَا -؟!، فَكَأَنَّ لِسَانَ  
حَالِهِ يَقُولُ: مَنْ تَوَاضِعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ السَّهِيلِيُّ:

تَوَاضِعْ إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْعُلَى<sup>(٢)</sup> ■■■ وَكُنْ رَاسِيًا عِنْدَ صَفْوِ الْغَضَبِ  
فَخَفَضُ الْفَتَى نَفْسَهُ رُفْعَةً ■■■ لَهُ، وَاعْتَبِرْ بِرُسُوبِ الذَّهَبِ

وَقَالَ آخَرُ:

تَوَاضِعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحٍ<sup>(٣)</sup> لِنَظِيرِ ■■■ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ، وَهُوَ رَفِيعٌ  
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ ■■■ إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ، وَهُوَ وَضِيعٌ<sup>(٤)</sup>

وَقَالَ آخَرُ:

تَوَاضِعْ إِذَا مَا نِلْتَ فِي النَّاسِ رُفْعَةً ■■■ فَإِنَّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ يَتَوَاضِعُ<sup>(٥)</sup>

وَقَالَ آخَرُ:

وَاحْسِنُ أَخْلَاقَ الْفَتَى وَأَتَمِّمْهَا ■■■ تَوَاضِعُهُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ رَفِيعٌ<sup>(٦)</sup>

(٢) الْعُلَى: الرُّفْعَةُ وَالشَّرَفُ.

(١) «المدخل» (٢/١٢٢).

(٣) لَاحٍ: بَرَزَ وَظَهَرَ.

(٤) وَ (٥) «جواهر الأدب» (ص ٧١٣).

(٦) «غذاء الألباب» (٢/٢٣٣).

والتَّوَاضُّعُ وَقَايَةُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الظُّلْمِ، وَحِمَايَةُ مِنَ التَّعَالِي وَالتَّفَاخُرِ عَلَى الْآخَرِينَ.

عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

إِنْ أَرَدْتَ - أَخِي فِي اللَّهِ - نَيْلَ الْكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ، وَالْمِقَّةِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْعِبَادِ، وَكَثْرَةَ الْخُلَاقِ - فَعَلَيْكَ بِالتَّوَاضُّعِ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ بَرِيَ مِنْ ثَلَاثِ نَالَ ثَلَاثًا: مَنْ بَرِيَ مِنَ الشَّرَفِ نَالَ الْعِزَّ، وَمَنْ بَرِيَ مِنَ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرَفَ، وَمَنْ بَرِيَ مِنَ الْكِبَرِ نَالَ الْكَرَامَةَ»<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ: «التَّوَاضُّعُ مَصَائِدُ الشَّرَفِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقِيلَ فِي مَثْوَرِ الْحَكَمِ: «مَنْ دَامَ تَوَاضَعُهُ كَثُرَ صَدِيقُهُ»<sup>(٥)</sup>.  
وَصِدُّ التَّوَاضُّعِ الْكِبَرُ، وَمَصْدَرُهُ جَهْلُ الْمَرْءِ بِحَقِيقَةِ نَفْسِهِ.

فَهَذَا إِبْلِيسُ امْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ لِأَدَمَ قَائِلًا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ

مِنْ طِينٍ﴾ (سورة الأعراف: ١٢).

وَهَذَا فِرْعَوْنُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ قَائِلًا: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (سورة النازعات: ٢٤).

وَهَذَا قَارُونُ لَمْ يَقْدِرِ النِّعْمَةَ الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا، بَلْ قَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ

عِنْدِي﴾ (سورة القصص: ٧٨).

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) المِقَّةُ: المحبة، يُقَالُ: وَمِقَّةُ يَمَقُّهُ - بكسر الميم فيهما - : أَحَبَّهُ، فَهُوَ وَامِقٌ، وَالتَّاءُ فِي مِقَّةٍ عِوَضٌ عَنْ فَاءِ الْكَلِمَةِ الْمَحذُوفَةِ - وَهِيَ الْوَاوُ - كَعِدَّةٍ، وَزِنَةٌ.

(٣) و (٤) و (٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٢).

فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرِينَ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ نَفْسِهِ، فَمَا كَانَ مَصِيرُهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ؟!

لَقَدْ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَخِيمَةً، وَالْمُنْقَلَبُ مَشْنُومًا، فَأَمَّا إِبْلِيسُ فَطَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَمَّا فِرْعَوْنُ فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ عَلَى جُرْأَتِهِ، وَأَمَّا قَارُونُ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ.

مَا أَجْهَلَكَ - أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ - بِحَقِيقَةِ نَفْسِكَ، فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا عَبْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنَ الْعَدَمِ، وَرَعَاكَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ؟! .  
مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَتَرَفَّعَ عَلَى إِخْوَانِكَ مِنَ الْبَشَرِ، كَأَنَّكَ قَدْ خَرَجْتَ عَنْ طَوْقِ الْبَشَرِيَّةِ؟! .

هَلَّا تَدَبَّرْتَ مَا فِيكَ مِنْ أَقْدَارٍ وَتَنْ، إِذَا لَعَرَفْتَ مَنْ أَنْتَ! .

قَالَ الْمَاورِدِيُّ - بِرَحْمَةِ اللَّهِ -:

«وَلَوْ تَصَوَّرَ الْمُعْجَبُ الْمُتَكَبِّرُ مَا فُطِرَ عَلَيْهِ مِنْ جِبِلَّةٍ<sup>(١)</sup>، وَبُلِيَ بِهِ مِنْ مَهْنَةٍ<sup>(٢)</sup> - لِحَفْضِ جَنَاحِ نَفْسِهِ، وَاسْتِبْدَالِ لَيْثٍ مِنْ عَتُوِّهِ، وَسُكُونًا مِنْ نُفُورِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ:

«عَجِبْتُ لِمَنْ جَرَى فِي مَجْرَى الْبُولِ مَرَّتَيْنِ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ؟!»<sup>(٤)</sup>.

وَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ كَانَ مَصِيرُهُ لِلْمَوْتِ وَالْبَلَى، وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِ الْقَبْرِ يَقُولُ: ابْنَ آدَمَ، لَا تَتَكَبَّرِ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِي؛ لِأَنِّي غَدًا سَوْفَ أَضْمُكَ فِي بَطْنِي.

(١) جِبِلَّةٌ: خَلْقَةٌ، وَالْجَمْعُ جِبِلَّاتٌ.

(٢) مَهْنَةٌ - بِالْفَتْحِ - : خِدْمَةٌ.

(٣) وَ (٤) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٣٨).



قال الشاعر:

حَقِيقٌ<sup>(١)</sup> بِالتَّوَاضُّعِ مَنْ يَمُوتُ ■■■ وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوتٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ ■■■ وَحِرْصٍ، لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ<sup>(٣)</sup>؟  
 ووصف أحد الشعراء الإنسان، فقال:

يَا مُظْهَرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ ■■■ انْظُرْ خَلَاءَكَ؛ إِنَّ النَّتْنَ تَثْرِيْبُ  
 لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ ■■■ مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ شُبَّانٌ، وَلَا شَيْبٌ<sup>(٤)</sup>  
 هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ غَيْرُ الرَّأْسِ مَكْرَمَةٌ؟ ■■■ وَهُوَ بِخَمْسٍ مِنَ الْأَقْدَارِ مَضْرُوبٌ<sup>(٥)</sup>  
 أَنْفٌ يَسِيلُ، وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَهْكَ<sup>(٦)</sup> ■■■ وَالْعَيْنُ مُرْمَصَّةٌ<sup>(٧)</sup>، وَالشَّغْرُ مَلْعُوبٌ  
 يَا بَنَ التُّرَابِ، وَمَأْكُولُ التُّرَابِ غَدًا ■■■ أَقْصِرْ؛ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ<sup>(٨)</sup>

ومن اللطائف ما ذكره الماوردي - يرحمه الله - قال:

«حُكِيَ أَنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ<sup>(٩)</sup>،  
 وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ<sup>(١٠)</sup> يَسْحَبُهَا، وَيَمِشِي الْخِيَلَاءَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ  
 الَّتِي يُبَغِّضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!»

- (١) حقيق: خَلِيقٌ وجديرٌ.  
 (٢) القُوت: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الرِّزْقِ.  
 (٣) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١٢/٨).  
 (٤) شَيْب: جَمْعُ أَشْيَبَ، وَهُوَ الَّذِي أَيْضُ شَعْرُهُ.  
 (٥) أَي مَلَاظِمَ لَهَا لَزُومَ الدَّرْهِمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَّتِهِ.  
 (٦) رِيحُهَا سَهْكَ: أَي كَرِيهَةٍ.  
 (٧) الرَّمَصُ - بَفَتْحَتَيْنِ - : وَسَخٌ يَجْتَمِعُ فِي طَرَفِ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الْأَنْفَ، وَبَابُهُ فَرَحَ.  
 (٨) «عُيُونُ الْأَخْبَارِ» (٣١٣/١).  
 (٩) هُوَ أَبُو سَعِيدِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ، قَائِدُ قُوَادِ الْأُمَوِيِّينَ، وَمُبِيدُ الْخَوَارِجِ، وَمُسْتَبَدِعُ  
 الرِّكْبِ الْجَدِيدِ، تَوَلَّى خُرَاسَانَ مِنْ قَبْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَتُوَفِّيَ بِهَا سَنَةَ ٨٣ هـ، وَقَدْ كَانَ جَوَادًا  
 حَكِيمًا، إِلَّا أَنَّ جَوَابَهُ هَذَا يُعَدُّ زَلَّةً مِنْ زَلَّاتِ الْإِسْتِرْسَالِ.  
 (١٠) الْحُلَّةُ: ثَوْبٌ لَهُ ظَهْرَةٌ وَبِطَانَةٌ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ، وَالْجَمْعُ حُلَلٌ.

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟!

فَقَالَ: بَلْ أَعْرِفُكَ، أُولَئِكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخَرُكَ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ، وَحَشَوُكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ<sup>(١)</sup>.

فَأَخَذَ ابْنُ عَوْفٍ هَذَا الْكَلَامَ، فَنَظَّمَهُ شِعْرًا، فَقَالَ:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ■■■ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَةً  
وَفِي غَدٍ - بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ - ■■■ يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيْفَةً قَذِرَةً  
وَهُوَ عَلَى تِيهِهِ<sup>(٢)</sup> وَنَخْوَتِهِ<sup>(٣)</sup> ■■■ مَا بَيْنَ ثَوْبِيهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ<sup>(٤)</sup>

وَالْتَّكَبُّ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ.

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ الْخُزَاعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتُلٍ<sup>(٥)</sup> جَوَاطِ<sup>(٦)</sup> مُسْتَكْبِرٍ<sup>(٧)</sup>».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»<sup>(٨)</sup>.

عَجَبًا لِهَذَا الْمَتَكَبِّرِ الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ، كَيْفَ يَتَجَرَّأُ عَلَى خَالِقِهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، وَيُنَازِعُهُ رِدَاءَهُ؟!

(١) الْعَذِرَةُ: الْغَائِطُ.

(٢) التِّيْهِ - بِالْكَسْرِ - : التَّكَبُّرُ، يُقَالُ: تَاهَ تِيْهُ تِيْهًا، فَهُوَ أَتْيَهُ النَّاسِ.

(٣) النَخْوَةُ: الْكِبَرُ وَالْعِظَمَةُ، يُقَالُ: انْتَخَى فُلَانٌ عَلَيْنَا، أَي: افْتَخَرَ وَتَعَطَّمَ.

(٤) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٣٦ - ٢٣٧).

(٥) الْعَتُلُ: الْغَلِيظُ الْفُظُّ الْجَافِي.

(٦) الْجَوَاطِ: الْجَمُوعُ لِلْمَالِ، الْمَنُوعُ لَهُ. وَقِيلَ: الضَّخْمُ الْمُخْتَالُ فِي مِشِيَّتِهِ.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩١٨) وَ (٦٠٧١) وَ (٦٦٥٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٥٣).

(٨) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :  
«قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزُّ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ:

حَذَرْتُكَ الْكِبْرَ، لَا يَغْشَاكَ مَبْسَمُهُ ■■■ قَالَهُ مَلْبَسٌ نَازَعْتَهُ اللَّهُ  
يَا بُؤْسَ جِلْدٍ عَلَى جَوْفٍ<sup>(٢)</sup> مُجَوَّفَةٍ<sup>(٣)</sup> ■■■ يَحْوِي مَقَازِيرَ، إِنْ كَلَّمْتَهُ تَاهَا  
إِنِّي لَأَمُقْتُ<sup>(٤)</sup> نَفْسِي عِنْدَ نَخْوَتِهَا ■■■ فَكَيْفَ آمَنُ مَقَّتَ اللَّهُ إِيَّاهَا ۝

وَلِلْكَبْرِ صُورٌ وَأَشْكَالٌ عِدَّةٌ، فَتَارَةٌ يَظْهَرُ فِي الْوَجْهِ كَتَّصْعِيرِ الْخَدِّ<sup>(٥)</sup>، وَبِالنَّظَرِ  
شَرْزًا<sup>(٦)</sup> تَارَةً، وَأُخْرَى بِإِطْرَاقِ الرَّأْسِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ بِإِسْبَالِ الثَّوبِ عُجْبًا وَبَطْرًا، أَوْ  
بِالتَّبَخُّرِ فِي الْمَشْيِ مَعَ الْإِعْجَابِ بِثِيَابِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صُورِ الْكِبْرِ.

قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿سورة لقمان: ١٨﴾.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا،  
لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠).

(٢) جَوْفُ الْإِنْسَانِ: بَطْنُهُ، وَالْجَمْعُ أَجْوَافٌ.

(٣) مُجَوَّفَةٌ: فِيهَا تَجْوِيفٌ.

(٤) الْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ.

(٥) تَصْعِيرُ الْخَدِّ: الْمِيلُ وَالْإِعْرَاضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكِبْرًا عَلَيْهِمْ.

(٦) نَظَرَ إِلَيْهِ شَرْزًا: أَيِ نَظَرَ إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ، وَمُؤَخَّرُ الْعَيْنِ - بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ - وَكُسْرِ الْخَاءِ - : طَرَفُهَا  
الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ، وَالْجَمْعُ مَآخِرُ.

(٧) الْمَرَجُ: التَّبَخُّرُ وَالْخِيَلَاءُ وَشِدَّةُ الْفَرَحِ.

(٨) رواه البخاري (٥٧٩١)، ومسلم (٢٠٨٥).



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تَعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرْجُلُ رَأْسِهِ<sup>(١)</sup>، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ<sup>(٢)</sup> فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ فِي وَصْفِ الْمُتَكَبِّرِينَ:

وَجُوهُهُمْ مِنْ سَوَادِ الْكِبَرِ عَابِسَةٌ ■ ■ ■ كَأَنَّمَا أُوفِدُوا<sup>(٤)</sup> غَضَبًا إِلَى النَّارِ  
هَانُوا عَلَى اللَّهِ، فَاسْتَاءَتْ مَنَظَرُهُمْ ■ ■ ■ يَا وَيْحَهُمْ مِنْ مَنَاكِيدٍ<sup>(٥)</sup> وَفُجَّارٍ  
لَيْسُوا كَقَوْمٍ إِذَا لَا قَيْتَهُمْ عَرَضًا ■ ■ ■ أَهْدُوكَ مِنْ نُورِهِمْ مَا يُتَحَفُّ السَّارِي<sup>(٦)</sup>  
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ: لَا قَيْتُ سَيِّدُهُمْ ■ ■ ■ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

■ أُمُورٌ تَنَافِي التَّوَاضُّعَ:

١- أَنْ يَرَى الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ حَقًّا عَلَى اللَّهِ لِأَجْلِ تَوَاضُّعِهِ:

وَعِلَاجُهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ أَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِأَصْحَابِهِ - وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ -: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ». قَالُوا: «وَلَا أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفَرَةٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ»<sup>(٧)</sup>.

(١) مُرْجُلُ رَأْسِهِ: مُسَرَّحُهُ بِالْمُشْطِ.

(٢) يَتَجَلَجَلُ: يَغُوصُ فِي الْأَرْضِ حِينَ يَخْسَفُ بِهِ. وَالْجَلْجَلَةُ: حَرَكَةٌ مَعَ صَوْتٍ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٨٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٨٨).

(٤) أُوفِدُوا: أُرْسِلُوا.

(٥) مَنَاكِيدٌ: جَمْعُ مَنَّكُودٍ، وَهُوَ الْمَشْتُومُ قَلِيلُ الْخَيْرِ.

(٦) السَّارِي: السَّائِرُ لَيْلًا مِنْ سَرَى يَسْرِي سُرًى.

(٧) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، وَاللَّفْظُ هُنَا لِمُسْلِمٍ.



قال الشاعر:

ولو أن أنفاسَ العبادِ قصائدٌ ■■■ حَفَلْتُ بِمَدْحِكَ فِي جَلالِ عُلَاكَ

ما أدركتُ ما تَسْتَحِقُّ، وَقَصَّرتُ ■■■ عَن مَجْدِكَ الْأَسْمَى، وَحُسْنِ سَنَاكَ<sup>(١)</sup>

٢. أن يرى لنفسه فضلاً على الناس، وقيمةً على مَنْ سِوَاهُ:

وَعِلَاجُ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَدِينٌ لِلَّهِ فِي إِنْعَامِهِ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ  
اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (سورة النحل: ٥٣).

قال الشاعر:

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالْجِبَاهِ لَهُ ■■■ عَلَى لُظَى<sup>(٢)</sup> الْجَمْرِ، وَالْحَمَى<sup>(٣)</sup> مِنَ الْإِبْرِ

لَمْ تَبْلُغِ الْعُشْرَ مِنْ مِقْدَارِ نِعْمَتِهِ ■■■ وَلَا الْعُشْرَ وَلَوْ عُشْرَ مِنْ الْعُشْرِ!

٣. أن يرى في نفسه أنه متواضع:

وَعِلَاجُهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَنْ رَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ  
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (سورة النجم: ٣٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ؛ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) السُّنَا: النُّور السَّاطِعُ.

(٢) اللَّظَى - بفتحين - : النَّار.

(٣) الْحَمَى: الْمُشْتَدُّ الْحَرُّ.

(٤) رواه مسلم في «الآداب» (٤١٤٢) عن زينب بنت أم سلمة.

## ٤. الإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ:

العُجْبُ داءٌ عَظِيمٌ يَدْعُو إِلَى الْكِبَرِ، فَهُوَ أَحَدُ أَسْبَابِهِ، بَلْ هُوَ الدَّرَجَةُ الْأُولَى فِي سُلَّمِ الْكِبَرِ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ الْعُجْبُ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ: شَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَاعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة: «... وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَشَحٌّ مُطَاعٌ، وَاعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ»<sup>(٢)</sup>.

وَالْعُجْبُ بِالنَّفْسِ يُطْفِئُ مِنَ الْمَحَاسَنِ مَا انْتَشَرَ، وَيَسْلُبُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا اشْتَهَرَ، وَيُيَرِّزُ الْمَسَاوِيَّ، وَيُكْسِبُ الرَّذَائِلَ، وَيُوجِبُ الذَّمَّ وَاللُّومَ، وَلَيْسَ لِمَنْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ إِصْغَاءٌ لِنُصْحٍ، وَلَا قَبُولٌ لَتَأْدِيبٍ؛ لِأَنَّ الْمُعْجَبَ يَسْتَكْثِرُ فَضْلَهُ عَنْ اسْتِرَادَةِ الْمُتَأَدِّبِينَ.

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْإِعْجَابُ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَزْرُ جَمَهَرٍ: «النُّعْمَةُ الَّتِي لَا يُحْسَدُ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا التَّوَاضُّعُ، وَالْبَلَاءُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ صَاحِبُهُ مِنْهُ الْعُجْبُ»<sup>(٤)</sup>.

## قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ قَدْرًا وَرَفْعَةً ■■■ فَلَنْ تَوَاضَعَ، وَاتْرُكِ الْكِبَرَ وَالْعُجْبًا<sup>(٥)</sup>

(١) زَوَاهِ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١/٣٠٤٥)، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٨٠٢).

(٢) حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَخْرِيجِ الْمَشْكَاءِ» (٥١٢٢).

(٣) وَ (٤) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٣٧).

(٥) «جَوَاهِرُ الْأَدَبِ» (ص ٧١٣).

٥. عَدَمُ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ:

وعلاجهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ عَدَمَ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ هُوَ عَيْنُ الْكِبَرِ وَالْبَغْيِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - عَرَفَ الْكِبَرَ - الَّذِي هُوَ ضِدُّ التَّوَاضُعِ - بقوله: **«الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ»** <sup>(١)</sup>،  
وَعَمَطُ النَّاسِ <sup>(٢) (٣)</sup>.

وَسُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنِ التَّوَاضُعِ، فَقَالَ: «يَخْضَعُ لِلْحَقِّ، وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ» <sup>(٤)</sup>.

وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ رِضَى اللَّهِ، هَانَ عَلَيْهِ الْانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، كَالَّذِي رُويَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَغَلَطَ فِيهَا، فَلَمَّا نَبَّهَ إِلَى غَلَطِهِ، أَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَرَجَعُ وَأَنَا صَاحِرٌ، لِأَنِّي أَكُونُ ذَنْبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ» <sup>(٥)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

فَيَا شَامِخًا، أَقْصِرْ عَنَّا نَكَ مَقْصَرًا ■■■ فَاِنْ مَطَايَا الدَّهْرِ تَكْبُو وَتَعَثُرُ  
سَتَقْرَعُ سِنًا، أَوْ تَعَضُّ نَدَامَةً. ■■■ يَدِيكَ، إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَتَبْصُرُ  
وَيَلْقَاكَ مُرْشِدٌ - بَعْدَ غِيَاكَ - وَاعِظٌ ■■■ وَلَكِنَّهُ يَلْقَاكَ وَالْأَمْرُ مُدِيرٌ



(١) بَطْرُ الْحَقِّ: رَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَعَدَمُ قَبُولِهِ مِنْهُ رَغْمَ عِلْمِهِ بِهِ.

(٢) عَمَطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَآؤُهُمْ، وَمِنْ احْتِقَارِهِمْ وَازْدِرَآؤِهِمْ دَفْعُ حُقُوقِهِمْ، وَجَحْدُهَا وَاسْتِهْآنَ بِهَا.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩١) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(٤) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/ ٦٨٠).

(٥) «تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ» (٧/ ١٢).

## الْحِلْمُ



**الحِلْمُ:** آيةُ حُسْنِ الخُلُقِ، وعُنْوَانُ عُلُوِّ الهِمَّةِ، فهو مِنْ أَشْرَفِ الأخلاقِ، وَأَحَقُّهَا بِذَوِي الأَلْبَابِ؛ لما جَعَلَ اللهُ فِيهِ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ، والسَّكِينَةِ، والحلاوةِ، وسَلَامَةِ العَرَضِ، وَرَاحَةِ الجَسَدِ، واجْتِلَابِ الحَمْدِ، وَرَفْعَةِ النَّفْسِ عَنْ تَشْفِيهَا بِالانتِقَامِ؛ فلا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَكُونَ مُتَخَلِّقًا بِهَذَا الخُلُقِ العَظِيمِ.

### ■ فَضْلُ الْحِلْمِ وَفَوَائِدِهِ :

١. أَنَّهُ امْتِثَالٌ لأَمْرِ اللهِ - تعالى - الَّذِي هُوَ غَايَةُ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي آيَةِ جَامِعَةِ حُسْنِ الخُلُقِ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهٗ - ﷺ - أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

٢. أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ - تعالى -:

قَالَ اللهُ - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ -: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٣٥).

(١) تقدّم تخريجه.



قال العلامة ابن سَعْدِي . يرحمه الله . في تفسير هذه الآية :

«الحليمُ: الَّذِي يُدِرُّ عَلَى خَلْقِهِ النِّعَمَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ مَعَ عَصْيَانِهِمْ، وَكَثْرَةَ زَلَّاتِهِمْ، فَيَحْلُمُ عَنْ مُقَابَلَةِ الْعَاصِينَ بِعَصْيَانِهِمْ، وَيَسْتَعْتِبُهُمْ كِي يَتُوبُوا، وَيَمْهَلُهُمْ كِي يُنْبِئُوا»<sup>(١)</sup>.

٣. أنه من أخلاق الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين -:

لَمْ يُسَمِّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْحِلْمِ فِي كِتَابِهِ أَحَدًا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ، وَإِسْمَاعِيلَ ذِيحَهُ.

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (سورة هود: ٧٥).

وقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات: ١٠١).

وَبَلَغَ نَبِيْنَا - ﷺ - الذُّرُوءَ وَالْغَايَةَ فِي حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ، وَضَبَطَ النَّفْسَ إِزَاءَ<sup>(٢)</sup> التَّخَرُّصَاتِ وَالْمُفْتَرِيَّاتِ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ، إِضَافَةً إِلَى الْإِيذَاءِ الَّذِي لَقِيَهُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: كَامْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ، وَأَبِي جَهْلٍ، وَأَبِي بَنٍ خَلْفٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ سُفَهَاءِ مَكَّةَ.

وَصَفَّتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ: «وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»<sup>(٣)</sup>.

وعنها - أيضاً - قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - شَيْئًا - قَطُّ - بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ - قَطُّ - فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يَنْتَهِكَ شَيْئًا مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»<sup>(٤)</sup>.

(١) «تفسير السَّعْدِي» (٥/ ٦٣٠).

(٢) إِزَاءَ: حِيَالٌ وَمُقَابِلٌ.

(٣) رواه التِّرْمِذِيُّ (٢٠١٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (١٦٤٠).

(٤) رواه مسلم (٢٣٢٨).

وَجَاءَ فِي وَصْفِهِ - ﷺ - فِي التَّوْرَةِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ  
الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «لَيْسَ بَفْظٌ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ»<sup>(١)</sup> بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ  
السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْضُو وَيَصْفَحُ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

صَفُوحٌ عَنِ الْإِجْرَامِ حَتَّى كَانَهُ ■■■ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى ■■■ إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ<sup>(٣)</sup> مُسْلِمًا<sup>(٤)</sup>

وَإِلَيْكَ - أَخِي الْكَرِيمَ - هَذَيْنِ الْمَثَالَيْنِ مِنْ سِيرَتِهِ - ﷺ - الدَّالَّتَيْنِ عَلَى سَعَةِ حِلْمِهِ:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَحْكِي أَنْ  
نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ  
لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَنتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ -، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ  
نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَةُ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ»<sup>(٦)</sup> بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ  
إِلَى صَفْحَةٍ<sup>(٨)</sup> عَاتَقَ<sup>(٩)</sup> رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ  
قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، ثُمَّ  
ضَحَكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعِطَاءٍ»<sup>(١٠)</sup>.

(٢) رواه البخاري (٢١٢٥) و (٤٨٣٨).

(٤) الْكَرْهُ - بِالضَّمِّ -: الْمَشَقَّةُ.

(١) السَّخَابُ: الشَّدِيدُ الصَّيْحَانِ.

(٣) لَمْ يَغْشَ: لَمْ يَغْطَ.

(٥) رواه البخاري (٣٤٧٧) و (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

(٦) الْبُرْدُ: كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ يُلْتَحَفُ بِهِ، وَجَمْعُهُ بُرُودٌ، وَأَبْرَادٌ.

(٨) الصَّفْحَةُ: الْجَانِبُ.

(٧) الْجَبَذَةُ: الْجَذْبَةُ.

(٩) الْعَاتَقُ: مَا بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْكَتِفِ.

(١٠) رواه البخاري (٣١٤٩) و (٥٨٠٩) و (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ:

«وَهَذَا مِنْ رَوَائِعِ حِلْمِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَمَالِهِ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ، وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ، وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَالتَّجَاوُزِ عَلَى جَفَاءٍ مَنْ يُرِيدُ تَأْلُفَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلِيَتَأَسَّ بِهِ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ وَالْوَلَاةُ بَعْدَهُ فِي حِلْمِهِ، وَخُلُقِهِ الْجَمِيلِ: مِنْ الصَّفْحِ، وَالْإِغْضَاءِ، وَالْعَفْوِ، وَالدَّفْعِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ:

أَغْرَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتَمٌ ■■■ مِنْ اللَّهِ مَيِّمُونَ<sup>(٣)</sup> يَلُوحُ وَيَشْهَدُ  
وَضَمَّ إِلَهُهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ■■■ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ<sup>(٤)</sup> الْمُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ■■■ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ

٤ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَثَوَابِهِ الْجَزَلِ الْعَظِيمِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ  
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤).

(١) «فتح الباري» (٥٠٦/١٠)، و«شرح مسلم» (١٤٦/٧ - ١٤٧).

(٢) أَغْرَ: أَبْيَضَ، وَالْجَمْعُ غُرٌّ، وَغُرَّانٌ.

(٣) مَيِّمُونَ: مُبَارَكٌ، وَالْجَمْعُ مَيَّامِينَ.

(٤) الْخَمْسُ: يَعْنِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَكْتُوبَةَ.



وعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - عليه السلام - قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غِيظًا - وهو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ» <sup>(١)</sup> - دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ؛ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ الْعَيْنِ <sup>(٢)</sup> شَاءَ» <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وعن ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - عليه السلام - قَالَ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غِيظًا - ولو شاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ - مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ الْقِيَامَةِ» <sup>(٥)</sup>.

٥. إِنَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِ أَهْلِ الْحِلْمِ، كَمَا تَجَاوَزُوا عَنْ أَسَاءٍ إِلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِهِ؛ فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ؛

كَانَ مِسْطَحُ بْنُ أَثَّاثَةَ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ قَرِيبًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَيَعِيشُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَفِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ لَمْ يَتَوَرَّعْ عَنِ الْخَوْصِ فِيهَا، وَالْخَبْطِ فِي عَرَضِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - الَّتِي يَكْفُلُهُ أَبُوهَا، فَنَسِيَ بِذَلِكَ حَقَّ الْإِسْلَامِ، وَحَقَّ الْقَرَابَةِ، وَحَقَّ الصَّنِيعِ الْقَدِيمِ، فَأَغْضَبَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، وَجَعَلَهُ يَحْلِفُ أَلَّا يَصِلَ قَرِيبَهُ هَذَا كَمَا كَانَ يَصِلُهُ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ، لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ». فَانْزَلَ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور: ٢٢).

(١) ومنه العَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ.

(٢) الْحُورُ: نِسَاءٌ شَدِيدَاتُ سَوَادِ الْعَيُونِ وَبَيَاضُهَا فِي حُسْنٍ وَمَلَاةٍ، وَالْمُفْرَدُ حَوْرَاءُ.

(٣) الْعَيْنُ: ضِيخَامُ الْأَعْيُنِ وَحِسَانُهَا، وَالْمُفْرَدُ عَيْنَاءُ.

(٤) رواه أبو داود - واللفظ له - (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) و(٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسنه

الالباني في «صحيح الجامع» (٢/٦٥١٨ و ٦٥٢٢).

(٥) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الباني في «صحيح الجامع» (١/١٧٦)، و«الصحيح» (٩٠٦).

(٦) لَا يَأْتَلِي: لَا يَحْلِفُ، مِنَ الْأَلْيَةِ بِمَعْنَى الْحَلْفِ.

(٧) السَّعَةُ: الْغِنَى.



فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَرْضَاهُ - : «بَلَى، وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي». فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا، وَقَالَ مُقَابِلَ حَلْفِهِ الْأَوَّلِ: «وَاللَّهِ، لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «ارْحَمُوا تَرْحَمُوا، وَاغْضَبُوا يَغْضَبُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

٦. أَنَّهُ يَقْطَعُ خَوَاطِرَ الثَّأْرِ الَّتِي تَسْتَهْلِكُ الْقُلُوبَ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

«مَشْهَدُ السَّلَامَةِ وَبَرْدُ الْقَلْبِ، وَهَذَا مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جَدًّا لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ، وَهُوَ أَلَّا يَشْتَغَلَ قَلْبُهُ وَسِرُّهُ بِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَى، وَطَلَبَ الْوُصُولَ إِلَى دَرْكِ ثَأْرِهِ، وَشَفَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَرَى أَنَّ سَلَامَتَهُ وَبَرْدَهُ وَخُلُوهَ مِنْهُ أَنْفَعُ لَهُ، وَالَّذِي وَأَطْيَبُ عِنْدَهُ، وَأَعْوَنُ عَلَى مَصَالِحِهِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ فَاتَهُ مَا هُوَ أَهَمُّ عِنْدَهُ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْهُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مَغْبُوتًا»<sup>(٣)</sup>، وَالرَّشِيدُ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ، وَيَرَى أَنَّهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ السَّفِيهِ، فَأَيْنَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنْ امْتِلَائِهِ بِالْغُلِّ وَالْوَسَاوِسِ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ فِي إِدْرَاكِ الْإِنْتِقَامِ؟!»<sup>(٤)</sup>.

٧. أَنَّهُ يَقْطَعُ إِلْحَاحَ الْجَاهِلِ فِي الظُّلْمِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت: ٣٤).

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠) و(٤٧٥٧) و(٦٦٧٩)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٧/١)، و«الصحيح» (٤٨٢).

(٣) المغبون: الخاسر والمفقود، من الغبن: وهو الشراء بأضعاف الثمن، أو البيع بأقل من ثمن المثل.

(٤) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٧٠).

قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«جَاءَتِ النَّتِيجَةُ بِ (إِذَا الْفُجَائِيَّةُ) ؛ لِأَنَّ (إِذَا الْفُجَائِيَّةَ) تَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ الْفَوْرِيِّ فِي نَتِيجَتِهَا: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُوفِّقُ لَذَلِكَ، قَالَ: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (سورة فصلت: ٣٥). (١).

يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْمُقَابَلَةَ وَالْإِنْتِقَامَ أَمِنَ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، وَإِذَا انْتَقَمَ وَأَقْعَهُ الْخَوْفُ وَلَا بُدَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزْرَعُ الْعَدَاوَةَ، وَالْعَافِلُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ، وَلَوْ كَانَ حَقِيرًا، فَكَمْ مِنْ حَقِيرٍ أَرْدَى عَدُوَّهُ الْكَبِيرَ».

وَلِلَّهِ دُرُّ مُحَمَّدٍ الْيَمِينِيِّ الْمُلَقَّبِ بِنَجْمِ الدِّينِ حِينَ قَالَ:

لَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرِيْمًا ■■■ تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ  
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا (٢) عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُدُودًا ■■■ وَخَرِبَ حَفْرُ الْفَأْرِ سَدَّ مَأْرَبِ (٣)

وَقَالَ آخَرُ:

لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا يُحْتَقَرُ ■■■ فَرِيْمًا أَسَالَتْ الدَّمَ الْإِبْرَ (٤)

(١) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص ٢٦).

(٢) قَدَمًا: قَدِيمًا.

(٣) «جواهر الأدب» (ص ٦٩٧).

(٤) المرجع السابق.

وَيُؤَاصِلُ ابْنَ الْقَيْمِ كَلَامَهُ السَّابِقُ فَيَقُولُ:

«فَإِذَا غَفَرَ وَلَمْ يُقَابِلْ، أَمِنْ مِنْ تَوَلَّدَ الْعَدَاوَةُ أَوْ زِيَادَتِهَا، وَلَا بُدَّ أَنْ عَفْوُهُ وَحِلْمُهُ وَصَفْحُهُ يَكْسِرُ عَنْهُ شَوْكَةَ عَدُوِّهِ، وَيَكْفُ مِنْ جَزَعِهِ بِعَكْسِ الْإِنْتِقَامِ، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ أَيْضًا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ: «مَنْ غَرَسَ شَجَرَةَ الْحِلْمِ، اجْتَنَى ثَمَرَةَ السَّلَامِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

لَمَّا عَفَوْتُ، وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ■■■ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ  
إِنِّي أَحْيَيْ عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ■■■ لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ  
وَأُظْهِرَ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغِضُهُ ■■■ كَأَنَّمَا قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ  
النَّاسِ دَاءً دَوَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ ■■■ وَفِي اعْتِرَازِهِمْ قَطَعَ الْمَوَدَّاتِ<sup>(٣)</sup>

٨. أَنَّهُ يَصُونُ عَرَضَ صَاحِبِهِ، وَيَجْلِبُ لَهُ حَمْدَ النَّاسِ وَنُصْرَتَهُمْ:

قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: «مَا ذَبَّ عَنِ الْأَعْرَاضِ كَالصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَوَّلُ عَوَظِ الْحَلِيمِ عَنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٧٠ - ٦٧١).

(٢) السَّلَامُ - بفتح السين وكسرهما - : الصُّلْحُ.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥١).

(٤) المرجع السابق (ص ١٨٢).

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥١).

(٦) المرجع السابق (ص ٢٥٢).



■ **الْأَسْبَابُ الْبَاعِثَةُ عَلَى الْحِلْمِ، وَضَبْطُ النَّفْسِ عَنْ هَيْجَانِ الْغَضَبِ:**

ثُمَّ عَشْرَةُ أَسْبَابٍ تَدْعُو إِلَى الْحِلْمِ <sup>(١)</sup>:

أحدها - **رحمة الجهال**، وذلك من خير يوافق رقة:

قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٣).

وقد قيل في منشور الحكم: «من أوكد الحلم رحمة الجهال».

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يذنبهم عمر، وكان القراء <sup>(٢)</sup> أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً <sup>(٣)</sup> كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه.

قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي <sup>(٤)</sup> يا بن الخطاب، فوالله، ما تعطينا الجزل <sup>(٥)</sup>، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه - ﷺ - : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩). والله، ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله <sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٥٢ - ٢٥٥).

(٢) القراء: القراء هنا هم أهل العلم والفقه والفهم.

(٣) الكهول: جمع كهل، وهو الذي جاوز الثلاثين، وخطه الشيب، ويجمع - أيضاً - على كهل.

(٤) هي: كلمة تنبيه، وتحمل معنى التهديد.

(٥) الجزل: الشيء الكثير.

(٦) رواه البخاري (٤٦٤٢) و(٧٢٨٦).



فَهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لَمْ يَدْخُلْ عَلَى عُمَرَ نَاصِحًا بِخَيْرٍ، أَوْ طَالِبًا لِحَقٍّ، وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ؛ لِيَشْتِمَهُ دُونَ مُبَرَّرٍ، وَلِيَسْأَلَهُ عَطَاءً جَزَلًا عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ؛ فَلِهَذَا غَضِبَ عُمَرُ وَهُمْ بِرَدِّعِهِ، فَلَمَّا ذُكِّرَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْجُهَّالِ، أَعْرَضَ عَنْهُ، وَتَرَكَهُ يَنْصَرِفُ سَالِمًا.

وَالثَّانِي - الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْتِصَارِ، وَذَلِكَ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ، وَحُسْنِ الثَّقَةِ:

عَقِبَ فَتَحَ مَكَّةَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي الْكَعْبَةِ، ثُمَّ خَطَبَ قُرَيْشًا، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟». قَالُوا: «خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ». قَالَ: «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾» (سورة يوسف: ٩٢). اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ<sup>(١)</sup>.

وَكَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فِي كَلَامٍ لِلْمَأْمُونِ: «إِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ، وَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ». فَوْقَ<sup>(٢)</sup> الْمَأْمُونِ: «الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ الْحَفِظَةَ<sup>(٣)</sup>».

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: «أَحْسَنُ الْمَكَارِمِ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ، وَجُودُ الْمُفْتَقِرِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «لَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ عَقُوبَةُ مَنْ لَا يَجِدُ امْتِنَاعًا مِنَ السُّطُورَةِ<sup>(٤)</sup>».

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الصَّفْحَ وَالْحِلْمَ عَمَّنْ أَسَاءَ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ يُوجِبُ الذُّلَّ وَالْمَهَانَةَ - فَقَدْ خَابَ ظَنُّهُ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ - إِذَا كَانَ فِي مَحَلِّهِ - هُوَ عَيْنُ الْعِزَّةِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ، وَهَذَا مُجَرَّبٌ مُشَاهَدٌ، فَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلٌّ.

(١) «الرَّحِيقُ الْمُخْتَوَمُ» (ص ٣٧٢).

(٢) التَّوْقِيعُ: رَأْيُ الْحَاكِمِ يَكْتُبُهُ عَلَى مَا يَعْرِضُ عَلَيْهِ مِنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ.

(٣) الْحَفِظَةُ: الْحَمِيَّةُ وَالْغَضَبُ.

(٤) السُّطُورَةُ - بِالْفَتْحِ -: الْقَهْرُ بِالْبَطْشِ، وَالْجَمْعُ سَطَوَاتٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْهُ - أَيْضًا - أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً، أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ ■■■ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ هَيْبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ:

وَإِذَا مُذْنِبٌ أَتَاهُ بِهِ الْحَقُّ ■■■ فَغَطَّاهُ عَفْوُهُ فِي سُتُورِهِ  
رَاجِيًا لِلثَّوَابِ فِي كُلِّ رُزْءٍ<sup>(٤)</sup> ■■■ مِنْ خَفِيِّ الْأُمُورِ أَوْ مَشْهُورِهِ  
فَهُوَ فِي عَاجِلِ الْحَيَاةِ كَرِيمٌ ■■■ وَمِنْ الْفَائِزِينَ يَوْمَ نُشُورِهِ  
خَصْلَةٌ جَزَلَةٌ بِهَا خَصَّهُ اللَّهُ ■■■ لِزَيْنِ الدُّنْيَا وَيَوْمِ كُرُورِهِ<sup>(٥)(٦)</sup>

فَثَمَّةٌ بَوْنٌ شَاسِعٌ بَيْنَ مَنْ أَسْقَطَ حَقَّهُ بِتَرْكِ الْإِنْتِقَامِ - مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ - رَغْبَةً فِي الْإِحْسَانِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ - وَبَيْنَ مَنْ تَرَكَ الْإِنْتِقَامَ عَنْ عَجْزٍ عَنْهُ، فَالْأَوَّلُ حِلْمُهُ حِلْمٌ اقْتِدَارٌ وَعِزَّةٌ وَشَرَفٌ، وَالثَّانِي حِلْمُهُ حِلْمٌ ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ وَحَقَارَةٌ، فَالْأَوَّلُ مَحْمُودٌ، وَالثَّانِي مَذْمُومٌ، بَلْ لَعَلَّ الْآخِذَ بِثَأْرِهِ، الْمُتَتَقِمَ لِنَفْسِهِ أَحْسَنُ حَالًا مِنْهُ.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) «الحلم» (ص ٦٠).

(٤) الرُّزْءُ: واحد الأرزاء، وهي المصائب.

(٥) الكُرُور: الرجوع.

(٦) «روضة العقلاء» (ص ٢٨١).

قال الشاعر:

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ ■■■ حُجَّةٌ لَاجِيَةٌ إِلَيْهَا اللَّئَامُ<sup>(١)</sup>

والثالث - التَّرفُّعُ عَنِ السَّبَابِ، وَذَلِكَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ، وَعُلُوِّ الِهِمَّةِ:

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: «شَرَفُ النَّفْسِ أَنْ تَحْمِلَ الْمَكَارَهَ، كَمَا تَحْمِلُ الْمَكَارِمَ».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

إِذَا سَبَّنِي نَذُلُ<sup>(٢)</sup> تَزَايَدْتُ رَفْعَةً ■■■ وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِيَهُ  
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً ■■■ لَمَكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذَلٍ تُحَارِيهِ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

تَرْفَعُ عَنِ الشَّتَامِ، وَاتْرُكُ جَوَابَهُ ■■■ وَلَا تُعْطِهِ بِالرَّدِّ مَا هُوَ يَأْمُلُ  
فَغَضُّكَ عَنْ رَدِّ جَمِيلٍ صَنَعْتَهُ ■■■ وَعَفْوُكَ عَنْهُ لَهُوَ أَحْلَى وَأَجْمَلُ

والرَّابِعُ - الِاسْتِهَانَةُ بِالْمُسِيئِ، وَذَلِكَ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ:

حُكِيَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ جَلَسَ يَوْمًا لِعَطَاءِ الْجُنْدِ، وَأَمَرَ  
مُنَادِيَهُ، فَنَادَى: أَيْنَ عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزٍ؟ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ الزُّبَيْرَ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّهَا  
الْأَمِيرُ، إِنَّهُ قَدْ تَبَاعَدَ فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ: أَوْيَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنِّي أُقِيدُهُ<sup>(٤)</sup> بِأَبِي عَبْدِ  
اللَّهِ؟!، فَلَيَظْهَرُ آمَنًا؛ لِيَأْخُذَ عَطَاءَهُ مُوقَرًّا. فَعَدَّ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ مُسْتَحْسَنِ الْكِبَرِ.  
وَأَكْثَرَ رَجُلٌ مِنْ سَبِّ الْأَحْتَفِ، وَهُوَ لَا يُجِيبُهُ، فَقَالَ - أَيُّ السَّابِّ -:  
«وَاللَّهِ، مَا مَنَعَهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ».

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٦٠).

(٢) النَّذَلُ: الخسيس الحقيق، السَّاقِطُ فِي أَصْلِهِ وَدِينِهِ، وَالْجَمْعُ أَنْذَالٌ وَنُذُولٌ.

(٣) «ديوان الشافعي» (ص ٢٩).  
(٤) أُقِيدُهُ: أَقْتُلُهُ قِصَاصًا.



أَوْ كُلُّمَا طَنَّ الذُّبَابُ طَرَدَتْهُ ۙ إِنَّ الذُّبَابَ إِذَا . عَلَيَّ كَرِيمٌ

نَجَّا بِكَ لَوْمُكَ مَنجَى الذُّبَا ■■■ بِحِمَّتِهِ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا

والخامس - الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا يكون من صيانة النفس، وكمال

قَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ:

وَقُلْ لِّبَنِي سَعْدٍ: فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ □ □ □ تَرْقُونَ <sup>(١)</sup> مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْتِقُوا

أَغْرَكُمُ أَنِي بِأَحْسَنَ شِيمَةٍ <sup>(٢)</sup> ■■■ بَصِيرٌ، وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ <sup>(٣)</sup>

وَأَنْ تَكُ قَدْ فَاخَشَتْنِي فَمَهَرْتَنِي      هَنِئًا مَرِيئًا، أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَحْدَقُ<sup>(٤)</sup>

**والسادس - التفضل على السباب، فهذا يكون من الكرم، وحب التألف:**

قِيلَ لِلْإِسْكَندَرِ: إِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَتَتَقَصَّانَكَ<sup>(٥)</sup> وَيَثْلَبَانِكَ؛ فَلَوْ عَاقَبْتَهُمَا فَقَالَ: «هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْذَرُ فِي تَنْقُصِي وَثْلَبِي». فَكَانَ هَذَا تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَأَلُّفًا.

وَحِكْمِي عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ: «مَا عَادَانِي أَحَدٌ - قَطُّ - إِلَّا أَخَذْتُ فِي أَمْرِهِ بِإِحْدَى ثَلَاثِ خَصَالٍ: إِنْ كَانَ أَعْلَى مِنِّي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْتُ قَدْرِي عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ». فَأَخَذَهُ الْخَلِيلُ، فَنَظَّمَهُ شِعْرًا، فَقَالَ:

(۱) تَرْقُونَ: تَسْتَبْعِدُونَ.

(٢) الشُّيْمَة: الخُلُق، والجمع شِيَمٌ.

(۳) أَخْرَقَ: جاہل.

(٤) اُحذق: ماهر.

(٥) يَنْتَقِصَانِكَ: يَقْعَانُ فَيْكَ.



سَأَلْنِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ      ❧❧❧      وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَيَّ الْجَرَائِمُ  
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ:      ❧❧❧      شَرِيفٌ، وَمَشْرُوفٌ، وَمِثْلُ مُقَاوِمٍ  
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ      ❧❧❧      وَاتَّبِعْ فِيهِ الْحَقُّ، وَالْحَقُّ لَازِمٌ  
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَأَحْلُمُ دَائِباً      ❧❧❧      أَصُونُ بِهِ عِرْضِي، وَإِنْ لَمْ لَانِمُ  
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلُّ أَوْ هَفَا<sup>(١)</sup>      ❧❧❧      تَفَضَّلْتُ، إِنْ الْفَضْلُ بِالْفَخْرِ حَاكِمٌ

وَالسَّابِعُ - اسْتِنْكَافُ السَّبَابِ، وَقَطْعُ السَّبَابِ، وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَزْمِ:

حَكِي أَنْ رَجُلًا قَالَ لَضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ: «وَاللَّهِ، لَوْ قُلْتُ وَاحِدَةً لَسَمِعْتَ  
عَشْرًا».

فَقَالَ لَهُ ضَرَّارٌ: «وَاللَّهِ، لَوْ قُلْتُ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً».

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلْسُّفِيهِ عَنِ الْأَذَى      ❧❧❧      وَفِي الْخُرْقِ إِغْرَاءٌ، فَلَا تَكُ أَخْرَقَا  
فَتَنْدِمَ إِذَا لَا تَنْفَعَنَّكَ نَدَامَةٌ      ❧❧❧      كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُوتُ لَمَّا تَفَرَّقَا

وَالثَّامِنُ - الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَوَابِ، وَهَذَا يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ، وَرُبَّمَا  
أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ، وَاقْتَضَاهُ الْحَزْمُ:

قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحِكَمِ: «الْحِلْمُ حِجَابُ الْأَفَاتِ».

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

ارْفُقْ إِذَا خِضْتَ مِنْ ذِي هَفْوَةٍ خُرْقَا      ❧❧❧      لَيْسَ الْحَلِيمُ كَمَنْ فِي أَمْرِهِ خُرْقُ

(١) هَفَا، زَلٌّ وَخَطَا.

والتاسع - الرعاية ليد سالفه، وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء، وحسن العهد:

قيل في منشور الحكم: «أكرم الشيم أرعاهاً للذمم».

وقال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ■■■ واللؤم<sup>(١)</sup> مقرون بذى الإخلاف  
وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً ■■■ وترى اللئيم بجانب الإنصاف

والعاشر - المكر، وتوقع الفرص الخفية، وهذا يكون من الدهاء:

قال الناظم:

فرقع الخرق بلطف واجتهد ■■■ وامكر إذا لم ينفع الصدق وكبد  
فهكذا الحازم إذ يكيد ■■■ يبلغ في الأعداء ما يريد<sup>(٢)</sup>

وقد قيل في منشور الحكم: «من ظهر غضبه قل كيده».

وقال بعض الأدباء: «غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله».

وقال بعض الحكماء: «إذا سكبت عن الجاهل، فقد أوسعته جواباً، وأوجعته

عقاباً».

وقال إياس بن قتادة:

تُعاقب أيدينا، ويحلّم رأيُنَا ■■■ ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

(١) اللؤم: اسم جامع للخصال المذمومة.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٧٩).

قَالَ الماوردي - يرحمه الله - :

«فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَسْبَابٍ تَدْعُو إِلَى الْحِلْمِ، وَبَعْضُ الْأَسْبَابِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَيْسَ إِذَا كَانَ بَعْضُ أَسْبَابِهِ مَفْضُولًا مَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ نَتِيجَتُهُ مِنَ الْحِلْمِ مَذْمُومَةً، وَإِنَّمَا الْأَوَّلَى بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوهُ لِلْحِلْمِ أَفْضَلُ أَسْبَابِهِ، وَإِنْ كَانَ الْحِلْمُ كُلُّهُ فَضْلًا، وَإِنْ عَرِيَ<sup>(١)</sup> عَنْ أَحَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، كَانَ ذُلًّا وَلَمْ يَكُنْ حِلْمًا؛ لِأَنَّنَا قَدْ ذَكَّرْنَا فِي حَدِّ الْحِلْمِ أَنَّهُ ضَبْطُ النَّفْسِ عَنْ هَيْجَانِ الْغَضَبِ، فَإِذَا فَقَدَ الْغَضَبَ لِسَمَاعٍ مَا يُغْضِبُ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ ذُلِّ النَّفْسِ، وَقَلَّةِ الْحِمِيَّةِ، وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرِفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: لَا يُعْرِفُ الْجَوَادُ إِلَّا فِي الْعُسْرَةِ، وَالشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ، وَالْحَلِيمُ إِلَّا فِي الْغَضَبِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَيْسَتْ الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الرُّضَى ■■■ إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الْغَضَبِ

وَقَالَ آخَرُ:

مَنْ يَدْعِي الْحِلْمَ أَغْضِبْهُ لَتَعْرِفْهُ ■■■ لَا يُعْرِفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ

وَأَنشَدَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ■■■ بَوَادِرُ<sup>(٢)</sup> تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ■■■ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فَلَمْ يُنْكِرْ - ﷺ - قَوْلَهُ عَلَيْهِ .

(١) عَرِيَ: خَلَا.

(٢) بَوَادِرُ: جَمْعُ بَادِرَةٍ، وَهِيَ الْحِدَّةُ عِنْدَ الْغَضَبِ، يُقَالُ: بَدَرْتُ مِنْهُ بَوَادِرُ غَضَبٍ: أَيِ خَطَأٍ وَسَقَطَاتٍ عِنْدَمَا احْتَدَّ.



وَمَنْ فَقَدَ الْغَضَبَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَغْضَبَةِ، حَتَّى اسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَبْلَ الْإِغْضَابِ وَبَعْدَهُ - فَقَدْ عَدِمَ مِنْ فَضَائِلِ النَّفْسِ الشَّجَاعَةَ، وَالْأَنْفَةَ<sup>(١)</sup>، وَالْحَمِيَّةَ، وَالْغِيْرَةَ، وَالْدَّفَاعَ، وَالْأَخْذَ بِالثَّأْرِ؛ لِأَنَّهَا خِصَالُ مُرْكَبَةٍ مِنَ الْغَضَبِ، فَإِذَا عَدِمَهَا الْإِنْسَانُ هَانَ بِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِبَاقِي فَضَائِلِهِ فِي النَّفْسِ مَوْضِعٌ، وَلَا لَوْفُورِ حِلْمِهِ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ.

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ إِغْرَاءً بِتَحَكُّمِ الْغَضَبِ، وَالْإِنْجِلَافِ إِلَيْهِ عِنْدَ حَدُوثِ مَا يُغْضِبُ، فَيَكْسِبُ بِالْإِنْجِلَافِ لِلْغَضَبِ مِنَ الرِّذَائِلِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْلُبُهُ عَدَمُ الْغَضَبِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَكِنْ إِذَا ثَارَ بِهِ الْغَضَبُ عِنْدَ هُجُومِ مَا يُغْضِبُهُ، كَفَّ سَوْرَتَهُ<sup>(٢)</sup> بِحَزْمِهِ، وَأَطْفَأَ ثَائِرَتَهُ بِحِلْمِهِ، وَوَكَّلَ مَنْ اسْتَحَقَّ الْمُقَابَلَةَ إِلَيْ غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>».

وَلَعَلَّ مِنْ أَحْكَمِ مَا قِيلَ فِي تَدْبِيرِ الْحِلْمِ وَالْغَضَبِ قَوْلُ أَبِي حَاتِمٍ:

إِذَا أَمِنَ الْجُهْلُ جَهْلَكَ مَرَّةً ■■■ فَعَرِضُكَ لِلْجُهَالِ غَنَمٌ مِنَ الْغَنَمِ  
فَعَمٌ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ الْحِلْمُ وَالْجَهْلُ، وَالْقَهْ ■■■ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْعَدَاوَةِ وَالسَّلَامِ  
إِذَا أَنْتَ جَارَيْتَ السُّفِيْهَ كَمَا جَزَى ■■■ فَأَنْتَ سَفِيْهٌ مِثْلُهُ غَيْرُ ذِي حِلْمٍ  
وَلَا تُغْضِبِنْ عِرْضَ السُّفِيْهِ، وَدَارِهِ<sup>(٥)</sup> ■■■ بِحِلْمٍ، فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكُمْ فَيَا لَصْرَمٍ<sup>(٦)</sup>  
فَيَرْجُوكَ تَارَاتٍ، وَيَخْشَاكَ تَارَةً ■■■ وَيَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزْمِ  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدْأً مِنَ الْجَهْلِ فَاسْتَعِنْ ■■■ عَلَيْهِ بِجُهَالٍ، فَذَلِكَ مِنَ الْعَزْمِ<sup>(٧)</sup>

(١) الْأَنْفَةُ: عِزَّةُ النَّفْسِ.

(٢) سَوْرَتُهُ: قُوَّتُهُ، وَوُثُوْبُهُ.

(٣) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» (ص ٢٥٥ - ٢٥٧).

(٤) عَمٌ: أَخْفَ، وَالنِّبْسُ.

(٥) دَارُهُ: مِنَ الْمُدَارَاةِ، وَهِيَ الْمُدَاجَاةُ وَالْمُلَايَنَةُ، وَإِخْفَاءُ الْعَدَاوَةِ.

(٦) الصَّرَمُ: الْقَطْعُ وَالذَّهَابُ.

(٧) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» (ص ٢٥٧).



يَقُولُ الْمَاورِدِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - مُعَقَّبًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ:

«وهذا التدبيرُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فيما لا يجدُ الإنسانُ بُدًّا من مُقَارَنَتِهِ، ولا سَبِيلَ إلى اطِّراحِهِ ومُتَارَكَتِهِ، إمَّا لخوفِ شَرِّهِ، أو لِلزُّومِ أَمْرِهِ، فَأَمَّا مَنْ أَمَكَّنَ اطِّراحَهُ، ولم يَضُرَّ إِبْعَادُهُ - فالهوانُ به أولى، والإعراضُ عنه أَصَوَّبُ»<sup>(١)</sup>.

واعلم - أخي - أَنَّ الحِلْمَ منه طَبْعٌ، ومنه تَطَبُّعٌ، فَمَنْ حُرِمَ الحِلْمَ طَبْعًا، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنَالَهُ عَنْ سَبِيلِ التَّطَبُّعِ، وذلكَ بِالْمُجَاهَدَةِ والمُمَارَسَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ - ﷺ - لِلأَشَجِّ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ : «إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ». قَالَ: «أَهُمَا خُلُقَانِ تَخَلَّقْتُ بِهِمَا، أَمْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا؟». قَالَ: «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا». فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(٣)</sup>.

فهذا دليلٌ على أَنَّ الحِلْمَ يَكُونُ طَبْعًا، وَيَكُونُ تَطَبُّعًا، كَمَا قِيلَ:

لَعَمْرُكَ، إِنَّ الْحِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ■■■ وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا عَادَةٌ وَتَحَلُّمٌ<sup>(٤)</sup>

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥٧).

(٢) رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الكبير» (٣٩٥/١٩) عن معاوية، والخطيبُ فِي تاريخه (١٢٧/٩) عن أبي هريرة، وحسنه الألباني فِي «صحيح الجامع» (٢٣٢٨/١)، و«الصحيحة» (٣٤٢).

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) «أقوال مأثورة» (ص ٤٤٠).

وهذا حلیم العَرَبِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - يرحمه الله - تكلّف الحِلْمَ، حتّى أصبحَ يَتَمَثَّلُ بِحِلْمِهِ<sup>(١)</sup>، وهو القائلُ: «لَسْتُ بِحَلِيمٍ، وَلَكِنِّي أَتَحَلَّمُ»<sup>(٢)</sup>.

وإن كان الحِلْمُ في العَوَامِ جميلاً، فهو عند حَمَلَةِ الْعِلْمِ أَجْمَلُ.

قَالَ طَارِسُ - يرحمه الله -:

«ما حُمِلَ الْعِلْمُ فِي مِثْلِ جِرَابٍ<sup>(٣)</sup> حِلْمٍ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ - يرحمه الله -:

«ما ضُمَّ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ، وَمَا عُدِمَ شَيْءٌ فِي شَيْءٍ هُوَ أَوْحَشُ مِنْ عَدَمِ الْحِلْمِ فِي الْعَالَمِ»<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلَّتَا كَرَمًا ■■■ لِلْمَرْءِ زَيْنٌ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا  
صِنَوَانٍ لَا يَسْتَتِمُ حُسْنُهُمَا ■■■ إِلَّا يَجْمَعُ لِنَا وَذَاكَ مَعَا  
كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَا بِهِ الْعِلْمُ وَإِذَا ■■■ حِلْمٌ، فَنَالَ الْعِلَاءَ وَارْتَفَعَا  
وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَاءِ أَضَاعَهُمَا ■■■ أَخْمَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا<sup>(٦)</sup>

(١) يَتَمَثَّلُ بِحِلْمِهِ: أَي يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ.

(٢) «الإحياء» (١٧٩/٣).

(٣) جِرَابٌ - بكسر الجيم وفتحها، والكسرُ أَفْصَحُ -: وَعَاءٌ زَادَ مِنْ جِلْدٍ، وَالْجَمْعُ أَجْرِبَةٌ، وَجُرْبٌ.

(٤) الدَّارِمِيُّ (١٥٢/١).

(٥) «روضة العقلاء» (ص ٢١٣).

(٦) «عيون الأخبار» (٥١٩/٢).

## الكَرَمُ



**الكَرَمُ:** لُبَابُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَمَدَارِجُ الْفَضِيلَةِ، وَصِفَتِ الْأَخْلَاقُ بِهِ، وَشَرُفَتْ بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَشْرَفُ فِي بَابِهِ يُوصَفُ بِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ

(١)

- وَفِي رَوَايَةٍ: صَالِحٍ - الْأَخْلَاقِ».

وَحَسْبُكَ أَنَّ الْكَرَمَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ،

(٢)

يُحِبُّ الْكَرُمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - جَوَادٌ،

(٣)

يُحِبُّ الْجَوْدَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ

(٤)

كَرِيمٌ، يُحِبُّ الْكَرَمَ».

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) رواه ابن عساکر والضیاء، وصحّحه الألبانی فی «صحیح الجامع» (١/ ١٨٠٠) و«الصّحیحة» (١٣٧٨) و (١٦٢٦).

(٣) رواه أبو نعیم فی «الحلیة»، وصحّحه الألبانی فی «صحیح الجامع» (١/ ١٧٤٤)، و«الصّحیحة» (١٦٢٧).

(٤) رواه الطبرانی فی «الکبیر» وصحّحه الألبانی فی «صحیح الجامع» (١/ ١٨٠١)، و«الصّحیحة» (١٣٧٨) و (١٦٢٦).

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا». وقال - خائبتين<sup>(١)</sup>.

والكُرم - أيضاً - مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ.

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان - ﷺ - لا يَرُدُّ أَحَدًا يَسْأَلُهُ.

عن جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَنْ شَيْءٍ - قَطُّ - فَقَالَ: لَا»<sup>(٣)</sup>.

وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ بُرْدَةً<sup>(٤)</sup> - وَكَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا - فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ! فَاسْتَنْيَهَا». قَالَ: «نَعَمْ». فَلَامَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ الرَّجُلَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهَا». فَقَالَ: «رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ - ﷺ -؛ لَعَلِّي أَكْفُنُ فِيهَا»<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

عَشِيقُ الْمَكَارِمِ، فَهُوَ مَعْتَمِدُ لَهَا      ■■■ وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةُ الْعُشَّاقِ  
وَأَقَامَ سُوقًا لِلثَّنَاءِ، وَلَمْ تَكُنْ      ■■■ سُوقُ الثَّنَاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ  
بَثُّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ، فَاصْبَحَتْ      ■■■ تُجَبَّى إِلَيْهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤٠) و (٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٤) البردة: شملة منسوجة فيها حاشيتها، يُتَلَفَّفُ بها، والجمع بُرَدٌ.

(٥) رواه البخاري (١٢٧٧) و (٥٨١٠) و (٦٠٣٦) عن سهل الساعدي.



وَالكَرَمُ مُرْتَبِطٌ بِالْإِيمَانِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، فَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ - الْمُؤْمِنَ بِقَوْلِهِ: «الْمُؤْمِنُ غَرٌّ <sup>(١)</sup> كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ <sup>(٢)</sup> لَثِيمٌ» <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا» <sup>(٤)</sup>.

وَمَا سَتَرَ الْعُيُوبَ كَالكَرَمِ وَالْجُودِ، كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

وَأِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا ■■■ وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءٌ  
تَسْتَرُّ بِالسَّخَاءِ، فَكُلُّ عَيْبٍ ■■■ يَغْطِيهِ. كَمَا قِيلَ: السَّخَاءُ <sup>(٥)</sup>  
فَتَحَلَّ - أَخِي - بِصِفَةِ الْكَرَمِ، وَلِيَكُنْ كَرَمُكَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، تَكُنْ أَطْبَعَ  
النَّاسِ سَخَاءً، وَأَشْرَفَهُمْ عَطَاءً.

سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ السَّخَاءِ، فَقَالَ: «مَا كَانَ مِنْهُ ابْتِدَاءً، فَمَا مَا كَانَ عَنْ  
مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءً» <sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «أَجَلُ النَّوَالِ <sup>(٧)</sup> مَا وَصَلَ قَبْلَ السُّؤَالِ» <sup>(٨)</sup>.

- (١) الْغَرُّ - بِكَسْرِ الْغَيْنِ - : الَّذِي لَا تَجَرِبَةُ لَهُ وَلَا خَبْرَةٌ، وَالْجَمْعُ أَغْرَارٌ  
(٢) الْخَبُّ - بَفَتْحِ الْخَاءِ وَكُسْرِهَا - : اللَّثِيمُ الْخَدَّاعُ، فَعَلَهُ خَبٌّ يَخْبُ بِفَتْحِ الْخَاءِ فِيهِمَا.  
(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٩٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»  
(٢/٦٦٥٣)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (٩٣٥).  
(٤) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣١١٢) وَ (٣١١٣) وَ (٣١١٤) وَ (٣١١٦) وَ (٣١١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ  
الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢/٧٦١٦).  
(٥) «دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ» (ص ٢٢).  
(٦) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ١٨٨).  
(٧) النَّوَالُ: الْعَطَاءُ.  
(٨) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ١٨٨).

وقال بعض الشعراء:

وَقَتَّى خَلَا مِنْ مَالِهِ ■■■ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِي  
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ■■■ وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ<sup>(١)</sup>  
ومتى قَدَرْتَ - أخي - على الكرم والجود، فَاغْتَنِمْ هَذِهِ الْفُرْصَةَ، وَبَادِرْ  
بِتَعْجِيلِهِ حَذَرَ فَوَاتِهِ، وَخِيفَةَ عَجْزِكَ.  
قِيلَ لَأَنْوِشِروَانَ: «مَا أَعْظَمَ الْمَصَائِبَ عِنْدَكُمْ؟». قَالَ: «أَنْ تَقْدِرَ عَلَى  
الْمَعْرُوفِ، وَلَا تَصْطَنِعَهُ حَتَّى يَفُوتَ»<sup>(٢)</sup>.  
وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: «مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا، فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ  
فَوْتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وقال بعض الشعراء:

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكَ فَاغْتَنِمْهَا ■■■ فَإِنْ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ  
وَلَا تَغْضُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا ■■■ فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ  
وَأَنْ دَرْتَ نِيَا قُكَ<sup>(٤)</sup> فَاحْتَلِبْهَا ■■■ فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ<sup>(٥)</sup> لِمَنْ يَكُونُ<sup>(٦)</sup>

(١) المرجع السابق (ص ١٨٨).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٠٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٤) نِيَا قُ - بالكسر - : جمع ناقة.

(٥) الْفَصِيلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فُصِّلَ عَنْ أُمِّهِ، وَالْجَمْعُ فُصْلَانٌ، وَفِصَالٌ.

(٦) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدَيْنِ» (ص ٢٠٣).

■ واعلم - أخي - أَنَّ لِلْمَعْرُوفِ شُرُوطًا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَكْمُلُ إِلَّا مَعَهَا<sup>(١)</sup>، فَمِنْ ذَلِكَ:

١ - سِتْرُهُ عَنْ إِذَاعَةِ يَسْتَطِيلُ لَهَا، وَإِخْفَاؤُهُ عَنْ إِشَاعَةِ يَسْتَدِلُّ بِهَا:

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «إِذَا اصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَاسْتَرَهُ، وَإِذَا صُنِعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ».

وَقَالَ دَعِيبُ الْخَزَاعِي:

إِذَا انْتَقَمُوا أَعْلَنُوا أَمْرَهُمْ ■ ■ ■ وَإِنْ أَنْعَمُوا أَنْعَمُوا بِاِكْتِتَامٍ  
يَقُومُ الْقَعُودُ إِذَا أَقْبَلُوا ■ ■ ■ وَتَقَعْدُ هَيْبَتُهُمْ بِالْقِيَامِ

عَلَى أَنَّ سِتْرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ ظُهُورِهِ، وَأَبْلَغُ دَوَاعِي نَشْرِهِ؛ لَمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفُوسُ مِنْ إِظْهَارِ مَا خُفِيَ، وَإِعْلَانِ مَا كُتِمَ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ:

خِلْ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لِنِسَائِهِ ■ ■ ■ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَذَرَ  
يُخْفِي صَنَائِعَهُ<sup>(٢)</sup>، وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا ■ ■ ■ إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ

٢ - تَصْغِيرُهُ عَنْ أَنْ يَرَاهُ مُسْتَكْبِرًا، وَتَقْلِيلُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مُسْتَكْثَرًا؛ لِنِثْلَا يَصِيرُ

بِهِ مَدْلًا بَطْرًا، وَمُسْتَطِيلًا أَشْرًا.

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ:

تَعْجِيلِهِ، وَتَصْغِيرِهِ، وَسِتْرِهِ، فَإِذَا عَجَّلْتَهُ هَنِئْتَهُ، وَإِذَا صَغَّرْتَهُ عَظُمَتْهُ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ أَتَمَمْتَهُ.

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٠٣ - ٢٠٥).

(٢) الصنائع: جمع صَنِيعَةٍ، وهي اليد والإحسان والنعمة.

وقال الخريزمي:

زَادَ مَعْرُوفًا مِثْلِي مِثْلَهُ ۝ ۝ أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرٌ

لِنَاسٍ سَاءَ كَمَا أَنَّ لِمِثْلِهِ ۝ ۝ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ<sup>(١)</sup>

٣. مُجَانِبَةُ الْاِمْتِنَانِ بِهِ، وَتَرْكُ الْإِعْجَابِ بِفِعْلِهِ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنْ إِسْقَاطِ الشُّكْرِ،

وَإِحْبَاطِ الْأَجْرِ

قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ

وَالْأَذَى﴾ (سورة البقرة: ٢٦٤).

وَسَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ: فَعَلْتَ إِلَيْكَ وَفَعَلْتُ. فَقَالَ ابْنُ

سِيرِينَ: «اسْكُتْ، فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ إِذَا أَحْصِيَ».

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: «مَنْ مِّنْ مَّعْرُوفٍ اسْقَطَ شُكْرَهُ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ أَحْبَطَ أَجْرَهُ».

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: «قُوَّةُ الْمُنِّ<sup>(٢)</sup> مِّنْ ضَعْفِ الْمُنِّ<sup>(٣)</sup>».

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَفْسَدَتْ بِالْمَنِّ مَا أَسَدَيْتَ<sup>(٤)</sup> مِّنْ حَسَنٍ ۝ ۝ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسَدَى بِمَنَانٍ

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ:

فَإِمْنُزْ لَا تَمْنُنْ عَلَيَّ يَدَا<sup>(٥)</sup> ۝ ۝ مَنَّاكَ الْمَعْرُوفَ مِّنْ كَدَرِهِ

(١) «عيون الأخبار» (١٦٢/٣).

(٢) المُنُّ - بالكسر -: جَمْعُ مَنَّةٍ، يُقَالُ: مَنَّ عَلَيْهِ يَمْنُنُ مَنَّةً: إِذَا عَدَّدَ لَهُ مَا فَعَلَهُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَفَخَّرَ بِهِ عَلَيْهِ.

(٣) الْمُنُّ - بالضم -: جَمْعُ مَنَّةٍ، وَهِيَ الْقُوَّةُ.

(٤) اسديت، أعطيت.

(٥) اليد: النعمة والإحسان.



وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

لَا تَحْزَنْ لِمَنْ لَمْ يَمُنْ ■■■ مِنْ الْأَنْامِ عَلَيْكَ مِنْهُ <sup>(١)</sup>  
وَاحْزَنْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا ■■■ وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةٌ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ الرُّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ ■■■ بِأَشَدِّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ <sup>(٣)</sup>

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ الْعَبَّاسِيُّ:

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ■■■ عَنِ الثَّنَاءِ، وَإِنْ أَغْلَى بِهِ الثَّمَنُ  
بَلِ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ■■■ لَغَيْرِ شَيْءٍ سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الْحَسَنَ  
لَا يَسْتَثِيبُ <sup>(٤)</sup> يَبْذُلُ الْعَرْفَ <sup>(٥)</sup> مُحَمَّدَةً <sup>(٦)</sup> ■■■ وَلَا يَمُنُّ إِذَا مَا قَلَّدَ الْمِنَّا <sup>(٧)</sup>  
٤. أَلَا يَحْتَقِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا نَزْرًا <sup>(٨)</sup>، إِذَا كَانَ الْكَثِيرُ مُعَوِّزًا، وَكَانَتْ  
عَنْهُ عَاجِزًا، فَإِنَّ مَنْ حَقَّرَ سِيرَهُ فَمَنَعَ مِنْهُ، أَعْجَزَهُ كَثِيرُهُ فَاِمْتَنَعَ عَنْهُ، وَفَعَلَ قَلِيلُ  
الْخَيْرِ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: «لَا تَسْتَحْ مِنَ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْمَنَعَ أَقْلُ مِنْهُ، وَلَا تَجِبْنِ  
عَنِ الْكَثِيرِ، فَإِنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهُ».

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

اعْمَلِ الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، فَلَنْ تُحِيطَ بِكُلِّهِ  
وَمَتَى تَفْعَلِ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرِ، إِذَا كُنْتَ تَارِكًا لِأَقْلِهِ؟

(١) الْمِنَّةُ: الْإِحْسَانُ وَالْفَضْلُ.

(٢) جُنَّةٌ - بِالضَّمِّ -: السَّلَاحُ الْوَاقِي، وَالْجَمْعُ جُنُنٌ.

(٣) الْأَسِنَّةُ: أَطْرَافُ الرَّمَاكِ، وَالْمُفْرَدُ سِنَانٌ.

(٤) لَا يَسْتَثِيبُ: لَا يَسَالُ أَنْ يُثَابَ.

(٥) الْعَرْفُ: الْمَعْرُوفُ.

(٦) الْمُحَمَّدَةُ: الْحَمْدُ.

(٧) قَلَّدَ الْمِنْنَ: أَوْلَاهَا، وَالْمِنْنَ - بِالْكَسْرِ - : جَمْعُ مَنَّةٍ، وَهِيَ النِّعْمَةُ.

(٨) الْتَنَذَرَ - بَفَتْحٍ فَسُكُونٍ -: الْقَلِيلُ النَّافَةِ، وَبَابُهُ ظَرْفٌ.

وَقَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

فَقِيرٌ عَلَى جُودٍ - وَإِنْ قُلُّ رِفْدُهُ -<sup>(١)</sup> ■■■ أَعَزُّ وَأَعْلَى مِنْ غَنِيِّ عَلَى بُخْلِ  
طَهَارَةُ نَفْسٍ الْمَرْءِ بِالْجُحُودِ تَنْجَلِي ■■■ وَيَظْهَرُ خُبْتُ النَّفْسِ فِي سَاعَةِ الْبَذْلِ

قَالَ الْمَاورِدِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسَعَ جَمِيعَ النَّاسِ مَعْرُوفَكَ، وَلَا أَنْ تُؤَلِّيَهُمْ  
إِحْسَانَكَ، فَاعْتَمِدْ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْهُمْ وَالْحِفَاطَ، وَاقْصِدْ بِهِ ذَوِي الرِّعَايَةِ  
وَالْوِدَادِ؛ لِيَكُونَ مَعْرُوفُكَ فِيهِمْ نَامِيًا، وَصَنِيعُكَ عِنْدَهُمْ زَاكِيًا»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ■■■ حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمُصْنَعِ  
فَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً فَأَعْمَلْ بِهَا ■■■ لِلَّهِ، أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ، أَوْ دَعِ<sup>(٣)</sup>  
وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: «لَا خَيْرَ فِي مَعْرُوفٍ إِلَى غَيْرِ عَرُوفٍ». وَقَدْ ضَرَبَ  
الشَّاعِرُ بِهِ مَثَلًا، فَقَالَ:

كَحِمَارِ السُّوءِ، إِنْ أَشْبَعْتَهُ ■■■ رَمَحَ النَّاسَ<sup>(٤)</sup>، وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ<sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «عَلَى قَدْرِ الْمَغَارِسِ يَكُونُ اجْتِنَاءُ الْغَارِسِ».

فَأَخَذَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ:

لَعَمْرُكَ، مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ■■■ وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبَعْضِ الْوَدَائِعِ  
فَمُسْتَوْدَعُ ضَاعَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ ■■■ وَمُسْتَوْدَعُ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعِ  
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عِنْدَهُمْ ■■■ وَفِي كُفْرِهَا إِلَّا كَبَعْضِ الْمَزَارِعِ

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٠٥).

(١) الرِّفْدُ - بكسر الرَّاءِ - : العَطَاءُ وَالصَّلَاةُ.

(٣) المرجع السابق (ص ٢٠٦).

(٤) رمح النَّاسِ: ضَرَبَهُمْ بِرِجْلِهِ، وَبَابَهُ قَطَعَ.

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٠٦).

فَمَزْرَعَةٌ طَابَتْ، وَأَضْعَفَ نَبْتُهَا ■■■ وَمَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ<sup>(١)</sup> عَلَى كُلِّ زَارِعٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ:

وَلَا تَصْطَنِعْ إِلَّا الْكَرَامَ؛ فَإِنَّهُمْ ■■■ يُجَازُونَ بِالنُّعْمَاءِ مَنْ كَانَ مُنْعِمًا  
وَمَنْ يَتَّخِذْ عِنْدَ اللُّئَامِ صَنِيعَةً ■■■ تَجِدُهُ عَلَى آثَارِهَا مُتَنَدِّمًا  
وَقَالَ:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ ■■■ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا  
أَخِي، الْإِيَّامُ دَوْلٌ<sup>(٣)</sup>، وَالْدَّهْرُ قَلْبٌ؛ فَمَنْ الْمُحَالُ دَوَامُ الْإِنْسَانِ عَلَى حَالٍ،  
فَإِنْ مَنَعْتَ أَخَاكَ مَعْرُوفَكَ الْيَوْمَ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ غَدًا لَهُ، فَيَمْنَعُكَ كَمَا مَنَعْتَهُ.  
قَالَ الْأَضْبُطُ بْنُ قُرَيْعٍ السَّعْدِيُّ:

لَا تُهَيِّنْ<sup>(٤)</sup> الْفَقِيرَ؛ عَلَيْكَ أَنْ ■■■ تَرْكَعَ<sup>(٥)</sup> يَوْمًا، وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ  
وَقَالَ آخَرُ:

عَسَى سَائِلُ ذُو حَاجَةٍ - إِنْ مَنَعْتَهُ ■■■ مِنْ الْيَوْمِ سُؤْلًا - أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدًا  
■ واعْلَمْ - أَخِي - أَنَّ الْكَرَمَ لَيْسَ مُقْتَصِرًا عَلَى بَذْلِ الْمَالِ، لَكِنَّهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ  
بِكَثِيرٍ، وَلَهُ مَرَاتِبٌ<sup>(٦)</sup>، فَمِنْهَا:

(١) أَكْدَتْ: مَنَعَتْ وَخَيَّبَتْ ظَنَّ الزَّارِعِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْكَدِيَّةِ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْغَلِيظَةُ الصَّلْبَةُ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَعْمَلُ الْفَأْسُ فِيهَا.

(٢) دَوْلٌ - بِالضَّمِّ - : جَمْعُ دَوْلَةٍ، أَيِ يَوْمٍ لَكَ وَيَوْمٌ لْغَيْرِكَ.

(٣) لَا تُهَيِّنْ: أَصْلُهُ لَا تُهَيِّنْ مِنَ الْإِهَانَةِ، فَحَذَفَ نُونُ التَّوَكُّيدِ الْخَفِيفَةَ تَخَلُّصًا مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَأَبْقَى الْفَتْحَةَ دَلِيلًا عَلَيْهَا.

(٤) تَرْكَعَ: تَذَلَّ وَتَخَضَّعَ، كُنِيَ بِالرُّكُوعِ عَنِ انْحِطَاطِ الْحَالِ.

(٥) انظر «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٧)، و«الهدية الإسلامية» (ص ٨٤ - ٨٩)، و«الهمة العالية» (ص ١٧١ - ١٧٧).



١. الجود بالنفس: وهو أعلى مراتبه، كما قال الشاعر:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ<sup>(١)</sup> الْبَخِيلُ بِهَا ■■■ وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

٢. الجود بالنفع بالجاء: فيبذل في سبيل الخير: من شفاعَة حسنة، وإحقاق حق، ونصرة مظلوم، وإعانة ضعيف، ومشي مع الرجل إلى ذي سلطان، ونحو ذلك.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

(سورة النساء: ٨٥).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طَلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: «اشْفَعُوا تَوْجَرُوا»<sup>(٢)</sup>.

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

وَأَدُّ زَكَاةَ الْجَاهِ، وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا ■■■ كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ، تَمْ نِصَابُهَا<sup>(٣)</sup>  
وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ كِتَابَ شَفَاعَةٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشْكُرُهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ:  
«يَا هَذَا، عَلَامَ تَشْكُرُنَا؟، إِنَّا نَرَى الشَّفَاعَاتِ زَكَاةَ مُرُوءَتِنَا».

ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فُرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي ■■■ وَزَكَاةُ جَاهِي أَنْ أُعِينَ وَأَشْفَعَا

فَإِذَا مَلَكَتْ فَجْدٌ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ■■■ فَاجْهَدْ بِوُسْعِكَ كُلِّهِ أَنْ تَنْفَعَا<sup>(٤)</sup>

٣. جود الإنسان براحته ورفاهيته، وإجمام<sup>(٥)</sup> نفسه: فيجود بها تعباً وكدّاً في مصلحة غيره، ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامره، كما قيل:

(١) ضَنَّ: بَخِلَ.

(٢) رواه البخاري (١٤٣٢) و(٦٠٢٧) و(٦٠٢٨) و(٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٣) «ديوان الشافعي» (ص ٢٧).

(٤) «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢٠).

(٥) الإجمام: الراحة.



مُتَيِّمٌ<sup>(١)</sup> بِالنَّدَى<sup>(٢)</sup>، لَوْ قَالَ سَائِلُهُ: ■■■ هَبْ لِي جَمِيعَ كَرَى<sup>(٣)</sup> عَيْنِكَ، لَمْ يَنْمِ  
 ٤. الْجُودُ بِالْعِلْمِ وَبِذَلِكَ: وَهُوَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجُودِ، وَالْجُودُ بِهِ أَفْضَلُ مِنَ  
 الْجُودِ بِالْمَالِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مِنَ الْمَالِ.  
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْأَلْبِيرِيُّ:

جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا ■■■ لَعَمْرُكَ، فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا  
 وَبَيْنَهُمَا - بِنَصِّ الْوَحْيِ - بَوْنٌ ■■■ سَتَعَلَّمُهُ إِذَا طَهَّ قَرَأْنَا

وَقَالَ آخَرُ:

الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ ■■■ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحَبُ صَحْبًا  
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالًا، ثُمَّ يُسَلِّبُهُ ■■■ عَمَّا قَلِيلٍ، فَيَلْقَى الدُّلَّ وَالْحَرِيَّا  
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ■■■ وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الضُّوْثُ وَالسَّلْبَا  
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذُّخْرِ تَجْمَعُهُ ■■■ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا، وَلَا ذَهَبًا  
 وَالنَّاسُ فِي الْجُودِ بِهِ عَلَى مَرَاتِبَ مُتَفَاوِتَةٍ، وَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ وَتَقْدِيرُهُ  
 النَّافِذُ أَلَّا يَنْفَعَ بِهِ بَخِيلًا أَبَدًا.

وَمِنْ الْجُودِ بِهِ أَنْ تَبْذُلَهُ لِمَنْ لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهُ، بَلْ تَطْرَحَهُ عَلَيْهِ طَرْحًا.  
 وَمِنْ الْجُودِ بِالْعِلْمِ أَنْ السَّائِلَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، اسْتَقْصَيْتَ لَهُ جَوَابَهَا  
 جَوَابًا شَافِيًا، لَا يَكُونُ جَوَابُكَ لَهُ بِقَدَرِ مَا تَدْفَعُ بِهِ الضَّرُورَةُ، كَمَا كَانَ بَعْضُهُمْ  
 يَكْتُبُ فِي جَوَابِ الْفُتْيَا (نَعَمْ) أَوْ (لَا) مُقْتَصِرًا عَلَيْهَا.

(١) مُتَيِّمٌ: مُسْتَعْبِدٌ ذَلِيلٌ.

(٢) النَّدَى: الْجُودُ وَالْكَرَمُ.

(٣) الْكَرَى: النَّوْمُ.

فَمِنْ جُودِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَسْأَلَةِ السَّائِلِ، بَلْ يَذْكُرُ لَهُ نَظَائِرَهَا، وَمُتَعَلِّقَهَا، وَمَأْخَذَهَا، بِحَيْثُ يَشْفِيهِ وَيَكْفِيهِ.

وَقَدْ سَأَلَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْمَتَوَضِّئِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، فَقَالَ: «هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» <sup>(١)</sup>. فَأَجَابَهُمْ عَنْ سُؤْلِهِمْ، وَجَادَ بِمَا لَعَلَّهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَيْهِ أَحْوَجُ مِمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ.

وَكَانُوا إِذَا سَأَلُوهُ عَنِ الْحُكْمِ، نَبَّهَهُمْ عَلَى عِلَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: «إِنْ بَعَثَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرَةً، فَأَصَابَتْهَا جَائِحَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ مَالِ أَخِيكَ شَيْئًا؛ يَوْمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ» <sup>(٢)</sup>.

#### ٥. الْجُودُ بِنَفْعِ الْبَدَنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «كُلُّ سُلَامَى <sup>(٣)</sup> مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ <sup>(٤)</sup> بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ <sup>(٥)</sup> الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٤٨/٢)، و«الصحيح» (٤٨٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٥٤) عن جابر بن عبد الله.

(٣) سُلَامَى: أصله عِظَامُ الْأَصَابِعِ وَسَائِرِ الْكَفِّ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي سَائِرِ عِظَامِ الْبَدَنِ وَمِفَاصِلِهِ، وَالْجَمْعُ سُلَامِيَّاتٌ.

(٤) تَعْدِلُ: تُصْلِحُ بِالْعَدْلِ.

(٥) تُمِيطُ: تُزِيلُ وَتُنْحِي.

(٦) رواه البخاري (٢٧٠٧) و(٢٨٩١) و(٢٩٨٩)، ومسلم - واللفظ له - (١٠٠٩).

٦ - وَيَدْخُلُ فِي الْجُودِ مَنْ يَسْعَى فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، وَتَضَرِّجُ كُرْبَاتِهِمْ:  
عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ  
أَنْفَعُهُمْ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - سُرُورُ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ  
كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمَشِي مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ  
إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا  
- وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ - مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ  
فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يَثْبِتَهَا <sup>(١)</sup> لَهُ، أَثَبَّتَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ <sup>(٢)</sup>»

٧ - وَيَدْخُلُ فِي الْجُودِ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَى عَمَلٍ أَجْرًا، فَيَتْرَكَ الْأَجْرَ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِهِ.

٨ - وَمِنْ جَمِيلِ الْجُودِ جُودُ الْإِنْسَانِ بِالنُّصْحِ وَالْإِشْرَادِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ كَنْزُ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ فِي : ■■■ لُجَّةِ الدُّنْيَا، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوكَ  
مَحْفِلُ الْأَيَّامِ فِي شَوْقٍ إِلَى ■■■ صَوْتِكَ الْعَالِي، عَسَاهُمْ يَسْمَعُوكَ

٩ - جُودُ الْإِنْسَانِ بِعِرْضِهِ لِمَنْ نَالَ مِنْهُ، أَوْ اسْتَطَالَ عَلَيْهِ:

كَمَا فِي خَبَرِ أَبِي ضَمْضَمٍ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ  
مِثْلَ أَبِي ضَيْغَمٍ - أَوْ ضَمْضَمٍ، شَكََّ ابْنُ عُبَيْدٍ <sup>(٣)</sup> - كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي قَدْ  
تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ <sup>(٤)</sup>» .

(١) يَثْبِتُهَا: يَنْجِزُهَا.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَضَاءِ الْحَوَائِجِ»، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٧٦/١)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (٩٠٦).

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَابٍ.

(٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٨٦)، وَالْعَقِيلِيُّ فِي «الضُّعْفَاءِ» (١٨٠/٤)، وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٦٥)، وَضَعَفَهُ الْعِرَاقِيُّ فِي «تَخْرِيجِ الْإِحْيَاءِ» (١٦٣/٣)، وَكَذَلِكَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٣٢/٨)، وَلَكِنْ لَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَخْرَجَهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي كِتَابِهِ «الْغَوَامِضُ وَالْمَبْهَمَاتُ» (٤٤٩)، وَنَصَّهُ: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ أَتَصَدَّقُ بِهِ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَصَابَ مِنْ عِرْضِي شَيْئًا، فَهُوَ لِي صَدَقَةٌ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ». صَحَّحَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْإِصَابَةِ» (٥٠٠/٢).



وَقِيلَ لِلشَّعْبِيِّ: فُلَانٌ يَتَنَقَّصُكَ وَيَشْتِمُكَ. فَمَثَّلَ الشَّعْبِيُّ بِقَوْلِ كَثِيرٍ عَزَّةٌ<sup>(١)</sup>:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ<sup>(٢)</sup> ■■■ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

أَسِيئِي بِنَا، أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ ■■■ لَدَيْنَا، وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ<sup>(٣)(٤)</sup>

١٠. الْجُودُ بِالصَّبْرِ، وَالْإِحْتِمَالُ وَالْإِغْضَاءُ: وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ،

وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ، وَأَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُّ، وَأَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَأَشْرَفُ لَهَا، وَلَا يَقْدَرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الْكِبَارُ.

وَفِي هَذَا الْجُودِ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: ٤٠).

فَذَكَرَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَقَامَ الْعَدْلِ وَأَذْنَ فِيهِ، وَمَقَامَ الْفَضْلِ وَنَدَبَ إِلَيْهِ، وَمَقَامَ الظُّلْمِ وَحَرَمَهُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

هُمُ النَّاسُ وَالْدُنْيَا، وَلَا بُدَّ مِنْ قَدَى<sup>(٥)</sup> ■■■ يُلِمُّ<sup>(٦)</sup> بَعَيْنٍ، أَوْ يُكَدِّرُ مَشْرِياً

وَمِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنْكَ تَبْتَغِي الـ ■■■ مُهَذَّبٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَسْتَ الْمُهَذَّبَا

(١) شاعرٌ مَتيِّمٌ مشهورٌ من أهل الحجاز، معروفٌ بابن أبي جمعة، كان دَمِيمَ الْخَلْقِ قَصِيْرًا، طوله ثلاثة أشبار؛ فلهذا صُغِّرَ اسْمُهُ، وَقَدْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَازْدَرَى مَنْظَرَهُ إِلَى أَنْ عَرَفَ أَدَبَهُ، فَرَفَعَ مَجْلِسَهُ، وَعَزَّةٌ هَذِهِ الْمَشْهُورُ بِهَا الْمَنْسُوبُ إِلَيْهَا - لَتَغْزِلُهُ فِيهَا - هِيَ عَزَّةُ بِنْتُ جَمِيلٍ أُمُّ عَمْرِو الضَّمْرِيَّةِ، وَأَخْبَارُهُ مَعَهَا كَثِيرَةٌ، وَكَانَ عَفِيفًا فِي حَبِّهِ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٠٥ هـ، عَلَى الْمَشْهُورِ.

(٢) الدَّاءُ الْمُخَامِرُ: الدَّفْنُ الْمُسْتَرُّ. أَيْ أَنَّ مَا اسْتَحَلَّتْ عَزَّةٌ مِنْ ثَلَبِ أَعْرَاضِنَا يَحِلُّ لَهَا حَالُ كَوْنِهِ هَنِيئًا غَيْرَ مُسَبِّبٍ لَهَا دَاءٍ وَلَا أَلَمًا.

(٣) تَقَلَّتْ: تَبَغَّضَتْ. وَفِي الْبَيْتِ التَّفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ.

(٤) «بهجة المجالس» (٢/٤٣٦).

(٥) الْقَدَى: جَمْعُ قَذَاةٍ، وَهِيَ مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ، وَالشَّرَابِ، وَالْمَاءِ مِنْ تُرَابٍ، وَوَسَخٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٦) يُلِمُّ: يَنْزِلُ.



١١. الْجُودُ بِالْخُلُقِ، وَالْبِشْرُ وَالْبَسْطَةُ، وَمُقَابَلَةُ النَّاسِ بِالطَّلَاقَةِ: وَهُوَ فَوْقَ  
الْجُودِ بِالصَّبْرِ، وَالِاخْتِمَالِ وَالْعَفْوِ، وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ،  
وَهُوَ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ - ﷺ -: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ  
شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»<sup>(١)</sup>.

وَفِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ وَالْمَسَارِّ، وَأَنْوَاعِ الْمَصَالِحِ مَا فِيهِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

لِللَّهِ تِلْكَ الدَّارُ أَيُّ مَحَلَّةٍ ■■■ لِلْجُودِ وَالْإِفْضَالِ، وَالتَّكْرِيمِ  
هُمُ كَالشُّمُوسِ مَهَابَةٌ وَجَلَالَةٌ ■■■ أَخْلَاقُهُمْ فِي الْحُسْنِ كَالْتَّسْنِيمِ

١٢. وَيَدْخُلُ فِي قَبِيلِ الْأَجْوَادِ مَنْ يَكُونُ لَهُ دَيْنٌ عَلَى آخَرٍ، فَيَطْرَحُهُ عَنْهُ،  
وَيُخْلِي ذِمَّتَهُ مِنْهُ، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ دُونَ عَنَاءٍ، وَلَا تَعَبٍ:

كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ، حَتَّى إِنَّهُ مَرَضَ  
مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا  
لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ، فَقَالَ: أَخْزَى اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ، ثُمَّ أَمَرَ  
مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لْقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ، فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ. فَمَا أَمْسَى حَتَّى  
كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٢٦).

(٢) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٦٤٢/٢).

قَالَ الشَّاعِرُ - يَمْدَحُ كَرِيمًا - :

كَأَنَّكَ فِي الْكِتَابِ وَجَدْتَ لَاءً ■■■ مَحَرَّمَةً عَلَيْكَ فَلَا تَحِلُّ  
إِذَا حَضَرَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ ■■■ وَإِنْ حَلَّ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ  
وَمَا تَدْرِي إِذَا أَنْفَقْتَ مَالًا ■■■ أَيْكَثَرُ فِي عَطَائِكَ أَمْ يَقِلُّ  
جُرِيتَ عَنِ الْبَرِيَّةِ كُلِّ خَيْرٍ ■■■ فَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَاطِلُ الْأَجَلُّ  
بِوَجْهِكَ نَسْتَضِيءُ إِذَا سَرَيْنَا ■■■ جَبِينٌ فِي اللَّيَالِي مُشْمَعِلٌ  
وَذِكْرُكَ فِي الْمَسَامِعِ خَيْرُ هَادٍ ■■■ يُكَرِّرُ فِي الْجُمُوعِ فَلَا يَمَلُّ  
فَدَتِكَ نَفْسُنَا عَنْ كُلِّ هَوْلٍ ■■■ وَيَفْدِيكَ الْحَاجِيجُ إِذَا أَهْلُوا ۱

١٣ - وَمِنَ الْجُودِ حَضُّ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ، وَحَثُّهُمْ عَلَى الْجُودِ وَالْإِنْفَاقِ فِي  
وُجُوهِ الْبِرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي  
يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (سورة الماعون: ١-٣) .

فَذَكَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَنْ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ فِي مَعْرِضِ الدِّمِّ،  
وَفِي هَذَا أَمْرٌ لِلْعَبْدِ بِأَنْ يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِطْعَامَهُ بِنَفْسِهِ .

١٤ - وَيَدْخُلُ فِي الْجُودِ دَلَالَةُ النَّاسِ عَلَى وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَتَذَكِيرُهُمْ بِطَرَقِهِ:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
- ﷺ - : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » (١) .

١٥ - وَيَدْخُلُ فِي الْجُودِ شُكْرُ الْأَجْوَادِ، وَالِدُعَاءُ لَهُمْ، وَتَشْجِيعُهُمْ عَلَى مَزِيدٍ

مِنَ الْبَذْلِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ - ﷺ - بِأَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنْ

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) .

الْأَغْنِيَاءَ، أَمَرَهُ بِالِدُّعَاءِ لَهُمْ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٣).

فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أَيُّ: ادْعُ لَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ أَيُّ: طُمَأْنِينَةٌ لِقُلُوبِهِمْ، وَاسْتَبْشَارٌ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْفَقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا<sup>(٢)</sup>      وَلَا تُطْعِ فِي سَبِيلِ الْجُودِ عُدْالًا<sup>(٣)</sup>

مَنْ جَادَ جَادَ عَلَيْهِ اللَّهُ، وَاسْتَتَرْتُ      عِيُوبُهُ، وَكَفَى بِالْجُودِ سِرِّيَالًا<sup>(٤)</sup>

١٦. الْجُودُ بِتَرْكِهِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَيْهِمْ: فَلَا يَتَلَفَّتُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَشْرِفُ لَهُ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بِحَالِهِ وَلَا لِسَانِهِ، وَهَذَا الَّذِي قَالَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«فَلِسَانُ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ لِلْفَقِيرِ الْجَوَادِ: وَإِنْ لَمْ أُعْطِكَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَجُدْ عَلَيْهِمْ بِزُهْدِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، تَفْضُلٌ عَلَيْهِمْ، وَتُزَاحِمُهُمْ فِي الْجُودِ، وَتَنْفَرِدُ عَنْهُمْ بِالرَّاحَةِ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ:

«عَوْدُ نَفْسِكَ السَّخَاءِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَخَاءٌ: سَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَسَخَاوَتُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

(٢) إِقْلَالًا: افْتِقَارًا، يُقَالُ: أَقْلَّ الرَّجُلُ: إِذَا افْتَقَرَ.

(١) «تفسير ابن سعد» (٢/٢٨٣).

(٣) عُدْالٌ: جَمْعُ عَاذِلٍ، وَهُوَ اللَّائِمُ.

(٤) السَّرِّيَالُ: الْقَمِيصُ السَّابِغُ، وَالْجَمْعُ سَرَابِيلُ.

(٥) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/٦٤٧).



وَسَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَكْثَرُهُمَا، وَأَقْرَبُهُمَا مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ  
الْمُفَاخَرَةُ، وَتَرَكُهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَمْحَضُ<sup>(١)</sup> فِي التَّكْرَمِ، وَأَبْرَأُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَنْزَهُ.  
فَإِنْ هُوَ جَمَعَهُمَا، فَبَذَلَ وَعَفَّ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ<sup>(٢)</sup>.

١٧. وَمِنْ الْجُودِ مُعَامَلَةُ الْكَرَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ  
فَأَكْرَمُوهُ»<sup>(٣)</sup>.

هَذَا مَا تَيَسَّرَ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ ضَمَّنَ الْمَزِيدَ لِلْجَوَادِ،  
وَالِإِتْلَافَ لِلْمُمْسِكِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ  
الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ: فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ:  
اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»<sup>(٤)</sup>.

وَالْكَرِيمُ - حَقًّا - مَنْ يُلَاقِي خَدَمَهُ الزَّائِرِينَ وَالْمُسْتَجِدِينَ<sup>(٥)</sup> بِأَدَبٍ جَمِيلٍ،  
وَيَسْتَقْبِلُهُمْ هُوَ بِالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ؛ حَتَّى يَحْفَظَ لَهُمْ عِزَّتَهُمْ.

قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ - يَمْدَحُ رَجُلًا -:

هَشْ إِذَا نَزَلَ الْوُفْدُ بَبَابِهِ ■■■ سَهْلُ الْحِجَابِ، مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ<sup>(٦)</sup>

(١) امحض: أخلص.

(٢) «الآدب الصغير والآدب الكبير» (ص ١١١-١١٢).

(٣) رواه ابنُ مَاجَةَ (٣٧١)، وَحَسَنَةُ الْإِلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٦٩/١)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (١٢٠٥).

(٤) رواه الْبُخَارِيُّ (١٤٤٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠١٠).

(٥) الْمُسْتَجِدِينَ: جَمْعُ مُسْتَجِدٍّ، وَهُوَ السَّائِلُ، يُقَالُ: اسْتَجَدَّهُ: أَيِ طَلَبَ جَدْوَاهُ، وَالْجَدْوَى: الْعَطِيَّةُ.

(٦) «عيون الأخبار» (١٢٩/١).



وَأَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْكَرَمِ أَنْ يَجُودَ الرَّجُلُ بِمَا يُحِبُّ، وَبِمَا هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَيَدْعُ حَاجَتَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَذَلِكَ يُسَمَّى الْإِيثَارَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ (سورة آل عمران: ٩٢). وَقَالَ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(١)</sup> (سورة الحشر: ٩).

وَحِينَ سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - : «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟»، قَالَ: «جُهْدُ الْمُقِلِّ»<sup>(٢)</sup>. وَعَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟»، قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ»<sup>(٣)</sup>، تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى»<sup>(٤)</sup>.  
قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَلَمَّا كَانَتْ مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَالِ مَعَ قِيَامِ مَانِعِ الشُّحِّ دَالًا عَلَى صِحَّةِ الْقَصْدِ، وَقُوَّةِ الرِّغْبَةِ فِي الثَّرْبَةِ»<sup>(٥)</sup> - كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ نَفْسَ الشُّحِّ هُوَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةِ»<sup>(٦)</sup>.

قَالَ دَعِيبُ الْخَزَاعِي:

وَلَيْسَ الْفَتَى الْمُعْطَى عَلَى الْيُسْرِ وَحْدَهُ ■■■ وَلَكِنَّهُ الْمُعْطَى عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ»<sup>(٧)</sup>

(١) الْخَصَاصَةُ: الْفَقْرُ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٧٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٤٧١).

(٣) الشُّحُّ: الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤١٩) وَ(٢٧٤٨)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣٢).

(٥) التَّرْبَةُ: الْفَقْرُ الشَّدِيدُ.

(٧) «عَيُونُ الْأَخْبَارِ» (١/٣٤٤).

(٦) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (٣/٢٨٥).

وقال آخر:

ليس جُودُ الْفَتَيَانِ مِنْ فَضْلِ مَالٍ ■■■ إنما الجُودُ لِلْمُقِلِّ الْمُوَاسِي<sup>(١)</sup>

وَصِدُّ الْكَرَمِ الْبُخْلُ، وهو خُلُقٌ مردولٌ يدعو إلى مساوئِ الْأَخْلَاقِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ بِالشُّحِّ: أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْمَوْرِدِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَقَدْ يَحْدُثُ عَنِ الْبُخْلِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ - وَإِنْ كَانَ ذَرِيعَةً إِلَى كُلِّ مَذْمَةٍ - أَرْبَعَةُ أَخْلَاقٍ نَاهِيكَ بِهَا ذِمًّا، وَهِيَ: الْحِرْصُ، وَالشَّرُّ، وَسُوءُ الظَّنِّ، وَمَنْعُ الْحُقُوقِ.

فَأَمَّا الْحِرْصُ فَهُوَ شِدَّةُ الْكَدْحِ، وَالْإِسْرَافُ فِي الطَّلَبِ، وَأَمَّا الشَّرُّ فَهُوَ اسْتِقْلَالُ الْكَفَايَةِ، وَالْإِسْتِكْثَارُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ فَهُوَ عَدَمُ الثِّقَةِ بِمَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ، فَإِنْ كَانَ بِالْخَالِقِ كَانَ شَكًّا يَتَوَلَّى إِلَى ضَلَالٍ، وَإِنْ كَانَ بِالْمَخْلُوقِ كَانَ اسْتِخَانَةً يَصِيرُ بِهَا مَخْتَانًا وَخَوَافًا؛ لِأَنَّ ظَنَّ الْإِنْسَانِ بِغَيْرِهِ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهَا خَيْرًا ظَنَّهُ فِي غَيْرِهِ، وَإِنْ رَأَى فِيهَا سُوءًا اعْتَقَدَهُ فِي النَّاسِ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ: كُلُّ إِنَاءٍ يَنْضَحُ بِمَا فِيهِ، وَأَمَّا مَنْعُ الْحُقُوقِ فَإِنَّ نَفْسَ الْبَخِيلِ لَا تَسْمَحُ بِفِرَاقِ مَحْبُوبِهَا، وَلَا تَتَّقَادُ إِلَى تَرْكِ مَطْلُوبِهَا، فَلَا تُذْعِنُ لِحَقٍّ، وَلَا تُجِيبُ إِلَى إِنْصَافٍ.

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه أبو داود (١٦٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٧٨/١)، و«الصَّحِيحَةُ» (١٤٦٢).

وَإِذَا آلَ الْبَخِيلُ إِلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، وَالشِّمِّ اللَّثِيمَةِ - لَمْ يَبْقَ مَعَهُ خَيْرٌ مَرْجُوٌّ، وَلَا صَلَاحٌ مَأْمُونٌ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَتَعَوَّذُ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنَ الْبُخْلِ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله -:

«إِنَّ الْجَمِيعَ يَتِمَادِحُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ، حَتَّى إِنْ ذَلِكَ عَامَّةٌ مَا تَمْدَحُ بِهِ الشُّعْرَاءُ مَمْدُوحَهُمْ فِي شِعْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ يَتَذَامُونَ بِالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ».

ثُمَّ قَالَ: «وَلَمَّا كَانَ صَلَاحُ بَنِي آدَمَ لَا فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ - بَيْنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِتَرْكِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ، أَبْدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِإِنْفَاقِ مَالِهِ، أَبْدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٨).

ثُمَّ قَالَ - يرحمه الله -:

«وَبِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَضَّلَ اللَّهُ السَّابِقِينَ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (سورة الحديد: ١٠).

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٥ - ١٨٦) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٥)، و (٦٣٧٠) و (٦٣٧٤) و (٦٣٩٠) عن سعد بن أبي وقاص.



وَقَدْ ذَكَرَ الْجِهَادَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ فِي سَبِيلِهِ، وَمَدَحَهُ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالسَّمَّاحَةُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَطَاعَةِ رَسُولِهِ<sup>(١)</sup>.

وَكَمَا أَنَّ الشَّجَاعَةَ وَالكَرَّمَ صِنَوَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، فَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ قَرِينَانِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْجُبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِينَانِ، فَإِنْ عَدِمَ النَّفْعُ مِنْهُ، إِنْ كَانَ يَدِنَهُ فَهُوَ الْجُبْنُ، وَإِنْ كَانَ بِمَالِهِ فَهُوَ الْبُخْلُ»<sup>(٢)</sup>.

وَالْبُخْلُ يُرِزُ مَا اسْتَرَّ مِنْ عُيُوبِ صَاحِبِهِ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ:

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ■■■ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ - جَمِيعًا - سَخَاؤُهُ  
تَغْطِي بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ، فَإِنِّي ■■■ أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ<sup>(٣)</sup>

وَالْبُخْلُ يَكْسِي صَاحِبَهُ جُلُبَابَ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

إِنَّ الْبَخِيلَ - وَإِنْ أَفَادَ غِنَى -<sup>(٤)</sup> ■■■ لَتُرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ<sup>(٥)</sup> الْفَقْرِ

وَالْبَخِيلُ لَا يَسُودُ قَوْمَهُ.

(١) «الاستقامة» (٢/٢٦٣ - ٢٧٠) باختصار.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٨٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٤).

(٤) أفاد غنى: استفادته.

(٥) المخايل: العلامات والأمارات، واحدها مخيلة.



عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ سَيِّدُكُمْ، يَا بَنِي سَلَمَةَ؟». قُلْنَا: «جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَنَا نُبْخَلُهُ». قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟!» بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا قال شاعر الأنصار:

وقال رسول الله - والحق قَوْلُهُ - ■ ■ ■ لِمَنْ قَالَ مِنَّا: مَنْ تَسْمُونُ سَيِّدًا؟  
فَقَالُوا: هُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي ■ ■ ■ نُبْخَلُهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ أَسْوَدًا  
فَتَى مَا تَخْطِي خَطْوَةَ نَحْوَرِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> ■ ■ ■ وَلَا مَدْفِي يَوْمٍ إِلَى سَوَاءَةٍ<sup>(٣)</sup> يَدَا  
فَسُوْدُ عَمْرُو بْنِ الْجَمُوحِ بِجُودِهِ ■ ■ ■ وَحَقُّ لِعَمْرُو بِالنَّدَى أَنْ يُسَوِّدَا  
إِذَا جَاءَهُ السُّؤَالُ أَذْهَبَ مَالَهُ ■ ■ ■ وَقَالَ: خُذُوهُ، إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَاً

وَالْبَخِيلُ لَيْسَ لَهُ خَلِيلٌ، فَبُخْلُهُ يُبْغِضُهُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى أَوْلَادَهُ.

وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي مُحَمَّدٍ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - حَيْثُ قَالَ:

وَأَمْرَةٌ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا: اقْصُرِي ■ ■ ■ فَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ  
أَرَى النَّاسَ خُلَانُ الْجَوَادِ، وَلَا أَرَى ■ ■ ■ بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ  
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ ■ ■ ■ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ  
وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى - لَوْ عَلِمْتِهِ - ■ ■ ■ إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يَنْبِيلُ<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٧١٠٤).

(٢) رُبِيَّةٌ: شُبُهَةٌ وَتَهْمَةٌ، وَالْجَمْعُ رَبَبٌ.

(٣) السَّوَاءَةُ: الْفَاحِشَةُ، جَمْعُهَا سَوَاءَاتٌ.

(٤) يَنْبِيلٌ: يُعْطَى.

عَطَائِي عَطَاءُ الْمُكْثَرِينَ تَكْرُمًا ■■■ وَمَالِي - كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ - قَلِيلُ  
وَكَيْفَ أَخَافُ الضُّقْرَ، أَوْ أَحْرَمُ الْغِنَى ■■■ وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَلِيلُ<sup>(١)</sup>  
وَالْبَخِيلُ إِذَا مَاتَ خَلَّفَ مَا جَمَعَهُ لَوَارِثِهِ، وَذَهَبَ هُوَ بِسُوءِ الشَّئَاءِ.  
قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: «الْبَخِيلُ حَارِسُ نَعْمَتِهِ، وَخَازِنُ وَرَثَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي:

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَاتَ يَتْبَعُهُ ■■■ سُوءُ الشَّئَاءِ، وَيَحْوِي الْوَارِثُ الْإِبِلَاءُ  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا، لِمَالِكَ مُمَسِّكًا ■■■ فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينُ  
تُؤَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ ■■■ فَيَأْكُلُهُ عَفْوًا<sup>(٣)</sup> وَأَنْتَ دَفِينُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:

يُضْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ ■■■ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدَعُ  
كَدُودَةَ الْقَرْزِ مَا تَبْنِيهِ يَخْنُقُهَا ■■■ وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ:

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلْمُ وَفَرًا<sup>(٦)</sup> ■■■ لَوَارِثِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ  
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ - وَهُوَ طَاوٍ -<sup>(٧)</sup> ■■■ فَرِيَسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ<sup>(٨)</sup>

- (١) «وفيات الأعيان» (١/٢٠٤)، والبيتان الأخيران ذكرهما الذهبي في «السِّيَر»، وذكر أنه أنشدهما الرشيد، فأمر له بمائة ألف درهم (١١٨/١١ - ١٢١).  
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٥).  
(٣) عَفْوًا: أَي بغير مَسْأَلَةٍ.  
(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٥).  
(٥) «البداية والنهاية» (١٢/٥٠٢).  
(٦) الْوَفْرُ - بِالْفَتْحِ - : الْمَالُ الْكَثِيرُ.  
(٧) طَاوٍ: اسم فاعل للفعل طَوَّى يَطْوِي طَوًى: إِذَا جَاعَ وَضَمَرَ بَطْنَهُ مِنَ الْجُوعِ.  
(٨) «جواهر الأدب» (ص ٧١٤ - ٧١٥).

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَثَلِ السَّوْءِ!  
وَالْبَخِيلُ إِنْ مَاتَ عَزَّتْ وَرَثَتُهُ عَنْهُ كَثْرَةُ مَالِهِ.

قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ:

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ ■■■ فَلَيْتَ شِعْرِي <sup>(١)</sup> مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ  
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمُ ■■■ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ حَالَتْ بِكَ الْحَالُ  
مَلُّوا الْبُكَاءَ، فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ ■■■ وَاسْتَحْكَمَ الْقَوْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ  
وَلْتَهُمْ عَنْكَ دُنْيَا أَقْبَلَتْ لَهُمْ ■■■ وَأَدْبَرَتْ عَنْكَ، وَالْأَيَّامُ أَحْوَالُ <sup>(٢)</sup>

وَأَخِيرًا:

اللَّهُ أَعْطَاكَ، فَابْذُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ ■■■ فَالْمَالُ عَارِيَةٌ، وَالْعُمْرُ رَحَالُ  
الْمَالُ كَالْمَاءِ، إِنْ تَحِسَّ سَوَاقِيَهُ ■■■ يَأْسَنُ، وَإِنْ يَجْرِ يَعْذِبُ مِنْهُ سَلْسَالُ



(١) ليت شعري: ليتني أعلم.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٢٣).

## إِكْرَامُ الضَّيْفِ



إِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَجَمِيلِ الْخِصَالِ، تَحَلَّى بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَحَثَّ عَلَيْهِ الْمُرْسَلُونَ، مَنْ عُرِفَ بِالضِّيَافَةِ عُرِفَ بِشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ، وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ، وَانْقَادَ لَهُ قَوْمُهُ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ سَادَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، لَمْ يَكُنْ كَمَالُ سُودَدِهِ إِلَّا بِإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ، كَمَا قَالَ ابْنُ حِبَّانَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :  
«وَالْعَرَبُ لَمْ تَكُنْ تَعُدُّ الْجُودَ إِلَّا قِرَى الضَّيْفِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَلَا تَعُدُّ السَّخِيَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ حَثَّنَا نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - عَلَى إِكْرَامِ الضَّيْفِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي شَرِيحٍ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَسَمِعْتُهُ أَذْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ». قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «روضة العقلاء» (ص ٢٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) و(٦١٣٦) و(٦١٣٨) و(٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٣) البخاري (٦٠١٩) و(٦١٣٥) و(٦٤٧٦)، ومسلم (٤٨).



وفي رواية أخرى عنه - أيضاً - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْتِمَهُ»<sup>(١)</sup>.  
 قالوا: «يا رسولَ الله، وكيف يُؤْتِمُهُ؟». قال: «يُقيمُ عندهُ ولا شيءَ له يَقْرِيهِ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - ﷺ -: «إِنَّ لَزُورَكَ»<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(٤)</sup>.  
 وَيَقْرُ النَّبِيُّ ﷺ - سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَلَى قَوْلِهِ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: «إِنَّ لَضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - ﷺ -: قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ تَبُوكَ، فَقَالَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ أَخَذَ بَعَنَانَ فَرَسِهِ»<sup>(٦)</sup>، فَيَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمِثْلُ رَجُلٍ بَادٍ<sup>(٧)</sup> فِي غَنَمِهِ، يَقْرِي ضَيْفَهُ، وَيُؤَدِّي حَقَّهُ»<sup>(٨)</sup>.

وعن أبي هريرة - ﷺ -: قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ: «إِنِّي مَجْهُودٌ»<sup>(٩)</sup>. فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: «لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ».

(١) يُؤْتِمُهُ: يُخْرِجُهُ، وَالْحَرَجُ: هُوَ الضِّيْقُ، أَي: حَتَّى يُضَيِّقَ عَلَيْهِ.

(٢) رواه مسلم (٤٨). قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «مَعْنَاهُ الْإِهْتِمَامُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَاللَّيْلَةِ، وَإِتِحَافُهُ بِمَا يُمْكِنُ مِنْ بَرٍّ وَإِلْطَافٍ، وَأَمَّا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي والثَّالِثِ فَيُطْعِمُهُ مَا تيسَّرَ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنْ شَاءَ فَعَلَّ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ».

(٣) الزَّوْرُ - بِالْفَتْحِ - : الزَّائِرُ، يَسْتَوِي فِيهِ الْمَفْرَدُ وَغَيْرُهُ.

(٤) رواه البخاري (١٩٧٤) و (١٩٧٥) و (٦١٣٤)، ومسلم (١١٥٩).

(٥) رواه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح.

(٦) عِنَانُ الْفَرَسِ: اللَّجَامُ الَّذِي يُوضَعُ فِي رَأْسِهِ؛ لِيُقَادَ بِهِ، وَالْجَمْعُ أَعْنَةٌ، وَعَنْنٌ.

(٧) بَادٍ: مُقِيمٌ فِي الْبَادِيَةِ، وَبَابُهُ عَدَا.

(٨) رواه أحمد في «مسنده» (٣١١/١) بإسناد صحيح.

(٩) مَجْهُودٌ: أَصَابَنِي الْجَهْدُ - بَفَتْحِ الْجِيمِ -: وَهُوَ الْمَشَقَّةُ، وَالْحَاجَةُ، وَسَوْءُ الْعَيْشِ وَالْجُوعِ.

فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟ رَحِمَهُ اللَّهُ!». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «إِنَّا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ»<sup>(١)</sup>. فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: «هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟». قَالَتْ: «لَا، إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي». قَالَ: «فَعَلَّيْهِمْ»<sup>(٢)</sup> بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا، فَأَطْفَيْتِ السُّرَاجَ، وَأَرَيْتِهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السُّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ». قَالَ: فَقَعَدُوا وَآكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدًا<sup>(٣)</sup> عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»<sup>(٤)</sup>.

هَلْ رَأَيْتَ - أَخِي فِي اللَّهِ - إِشَارًا كَهَذَا؟!، وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَعَجَّبَ مِنْ صَنِيعِهِمَا!.

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا يُذَكِّرُ فِي الضِّيَافَةِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - خَرَجَ يُرِيدُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فَأَصَابَتْهُ السَّمَاءُ وَهُوَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ لَيْلًا، فَرَفَعَتْ لَهُ نَارٌ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ مَقْسَمٌ: اقْصِدْ بِنَا النَّارَ.

فَأَتَاهَا، فَإِذَا شَيْخٌ مَعَهُ أَهْلُهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ أَجْمَلِ النَّاسِ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخَ أَعْظَمَهُ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: «إِنْ كَانَ هَذَا قُرَشِيًّا، فَهُوَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَإِنْ كَانَ يَمَانِيًّا فَهُوَ مِنْ بَنِي آكَلَ الْمَرَارَ، فَهَيِّئِي لَنَا عَنَزَكَ، أَقْضِي بِهَا ذِمَامَهُ.

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِذَا تَمَوْتُ ابْنَتِي مِنَ الْجُوعِ.

(١) الرَّحْلُ: مَا يُجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ، مِثْلُ: السَّرَجِ لِلْفَرَسِ، وَالْإِكَافِ وَالْبِرْدَعَةِ لِلْحِمَارِ، وَالرَّحْلُ أَصْغَرُ مِنَ الْقَتَبِ، وَالْجَمْعُ رِحَالٌ، وَأَرْحَلُ.

(٢) عَلَّلَهُ بِالشَّيْءِ: تَعْلِيلًا: لَهَا بِه.

(٣) غَدًا: ذَهَبَ صَبَاحًا، وَبَابُهُ دَعَا.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٩٨) وَ (٤٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٠٥٤).

قَالَ الشَّيْخُ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ اللَّؤْمِ، فَأَخَذَ الشُّفْرَةَ، وَقَامَ إِلَى الْعَنْزِ وَهُوَ يَقُولُ:  
 قَرِينَتَا لَا تَوْقِظِي بَنِيَّهِ ■ ■ ■ إِنْ تَوْقِظِيهَا تَنْتَحِبُ عَلَيْهِ  
 وَتَنْزَعُ الشُّفْرَةَ مِنْ يَدَيْهِ ■ ■ ■ أَبْغَضَ بِهِذَا وَبِذَا إِلَيْهِ  
 فَذَبَحَهَا وَحَدَّثَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَتَّى نَضَجَتْ، فَأَكَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْهَا، وَبَاتَ لَيْلَتَهُ،  
 فَلَمَّا قَرُبَ الرَّحِيلُ، قَالَ لِمَقْسِمٍ: كَمْ مَعَكَ مِنْ نَفَقَتِنَا؟

قَالَ: خَمْسَةُ مِائَةِ دِينَارٍ.

قَالَ: أَلْقِهَا إِلَى الشَّيْخِ.

قَالَ مَقْسِمٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ!، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ تُضَاعِفَ لَهُ ثَمَنَ عَنْزِهِ، وَاللَّهُ  
 مَا يَعْرِفُكَ، وَلَا يَذَرِي مَنْ أَنْتَ!.

قَالَ: لَكِنِّي أَعْرِفُ نَفْسِي، وَأَذَرِي مَنْ أَنَا، هَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ هَذِهِ  
 الْعَنْزِ، فَجَادَلْنَا بِهَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُنَا، فَخَرَجَ مِنْ دُنْيَاهُ، وَأَعْطَيْنَاهُ بَعْضَ دُنْيَانَا، فَهُوَ  
 أَجْوَدُ مِنَّا.

وَسَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ:  
 يَا مَقْسِمُ، مَرُّ بِنَا عَلَى الشَّيْخِ نَنْظُرُ كَيْفَ حَالُهُ، فَإِذَا إِبِلٌ عَظِيمَةٌ، وَأَنْشَدَهُ الشَّيْخُ  
 شِعْرًا قَالَ فِيهِ:

تَوَسَّمْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً ■ ■ ■ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
 وَإِلَّا فَمِنْ آلِ الْمَرَارِ فَإِنَّهُمْ ■ ■ ■ مُلُوكُ مُلُوكٍ مِنْ مُلُوكِ خَضَارِمٍ  
 فَكُمْتُ إِلَى عَنزِ بَقِيَّةٍ أَعْتَرِ ■ ■ ■ فَادْبَحَهَا فِعْلُ امْرِئٍ غَيْرِ عَاتِمٍ <sup>(١)</sup>

(١) عَاتِمٌ: أَيُّ غَيْرِ مُطْبَى.



فَعَوَّضَنِي مِنْهَا غِنَايَ وَلَمْ تَكُنْ ■■■ تَسَاوِي عِنَاقِي <sup>(١)</sup> غَيْرَ خَمْسِ دَرَاهِمِ  
 فَقُلْتُ لِعَرْسِي - فِي الْخَلَا - وَصَبِيَّتِي ■■■ أَلْحَقْ هَذَا أَوْ هُوَ أَضْفَاكُ حَالِمِ  
 فَقَالُوا جَمِيعًا: لَا بَلِ الْحَقُّ هَذَا ■■■ يَخْبِ بِهَا الرُّكْبَانُ وَسَطَ الْمَوَاسِمِ  
 بِخَمْسِ مِائِينَ مِنْ دَنَانِيرَ عَوَّضْتُ ■■■ مِنَ الْعَنْزَمَا جَاءَتْ بِهَا كَفُّ حَاتِمِ <sup>(٢)</sup>

فَلَمَّا ارْتَحَلَ عَبْدُ اللَّهِ سَارَ الشَّيْخُ فِي الْعَرَبِ بِالَّذِي صَنَعَ عَبْدُ اللَّهِ، وَبَلَغَ  
 ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ بَيْضَةٍ خَرَجَ، وَمِنْ أَيِّ عُشٍّ دَرَجَ؟  
 وَهَذَا لِعَمْرِي مِنْ فَعَلَاتِهِ <sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ:

أُولَئِكَ قَوْمٌ، إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا ■■■ وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا، وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا  
 وَإِنْ كَانَتْ النِّعَمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا ■■■ وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَرُوهَا، وَلَا كَدُّوا <sup>(٤)</sup>

وَعَلَى الْمُضِيفِ عَدَمُ احْتِقَارِ الْقَلِيلِ، بَلْ يَجُودُ بِالْمَوْجُودِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَقَدْ  
 نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ احْتِقَارِ الْقَلِيلِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَقُولُ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا  
 تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسِينَ شَاةً» <sup>(٥)</sup>.

وَعَنْهُ - أَيْضًا - قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، يَنْقَلِبُ <sup>(٦)</sup> بِنَا،

(٢) حَاتِم: أَيُّ حَاتِمِ الطَّائِي.

(٤) «الْآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (١/٦٠٤).

(٦) يَنْقَلِبُ: يَرْجِعُ.

(١) الْعِنَاقُ: الْعَنْزُ الصَّغِيرَةُ.

(٣) «الْبَابُ الْآدَابُ» (ص ٩٩).

(٥) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.



فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لِيُخْرِجَ الْعُكَّةَ<sup>(١)</sup>، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشْقُهَا،  
فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

وَمَا أَبَالِي إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي ■■■ مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي  
جُهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاكَ مُصْطَبِرًا ■■■ وَمُكْثِرٌ مِنْ غِنَى سَيِّانٍ فِي الْجُودِ<sup>(٣)</sup>

قَالَ ابْنُ حِبَّانٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ ابْتِغَاءُ الْأَضْيَافِ، وَبَذْلُ الْكَسْرِ؛ لِأَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ إِذَا لَمْ  
تُصَنِّ بِالْقِيَامِ فِي حُقُوقِهِمَا، تَرْجِعُ مِنْ حَيْثُ بَدَأَتْ، ثُمَّ لَا يَنْفَعُ مَنْ زَالَتْ عَنْهُ  
التَّلَهُّفُ عَلَيْهَا، وَلَا الْإِفْكَارُ فِي الظَّفَرِ بِهَا، وَإِذَا رَأَى حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، اسْتَجَلَبَ  
النَّمَاءَ وَالزِّيَادَةَ، وَاسْتَذْخَرَ الْأَجَرَ فِي الْقِيَامَةِ، وَاسْتَقْصَرَ إِطْعَامَ الطَّعَامِ.

وَعَنْصَرُ قَرَى الضَّيْفِ هُوَ تَرْكُ اسْتِحْقَاقِ الْقَلِيلِ، وَتَقْدِيمُ مَا حَضَرَ لِلْأَضْيَافِ؛ لِأَنَّ  
مَنْ حَقَرَ مَنَعَ مِنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ بِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ الْأَدْخَارَ عَنْهُ، وَقَدْ سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ  
- رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا إِكْرَامُ الضَّيْفِ؟ قَالَ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ<sup>(٤)</sup>.

قُلْتُ: انْظُرْ - أَخِي فِي اللَّهِ - إِلَى فَقْهِ هَذَا الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَ إِكْرَامَ الضَّيْفِ  
فِي طَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَطِيبِ الْكَلَامِ، وَقَارَنَ ذَلِكَ بِحَالِ أَهْلِ زَمَانِكَ، فَالضِّيَافَةُ -  
عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ - هِيَ بِتَكْثِيرِ الطَّعَامِ، حَتَّى إِنَّكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْتَنِعُ عَنْ  
الْقَرَى لِعَدَمِ وَجُودِ اللَّحْمِ فِي حَالِ وَجُودِ الضَّيْفِ، وَالْقَاصِدُ لَوَجْهِ اللَّهِ يَجُودُ  
بِالْمَوْجُودِ، وَلَا يَتَكَلَّفُ التَّكَلُّفَ الَّذِي هُوَ فَوْقَ الطَّاقَةِ، وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ

(١) الْعُكَّةُ: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مُسْتَدِيرٌ مُخْتَصٌّ بِالسَّمَنِ وَالْعَسَلِ، وَهُوَ بِالسَّمَنِ أَخْصَصُ، وَالْجَمْعُ عُكَاكٌ، وَعِكَاكٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٠٨) وَ (٥٤٣٢).

(٣) «عَيُونُ الْأَخْبَارِ» (٣/ ١٨٠).

(٤) «دُرُوضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٢٦١)، بِتَصْرِيفٍ.

بِهِ، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْأَصْيَافُ - : ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (سورة الذاريات: ٢٦).

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَمَا لَبَثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (سورة هود: ٦٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةُ؟» قَالَا: «الْجُوعُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ». قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: «ذَهَبَ يَسْتَعَذِبُ» <sup>(١)</sup> لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَصْيَافًا مِنِّي». قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ <sup>(٢)</sup>، فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: «كُلُوا مِنْ هَذِهِ» وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ <sup>(٣)</sup>، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ» <sup>(٤)</sup>. فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا <sup>(٥)</sup>.

وَمِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ أَنْ تَفْرَحَ بِمَقْدَمِ ضَيْفِكَ، وَتُظْهِرَ لَهُ الْبَشَرَ، وَأَنْ تُلَاطِفَهُ بِحُسْنِ الْحَدِيثِ، وَتَشْكُرَهُ عَلَى تَفْضِيلِهِ وَمَجِيئِهِ، وَتَقُومَ بِخِدْمَتِهِ، وَتُظْهِرَ لَهُ الْغَنَى وَبِشَاشَةَ الْوَجْهِ، فَقَدْ قِيلَ: الْبِشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى. وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَّاتٍ فَقَالَ:

(١) يَسْتَعَذِبُ: يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ، وَهُوَ الطَّيِّبُ.

(٢) الْعِدْقُ - بِالْكَسْرِ - : هُوَ الْعُصْنُ مِنَ النَّخْلِ، وَهُوَ مِنَ التَّمْرِ بِمَنْزِلَةِ الْعُنُقُودِ مِنَ الْعِنَبِ.

(٣) الْمُدِيَّةُ - بَضْمُ الْمِيمِ، وَقَدْ تُكْسَرُ - : السَّكِينُ، وَالْجَمْعُ مُدَيَّاتٌ، وَمُدَى.

(٤) الْحُلُوبُ: ذَاتُ اللَّبَنِ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٣٨).

إذا المرءُ وافى <sup>(١)</sup> منزلاً منك قاصداً

قِرَاكَ، وأرْمَتْهُ <sup>(٢)</sup> لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ

فَكُنْ بِاسْمِ مَا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً

وَقُلْ: مَرْحَباً أَهْلاً وَيَوْمَ مُبَارَكُ

وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى

عَجُولاً، وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ

فَقَدْ قِيلَ بَيْتُ سَالِفٍ مُتَقَدِّمُ

- تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ، وَعَمَرُو، وَمَالِكُ -:

بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى

فَكَيْفَ يَمُنُّ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَا حَكُ؟ <sup>(٣)</sup>

وَقَالَ آخَرُ:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَرَنِي ■■■ شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ <sup>(٤)</sup>

مَا زِلْتُ بِالتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتَنِي <sup>(٥)</sup> ■■■ ضَيْفًا لَهُمْ، وَالضُّيُوفُ رَبُّ الْمَنْزِلِ

أَخَذَهَا مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ:

يَا ضَيْفُنَا، لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدْتَنَا ■■■ نَحْنُ الضُّيُوفُ وَأَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ <sup>(٦)</sup>

وَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ابْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ <sup>(٧)</sup> لِمَنْ زَارَهُ ■■■ نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ

وَكُلُّ مَا فِيهِ حَالٌ لَهُ ■■■ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ <sup>(٨)</sup>

(٢) أَرْمَتْهُ: أَلْقَتْهُ.

(٤) النَّزْلُ: النَّازِلِينَ، جَمْعُ نَازِلٍ.

(٦) «بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ» (١٦/١).

(٨) «بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ» (١٦/١).

(١) وَافَى: أَتَى.

(٣) «بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ» (١٥/١).

(٥) خِلْتَنِي: حَسِبْتَنِي.

(٧) رَحْبٌ - بِالْفَتْحِ - : وَاسِعٌ.



وَقَالَ دُعَيْلُ الْخَزَاعِي:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ■■■ وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ<sup>(١)</sup>

قَالَ ابْنُ حَبَّانٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«وَمِنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ طِيبُ الْكَلَامِ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالْخِدْمَةُ بِالنَّفْسِ فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ خَدَمَ أَضْيَافَهُ، كَمَا لَا يَعِزُّ مَنْ اسْتَخْدَمَهُمْ، أَوْ طَلَبَ لِقَاءَهُ أَجْرًا»<sup>(٢)</sup>.

وَكَرَامُ النَّاسِ وَسَادَتُهُمْ يَقْضُونَ هَذَا الْحَقَّ، فَيَقْبَلُونَ عَلَى ضِيُوفِهِمْ، وَيَرْفَعُونَ مِنْ قَدْرِهِمْ، وَيُعْلُونَ مِنْ مَنَزَلَتِهِمْ.

وَالْتَقَرُّبُ، وَتَجَمُّلُ الْحَدِيثِ، وَالْبَسْطُ، وَالتَّأْنِيسُ، وَالتَّلَقِّيُّ بِالْبَشْرِ - مِنْ حُقُوقِ الْقَرَى، وَمِنْ تَمَامِ الْإِكْرَامِ.

وَقَالُوا: «مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِطَالَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَأْكَلَةِ»<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَأَلْتُ عِيْنَةَ بْنَ وَهْبٍ الدَّارِمِيَّ عَنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ: أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ عَاصِمِ بْنِ وَائِلٍ:

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ نَزْوِهِ ■■■ وَنُشِيعُهُ بِالنِّبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ

وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي:

سَلِي الْجَائِعَ الْغَرْتَانِ<sup>(٥)</sup> - يَا أُمَّ مُنْذِرٍ - ■■■ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي<sup>(٦)</sup>

هَلْ ابْسُطْ لَهُ وَجْهِي، إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى ■■■ وَأَبْدُلْ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي<sup>(٧)</sup>

(٢) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٨٣).

(١) «روضة العقلاء» (ص ٢٦١).

(٣) الْمَأْكَلَةُ - بفتح الكاف وضمها - : الموضع الذي منه تأكل.

(٤) «البيان والتبيين» (١/ ١٠).

(٦) الْمَجْزَرُ - بوزن المجلس - : مكان جزر الإبل وذبحها.

(٧) «شرح حماسة أبي تمام» (٢/ ٩٧٦).



وقال مسكين الدارمي:

لحافي<sup>(١)</sup> لحاف الضيف، والبيت بيته ■■■ ولم يلهنني عنه الغزال المقنع<sup>(٢)</sup>  
أحدثه، إن الحديث من القرى ■■■ وتعلم نفسي أنه سوف يهجع<sup>(٣)</sup> (٤)

وقال آخر:

وإني لطلق الوجه للمبتغي القرى ■■■ وإن فنائي<sup>(٥)</sup> للقرى لرحيب<sup>(٦)</sup>  
أضاحك ضيفي عند إنزال رحله ■■■ فيخصب عندي، والمحل جديب  
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ■■■ ولكنما وجه الكريم خصيب<sup>(٧)</sup>

وهنا فائدة مهمة، وهي إذا كان معك - أخي المضيف أكثر من ضيف،  
فأقبل على كل واحد منهم بوجهك، ولا تخص أحداً دون الآخر بحديثك، أو  
شيء من ضيافتك، وحاول أن تلمس رضى كل واحد منهم، فقد كان رسول  
الله - ﷺ - أكرم الناس لضيوفه، فقد كان يعطي كل واحد من ضيوفه نصيبه،  
ولا يحسب ضيفه أن أحداً أكرم عليه منه<sup>(٨)</sup>.

(١) اللحاف - بالكسر - ما يلتحف ويتغطى به، والجمع الحففة، ولحف.

(٢) يريد بالغزال مقنع: امرأته.

(٣) يهجع: ينام ليلاً.

(٤) «عيون الأخبار» (٣/٢٣٨). ويروى البيت: طعامي طعام الضيف، والرحل رحله... قاله ابن عبد

البر، قالوا: وهو أحسن شيء في الضيافة. انظر «بهجة المجالس» (١/٢٩٦).

(٥) الضياء: المتسع أمام الدار، والجمع أفنية.

(٦) رحيب: واسع.

(٧) «روضة العقلاء» (ص ٢٦١ - ٢٦٢).

(٨) انظر «دلائل النبوة» (ص ٥٥٥).

قال الشاعر:

أَتَاكَ رَسُولُ الْمَكْرُمَاتِ مُسْلِمًا      يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ أَعْظَمَ مُتَّقِي  
فَأَقْبَلَ يَسْعَى فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى      إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى، أَمْ إِلَى الشَّمْسِ يَرْتَقِي  
وَأَعْلَمُ - أَخِي فِي اللَّهِ - أَنَّ الْأَكْفَهْرَارَ وَالْعُبُوسَ، وَكَثْرَةَ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ  
لِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَنَهْرَ الْأَطْفَالِ أَوْ الْخَادِمِ بِحَضْرَةِ الضُّيُوفِ - دَلِيلُ الشُّحِّ، وَأَمَارَةُ  
الْبُخْلِ، وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِجَابَةِ دَعْوَةِ بَخِيلٍ، كَمَا قِيلَ:  
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ      يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ<sup>(١)</sup> عَلَى عَمْدٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِي ذَمِّ الْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الضَّيْفِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:  
وَإِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُ      فَارْفَعْ يَمِينَكَ عَنْ طَعَامِهِ  
فَلَا مَوْتَ أَهْوَنُ عِنْدَهُ      مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّيْقَامِ  
سَيِّئًا كَسْرُ رَغِيْفِهِ      أَوْ كَسْرُ شَيْءٍ مِنْ عِظَامِهِ  
وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ      فَاحْفَظْ رَغِيْفَكَ مِنْ غُلَامِهِ

(١) الْأَكِيلُ: الَّذِي يُؤَاكِلُهُ.

(٢) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢١).

## أَدَبُ الضِّيَافَةِ



آدابُ المضيف:

وَلِلضِّيَافَةِ أَدَبٌ، فَمِنْ ذَلِكَ آدَابُ الْمضيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ  
نُفُوسُهُمْ، وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْمضيفِ أَنْ يَرَاعِيَ خَوَاطِرَ  
أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أُمَكَّنَ، وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ، وَلَا يَنْغْصُ عَيْشَهُمْ بِمَا  
يَكْرَهُونَ <sup>(١)</sup>، وَلَا يَعْبُسُ بِوَجْهِهِ، وَلَا يُظْهِرُ نَكْداً، وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا، وَلَا يُؤَبِّخُهُ  
بِحَضْرَتِهِمْ، فَذَلِكَ إِمَارَةُ الشَّحِّ وَدَلِيلُ الْبُخْلِ، بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورُ  
بِكُلِّ مَا أُمَكَّنَ.

وَعَلَيْهِ - أَيْضًا - أَلَّا يَتَأَخَّرَ عَنْ أَضيَافِهِ وَلَا يَمْنَعَهُ عَنْ ذَلِكَ قِلَّةُ مَا فِي يَدِهِ،  
بَلْ يُحْضِرُ إِلَيْهِمْ مَا وَجَدَ.

وَلَا يَنْتَظِرُ الْغَائِبَ حَتَّى لَا يُثْقِلَ عَلَى الضَّيْفِ، وَلَا سِيَّمًا إِذَا كَانَ بَعْدَ تَقْدِيمِ  
الطَّعَامِ، فَقَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تَضْنِي: سِرَاجٌ لَا يَضِيءُ، وَرَسُولٌ بَطِيءٌ، وَمَائِدَةٌ يَنْتَظَرُ  
لَهَا مَنْ يَجِيءُ.

(١) مِنْ لَطِيفِ مَا يُذَكِّرُ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ دَعَا جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانِهِ، وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ فَكَانَ الْوَلَدُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ  
يَخْدُمُ الْقَوْمَ، وَيَأْتِسُونَ بِهِ، فَفِي آخِرِ النَّهَارِ صَعَدَ إِلَى السَّطْحِ، فَسَقَطَ فَمَاتَ لَوَقْتِهِ، فَحَلَفَ أَبُوهُ عَلَى  
أُمِّهِ أَنْ لَا تَصْرَخَ وَلَا تَبْكِي إِلَى أَنْ تُصْبِحَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ سَأَلَهُ أَضيَافُهُ عَنْ وَلَدِهِ فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِحَالِهِ،  
فَلَمَّا أَصْبَحُوا، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ، قَالَ لَهُمْ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُصَلُّوا عَلَى وَلَدِي فَإِنَّهُ بِالْأَمْسِ سَقَطَ مِنْ  
عَلَى السَّطْحِ فَمَاتَ لِسَاعَتِهِ، فَقَالُوا لَهُ: لِمَ لَا أَخْبَرْتَنَا حِينَ سَأَلْنَاكَ، فَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَنْغْصُ  
عَلَى أَضيَافِهِ فِي التَّذَاهُمِ وَلَا يُكَدِّرُ عَلَيْهِمْ فِي عَيْشِهِمْ.

وَأَمَّا آدَابُ الضَّيْفِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُوَافَقَ الْمُضِيفَ وَلَا يُعَاكِسَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْأَلَ  
صَاحِبَ الْمَنْزِلِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ دَارِهِ سِوَى الْقِبْلَةِ وَمَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ لَا  
يُخَالِفَهُ إِذَا أَجْلَسَهُ فِي مَكَانٍ أَكْرَمَهُ بِهِ، وَإِذَا رَأَى صَاحِبَ الْمَنْزِلِ قَدْ تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ  
فَلَا يَمْنَعُهُ مِنْهَا.

لا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ أَنْ يَعْتَرِضَ      ■ ■ ■      إِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَطَبَعَ لَطِيفٌ  
فَالْأَمْرُ لِلْإِنْسَانِ فِي بَيْتِهِ      ■ ■ ■      إِنْ شَاءَ أَنْ يُنْصِفَ أَوْ يَحْجِيفَ

يُعَابُ عَلَى الضَّيْفِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْأَدَبِ، أَقْتَصِرُ مِنْهَا عَلَى مَا يَأْتِي:

■ فَمِنْهَا: الْأَكْلُ الْمُفْرَطُ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ وَلَدَهُ الصَّغِيرَ.

وَمِنْهَا: قُبْحُ المَوَاكَلَةِ، وَقَدْ عَدَّ فِيهَا عَيُوبٌ كَثِيرَةٌ:

■ فَمِنْهَا: المتشاور، وهو الذي يستحکم جُوعه قَبْلَ تَقْدِيمِ الطَّعَامِ، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا مُتَطَلِّعًا إِلَى نَاحِيَةِ الْبَابِ يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ مَا دَخَلَ هُوَ الطَّعَامُ.

■ وَمِنْهَا: الرِّشَافُ، وهو الَّذِي يَجْعَلُ اللُّقْمَةَ فِي فِيهِ وَيَرْتَشِفُهَا، فَيُسْمَعُ لَهَا حِينَ الْبُلْعِ حَسٌّ لَا يَخْفَى عَلَى جُلَسَائِهِ وَهُوَ يَلْتَذُّ بِذَلِكَ.

وَمِنْهَا: النَّفَاضُ ، وهو الَّذِي يجعل اللُّقْمَةَ فِيهِ وَيَنْفُضُ أَصَابِعُهُ فِي الطَّعَامِ .

وَمِنْهَا: الْقَسَامُ، وَهُوَ الَّذِي يَأْكُلُ نِصْفَ اللَّقْمَةِ وَيُعِيدُ بَاقِيَهَا فِي الطَّعَامِ.



■ ومنها: المرنخ، وهو الذي يرنخ اللقمة في المرق فلا يبلع الأولى حَتَّى تَلِين الثانية.

■ ومنها: المرشش، وهو الذي يفسخ الدجاجة بِغَيْرِ خَبْرَةٍ فِيرُشُّ عَلَى مَوَاكِلِهِ.

■ ومنها: المنشف، وهو الذي ينشف يديه بالخبز ونحوه ثُمَّ يَأْكُلُهَا.

■ ومنها: الصَّبَّاغ، وهو الذي ينقل الطَّعَامَ من زبدية إلى أُخْرَى لِيُرِدَّهُ.

■ ومنها: النَّفَّاخ، وهو الذي يَنْفُخُ فِي الطَّعَامِ.

■ ومنها: المهندس، وهو الذي يَقُولُ لِمَنْ يَضَعُ الطَّعَامَ: ضِعْ هَذَا هُنَا وَهَذَا هُنَا، حَتَّى يَأْتِيَ قَدَامَهُ مَا يُحِبُّ.

■ ومن الأضياف: من لا يُلْذُّ لَهُ حَدِيثٌ إِلَّا وَقْتَ غَسْلِ يَدَيْهِ، فَيَبْقَى الْغُلَامُ وَأَقْفًا وَالْإِبْرِيْقُ فِي يَدِهِ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ.

■ ومنهم: من يدخل الدَّارَ فَيَسْتَدِي بِالْهَنْدَسَةِ أَوَّلًا، فَيَقُولُ: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَابَ الْمَجْلِسِ مِنْ هَاهُنَا وَالْإِيوَانُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا.



(١) انظر «بهجة المجالس» لأبي عبد الله الأثيري (ص ١٩، ٢٠).

## المُرُوءَةُ



**المُرُوءَةُ:** هي جَمَاعُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَدَابِ، وَكَمَالِ الرُّجُولَةِ، فَهِيَ تَبْعَتْ عَلَى إِجْلَالِ صَاحِبِهَا، وَامْتِلَاءِ الْأَعْيُنِ بِمَهَابَتِهِ، وَمِنْ الْحِكْمِ السَّائِرَةِ: «ذُو الْمُرُوءَةِ يُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ مُعْدِمًا»<sup>(١)</sup>، كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا، كَالْكَلْبِ يُهَانُ وَإِنْ طَوَّقَ<sup>(٣)</sup> وَحُلِّيَ بِالذَّهَبِ<sup>(٤)</sup>.  
وَحَقِيقَةُ الْمُرُوءَةِ: هِيَ قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ، مَبْدَأٌ لِمُصْدُورِ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ عَنْهَا، الْمُسْتَبِيعَةِ لِلْمَنْدَحِ شَرْعًا، وَعَقْلًا، وَعُرْفًا<sup>(٥)</sup>.

قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: «قَدْ اسْتَنْبَطَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ الْمُرُوءَةُ؟».

فَقَالَ: «فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾».

(سورة الأعراف: ١٩٩).

ففيه الْمُرُوءَةُ، وَحُسْنُ الْأَدَابِ، وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ.

فَجَمَعَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوَ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّقَّةَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُطِيعِينَ.

(١) مُعْدِمًا: فَقِيرًا، يُقَالُ: أَعْدَمَ الرَّجُلُ: أَيِ افْتَقَرَ.

(٢) رَابِضًا: مُقِيمًا وَسَاكِنًا.

(٣) طَوَّقَ: أَلْبَسَ الطَّوْقَ، وَهُوَ الْقِلَادَةُ.

(٤) «الْمُرُوءَةُ وَخَوَارِمُهَا» (ص ٤١).

(٥) «التَّعْرِيفَات» (ص ١١١).

وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضُّ الْأَبْصَارِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْقَرَارِ.

وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْحِصْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّزَرُّعُ عَنْ مُنَازَلَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهْلَةِ وَالْأَغْيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْمَرْوَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا أَمْرٌ ■■■ وَرِثَ الْمَرْوَةَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا  
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالدَّنَاءَةِ وَالْخَنَا<sup>(٢)</sup> ■■■ وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ الْعُلَى فَأَطَاعَهَا  
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْأُمُورِ عَظِيمَةً ■■■ يَبْنِي الْكَرِيمُ بِهَا الْمَرْوَةَ بَاعَهَا

وَالْمَرْوَةُ لَهَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَحَدُّهَا كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ: «هِيَ اسْتِعْمَالُ مَا يُجَمَّلُ الْعَبْدَ وَيَزِينُهُ، وَتَرْكُ مَا يُدْنَسُهُ وَيَشِينُهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَقِيلَ: «الْمَرْوَةُ: اسْتِعْمَالُ كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَاجْتِنَابُ كُلِّ خُلُقٍ قَبِيحٍ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَحَقِيقَةُ الْمَرْوَةِ: تَجَنُّبُ لِلدُّنَايَا وَالرَّذَائِلِ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ.

فَمَرْوَةُ اللُّسَانِ: حَلَاوَتُهُ، وَطَيِّبُهُ، وَلِينُهُ، وَاجْتِنَاءُ الثُّمَارِ مِنْهُ بِسَهُولَةٍ وَيُسْرٍ.

وَمَرْوَةُ الْخُلُقِ: سَعَتُهُ، وَبَسْطُهُ لِلْحَبِيبِ وَالْبَغِيضِ.

(٢) الْخَنَا: الْفُحْشُ.

(١) «عَيْنُ الْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ» (ص ١٣٢ - ١٣٣).

(٣) وَ (٤) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/ ٦٩٧).

وَمَرْوَةٌ الْمَالِ: الإِصَابَةُ بِبَذْلِهِ مَوَاقِعُهُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا، وَعُرْفًا، وَشَرْعًا.

وَمَرْوَةٌ الْجَاهِ: بَذْلُهُ لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ.

وَمَرْوَةٌ الْإِحْسَانِ: تَعْجِيلُهُ، وَتَيْسِيرُهُ، وَتَوْفِيرُهُ، وَعَدَمُ رُؤْيَتِهِ حَالَهُ وَقُوعِهِ، وَنِسْيَانُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ، فَهَذِهِ مَرْوَةٌ الْبَذْلِ.

أَمَّا مَرْوَةُ التَّرَكِّ: فَتَرْكُ الْخِصَامِ، وَالْمُعَاتَبَةِ، وَالْمُطَالَبَةِ، وَالْمُمَارَاةِ، وَالْإِغْضَاءِ عَنْ عَيْبِ مَا يَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّكَ، وَتَرْكُ الْاسْتِقْصَاءِ فِي طَلْبِهِ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَإِشْعَارُهُمْ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَثْرَةً، وَالتَّوْقِيرُ لِلْكَبِيرِ، وَحِفْظُ حُرْمَةِ النَّظِيرِ، وَرِعَايَةُ آدَبِ الصَّغِيرِ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى - مَرْوَةُ الْمَرْءِ مَعَ نَفْسِهِ: وَهِيَ أَنْ يَحْمِلَهَا قَسْرًا عَلَى مَا يُجَمِّلُ وَيَزِينُ، وَتَرْكُ مَا يُدْنِسُ وَيَشِينُ؛ لِيَصِيرَ لَهَا مَلَكَةً فِي الْعِلَاقَةِ، فَمَنْ أَرَادَ شَيْئًا فِي سِرِّهِ وَخَلْوَتِهِ، مَلَكَةً فِي جَهْرِهِ وَعِلَاقَتِهِ، فَلَا يَكْشِفُ عَوْرَتَهُ فِي الْخَلْوَةِ، وَلَا يَتَجَشَّأُ بِصَوْتِ مُزَعِجٍ مَا وَجَدَ إِلَى خِلَافِهِ سَبِيلًا، وَلَا يَجْشَعُ وَبَيْنَهُمْ عِنْدَ أَكْلِهِ وَحْدَهُ.

وبالجملة: فَلَا يَفْعَلُ خَالِيًا مَا يَسْتَحْيِي مِنْ فِعْلِهِ فِي الْمَلَأِ، إِلَّا مَا لَا يَحْظُرُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَلْوَةِ: كَالْجِمَاعِ، وَالتَّخَلِّي، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ - الْمَرْوَةُ مَعَ الْخَلْقِ: بِأَنْ يَسْتَعْمَلَ مَعَهُمْ شُرُوطَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ، وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ، وَلَا يُظْهِرَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ هُوَ مِنْ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلِيَتَّخِذَ النَّاسَ مِرَاةً لِنَفْسِهِ، فَكُلُّ مَا كَرِهَهُ وَنَفَرَ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ خُلُقٍ - فَلْيَجْتَنِبْهُ، وَمَا أَحَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ فَلْيَفْعَلْهُ.



وَصَاحِبُ هَذِهِ الْبَصِيرَةِ يَنْتَفِعُ بِكُلِّ مَنْ خَالَطَهُ وَصَاحِبُهُ مِنْ كَامِلٍ وَنَاقِصٍ،  
وَسَيِّئِ الْخُلُقِ وَحَسَنِهِ، وَعَدِيمِ الْمُرُوءَةِ وَغَزِيرِهَا.

**الدرَجَةُ الثَّالِثَةُ - المُرُوءَةُ مَعَ الْحَقِّ -** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالِاسْتِحْيَاءِ مِنْ نَظَرِهِ  
إِلَيْكَ، وَأَطْلَاعِهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَنَفَسٍ، وَإِصْلَاحِ عُيُوبِ نَفْسِكَ جَهْدَ  
الْإِمْكَانِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ اشْتَرَاهَا مِنْكَ، وَأَنْتَ سَاعٍ فِي تَسْلِيمِ الْمَبِيعِ، وَتَقَاضِيِ الثَّمَنِ،  
وَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ تَسْلِيمُهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَقَاضِيِ الثَّمَنِ كَامِلًا، أَوْ  
رُؤْيَا مِنْهُ فِي هَذَا الْإِصْلَاحِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ لَا أَنْتَ، فَيُغْنِيكَ الْحَيَاءُ مِنْهُ عَنْ  
رُسُومِ<sup>(١)</sup> الطَّبِيعَةِ، وَالِاشْتِغَالِ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِ نَفْسِكَ عَنِ التَّفَاتِكِ إِلَى عَيْبِ  
غَيْرِكَ، وَشُهُودِ الْحَقِيقَةِ عَنْ رُؤْيَا فِعَالِكَ وَصَلَاحِكَ<sup>(٢)</sup>.

**قَالَ الشَّاعِرُ:**

وَمِنَ الْمُرُوءَةِ لِلْفُتَى ■■■ - مَا عَاشَ - دَارُ فَاخِرَةٍ  
فَاقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بِهَا ■■■ وَاعْمَلْ لِدَارِ الْآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>

■ **ثَلَاثُ رَسَائِلَ لِحِفْظِ الْمُرُوءَةِ:**

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - ثَلَاثَ رَسَائِلَ لِحِفْظِ الْمُرُوءَةِ، وَهِيَ:

**الأولى - صَوْنُ النَّفْسِ:** وَهُوَ حِفْظُهَا وَحِمَايَتُهَا عَمَّا يَشِينُهَا، وَيَعْيِبُهَا وَيُزْرِئُ بِهَا  
عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَلَائِكَتِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَائِرِ خَلْقِهِ، فَإِنَّ مَنْ كَرُمَتْ  
عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَكَبُرَتْ عِنْدَهُ، صَانَتَهَا وَحَمَاهَا، وَزَكَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَوَضَعَهَا فِي أَعْلَى

(١) رُسُومٌ: آثَارُ، وَالْمُرْدَ رَسَمٌ - بِالْفَتْحِ -.

(٢) «تَهْذِيبُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/٦٩٧ - ٦٩٩).

(٣) «عَيْنُ الْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ» (ص ١٣٥).

الْمَحَالِّ، وَزَاخَمَ بِهَا أَهْلَ الْعَزَائِمِ وَالْكَمَالَاتِ، وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ، أَلْقَاهَا فِي الْبَرْدَائِلِ، وَحَلَّ زِمَامَهَا وَأَرْخَاهُ، وَدَسَّاهَا وَلَمْ يَصْنُهَا عَنْ قَبِيحٍ، فَأَقْلُ مَا فِي تَجَنُّبِ الْقَبَائِحِ صَوْنُ النَّفْسِ.

**وثانيها - توفير الحسنات:** وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما - توفير زَمَانِهِ عَلَى اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ: فَإِذَا اشْتَغَلَ بِالْقَبَائِحِ نَقَصَتْ عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ الَّتِي كَانَ مُسْتَعِدًّا لِتَحْصِيلِهَا.

والثاني - توفير الحسنات المفعولة عَنْ نُقْصَانِهَا بِمُوَازَنَةِ السَّيِّئَاتِ وَحُبُوطِهَا: وَقَدْ تَسْتَغْرِقُهَا بِالْكُلِّيَّةِ أَوْ تُنْقِصُهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ تُضْعِفَهَا قَطْعًا؛ فَتَجَنُّبُهَا يُوقِّرُ دِيوَانَ الْحَسَنَاتِ، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَهُ مَالٌ حَاصِلٌ، فَإِذَا اسْتَدَانَ عَلَيْهِ، فِيمَا أَنْ يَسْتَغْرِقَهُ الدَّيْنُ، أَوْ يَكْثُرُهُ، أَوْ يُنْقِصُهُ، فَهَكَذَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ سَوَاءٌ.

**وثالثها - صيانة الإيمان:** وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ حَكَاهُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَإِضْعَافُ الْمَعَاصِي لِلْإِيمَانِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالذَّوْقِ وَالْوُجُودِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - إِذَا أَذْنَبَ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءً، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، صَبُلَ قَلْبَهُ، وَإِنْ عَادَ فَأَذْنَبَ، نَكَتَ فِيهِ نُكْتَةً أُخْرَى، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> (سورة المطففين: ١٤).

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) عن أبي هريرة، وصححه ابن حبان (٢٤٤٨)، والحاكم (٥١٧/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٦٧٠).

فَالْقَبَائِحُ تُسَوِّدُ الْقَلْبَ، وَتُطْفِئُ نُورَهُ، وَالْإِيمَانُ هُوَ نُورُ الْقَلْبِ، وَالْقَبَائِحُ تَذْهَبُ بِهِ، أَوْ تُقَلِّلُهُ قَطْعاً، فَالْحَسَنَاتُ تَزِيدُ نُورَ الْقَلْبِ، وَالسَّيِّئَاتُ تُطْفِئُ نُورَ الْقَلْبِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ كَسْبَ الْقُلُوبِ سَبَبٌ لِلرَّانِ الَّذِي يَعْلُوهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أُرْكَسَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا كَسَبُوا، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أُرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾

(سورة النساء: ٨٨).

وَأَخْبَرَ أَنَّ نَقْضَ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى عِبَادِهِ سَبَبٌ لِتَقْسِيَةِ الْقَلْبِ، فَقَالَ: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (سورة المائدة: ١٣).

فَجَعَلَ ذَنْبَ النِّقْضِ مُوجِباً لِهَذِهِ الْآثَارِ: مِنْ تَقْسِيَةِ الْقَلْبِ، وَاللَّعْنَةِ، وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ، وَنِسْيَانِ الْعِلْمِ.

فَالْمَعَاصِي لِلْإِيمَانِ كَالْمَرَضِ، وَالْحُمَى لِلْقُوَّةِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ السَّلَفُ: «الْمَعَاصِي بَرِيدٌ»<sup>(١)</sup> الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْحُمَى بَرِيدُ الْمَوْتِ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ شَاعِرُ النَّيْلِ مُحَمَّدٌ حَافِظُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ:

إِنِّي لَتُطْرِئُنِي الْخِلَالَ<sup>(٣)</sup> كَرِيمَةً ■■■ طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوِيَّةٍ<sup>(٤)</sup> وَتَلَاقٍ  
وَيَهْزُنِي ذِكْرُ الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى ■■■ بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةٌ<sup>(٥)</sup> الْمُشْتَقِ<sup>(٦)</sup>

(١) بريد: رسول.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (١/ ٤٦٤ - ٤٦٦)، و«المروءة وخوارمها» (ص ٢٩٩).

(٣) الْخِلَالَ: جَمْعُ خَلَّةٍ، وَهِيَ الْخِصْلَةُ وَالصِّفَةُ.

(٤) أَوِيَّة: رَجْعَةٌ.

(٥) الْهِزَّةُ - بِالْكَسْرِ -: النَّشَاطُ وَالْإِرْتِيَاحُ.

(٦) «جواهر الأدب» (ص ٤٩٤).



## ٥٠ الصبر



الصَّبْرُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ<sup>(١)</sup>، وَرَفِيقُ الدَّرَبِ، وَالطَّرِيقُ إِلَى الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ<sup>(٢)</sup>، وَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَا مِنْ خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ إِلَّا وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الصَّبْرِ، فَالصَّبْرُ أَسَاسُ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَبَذَرُ الْخَيْرِ، وَجَمَاعُ الْأَمْرِ.

وَأَصْلُ كَلِمَةِ الصَّبْرِ: هِيَ الْمَنْعُ وَالْحَبْسُ، فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، وَاللِّسَانِ عَنِ التَّشَكِّي، وَالْجَوَارِحِ عَنِ لَطَمِ الْخُدُودِ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ، وَنَحْوِهَا<sup>(٣)</sup>.

**وَحَقِيقَةُ الصَّبْرِ:** خُلُقٌ فَاضِلٌ مِنْ أَخْلَاقِ النَّفْسِ، يُمْتَنِعُ بِهِ مَنْ فَعَلَ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَجْمَلُ، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى النَّفْسِ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ شَأْنِهَا، وَقَوَامُ أَمْرِهَا.

وَحِينَ سُئِلَ الْجَنِيدُ عَنِ الصَّبْرِ قَالَ: «تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُسٍ».

وَقِيلَ: «الصَّبْرُ: هُوَ الْوُقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «عُدَّة الصَّابِرِينَ» (ص ٢٧-٢٨): «الصَّبْرُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، وَبِهِ تَرْتَبِطُ مَقَامَاتُ الدِّينِ، فَمَا مِنْ خُلُقٍ فَاضِلٍ إِلَّا يَمُرُّ بِقَنْطَرَةٍ مِنَ الصَّبْرِ، وَإِنْ تَحَوَّلَ إِلَى اسْمٍ آخَرَ، فَإِنْ كَانَ الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةٍ فَرَجَ مُحَرَّمَةٍ سُمِّيَ عَفَّةً، وَإِنْ كَانَ عَنْ فَضُولٍ عَشِقَ سُمِّيَ زُهْدًا، وَإِنْ كَانَ عَنْ دَوَاعِي غَضَبٍ سُمِّيَ حِلْمًا، وَإِنْ كَانَ صَبْرًا عَنْ دَوَاعِي الْفِرَارِ وَالْهَرَبِ سُمِّيَ شَجَاعَةً، وَإِنْ كَانَ عَنْ دَوَاعِي الْإِنْتِقَامِ سُمِّيَ عَفْوًا، وَإِنْ كَانَ عَنْ إِجَابَةِ الْإِمْسَاكِ وَالْبُخْلِ سُمِّيَ جُودًا... وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَخْلَاقِ، فَلَهُ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ وَتَرْكٍ اسْمٌ يَخْصُهُ بِحَسَبِ مَتَعَلِّقِهِ، وَالْإِسْمُ الْجَامِعُ لَذَلِكَ كُلُّهُ (الصَّبْرُ)، فَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ خُلِقَ!، وَمَا أَوْسَعَ مَعْنَاهُ، وَأَعْظَمَ حَقِيقَتُهُ!».

(٢) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - أَيْضًا - فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٢/ ١٥٤): «سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ - تَعَالَى -: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (سُورَةُ السَّجْدَةِ: ٢٤).

(٤) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص ٢٩).

(٣) «عُدَّة الصَّابِرِينَ» (ص ٢٧).



وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الصَّبْرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي نَيْفٍ<sup>(١)</sup> وَتَسْعِينَ مَوْطِنًا تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِهِ<sup>(٢)</sup>، وَأَضَافَ أَكْثَرَ الدَّرَجَاتِ وَالْخِирَاتِ إِلَى الصَّبْرِ، وَجَعَلَهَا ثَمَرَةً لَهُ، وَجَمَعَ لِلصَّابِرِينَ بَيْنَ أُمُورٍ لَمْ يَجْمَعَهَا لِغَيْرِهِمْ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> (سورة البقرة: ١٥٧).

وَقَرَّنَهُ بِالصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>(٤)</sup> (سورة البقرة: ٤٥).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> (سورة البقرة: ١٥٣).

وَبَشَّرَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - بِقَوْلِهِ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ<sup>(٦)</sup>، وَلَا وَصَبٍ<sup>(٧)</sup>، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يَشَاكُهَا. إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»<sup>(٨)</sup>.  
وَالْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى قَدَرٍ دِينِهِ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟» قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي

(١) النَيْفُ - بوزن الهَيْن يُخَفَّفُ وَيُشَدَّدُ - : الزِّيَادَةُ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى التَّسْعَةِ، وَنَيْفُ فُلَانٍ عَلَى السَّبْعِينَ: أَيُّ زَادَ.

(٢) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١٥٢/٢): «وَهُوَ وَاجِبٌ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ».

(٣) انْظُرْ «عِدَّةُ الصَّابِرِينَ» (ص ٩٨).

(٤) انْظُرْ «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٩/١٠).

(٥) نَصَبٌ: تَعَبٌ، وَبَابُهُ فَرَحٌ.

(٦) وَصَبٌ: مَرَضٌ، وَبَابُهُ فَرَحٌ، وَالْجَمْعُ أَوْصَابٌ.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٥٦٤١) وَ (٦٤٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٧٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ.

دينه صلباً<sup>(١)</sup>، اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرحُ  
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة،<sup>(٢)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قلت: «يا رسول الله، أي الناس أشدُّ  
بلاءً؟» قال: «الأنبياء». قلت: «يا رسول الله، ثم من؟» قال: «ثم الصالحون، لقد كان  
أحدهم يبتلى بالفقر، حتى ما يجد إلا العباءة، يجوبها<sup>(٣)</sup> فيلبسها، ويبتلى بالقمل<sup>(٤)</sup>  
حتى يقتله، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء»<sup>(٥)</sup>.

قال الشاعر:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه<sup>(٦)</sup> ■■■ ويحمد منه الصبر ممّا يصيبه  
فمن قلّ فيما يتقيّه اضطباره ■■■ لقد قلّ فيما يرتجيه نصيبه<sup>(٧)</sup>

فالعبد إن لم يبلغ ما كتب له بعلمه، ابتلي حتى يصل إلى منزلة عظيمة عند  
الله، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرجل  
ليكون له المنزلة عند الله، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره؛ حتى  
يبلغه إياها»<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) صلباً: شديداً.  
(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٩٢/١)،  
و«الصحيحه» (١٤٣).  
(٣) يجوبها: يقطع وسطها ليلبسها.  
(٤) القمل: هوأم الرأس، الواحدة قملة، وقمل رأسه من باب طرب.  
(٥) رواه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٩٥/١)، و«الصحيحه» (١٤٤).  
(٦) خطوب: جمع خطب، وهو الأمر العظيم المكروه.  
(٧) «جواهر الأدب» (ص ٧١١).  
(٨) رواه الحاكم في «المستدرک»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٥/١)، و«الصحيحه» (٢٥٩٩).

وعن جابر - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «لَيُودَنَّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ؛ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

اصْبِرْ، فَيَا الصَّبْرَ خَيْرٌ، لَوْ عَلِمْتَ بِهِ ■■■ لَكُنْتَ بَارَكْتَ. شُكْرًا. صَاحِبِ النِّعَمِ  
واعلمُ بأنك إن لم تصْطبرْ كَرَمًا ■■■ صَبَرْتَ قَهْرًا عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

أَيَا صَاحِبِي، إِنْ رُمْتَ<sup>(٣)</sup> أَنْ تَكْسِبَ الْعُلَى ■■■ وَتَرْقَى إِلَى الْعُلْيَاءِ<sup>(٤)</sup> غَيْرَ مُزَاحِمٍ  
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ■■■ فَمَا صَابِرٌ فِيمَا يَرُومُ بِنَادِمٍ<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

اصْبِرْ قَلِيلًا، وَكُنْ بِاللَّهِ مُعْتَصِمًا ■■■ لَا تَعْجَلَنَّ؛ فَإِنَّ الْعَجْزَ بِالْعَجَلِ  
الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ<sup>(٦)</sup> ■■■ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ<sup>(٧)</sup>

وَقَدْ يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ الصَّبْرَ ذِلَّةٌ لِصَاحِبِهِ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ  
مُؤَكَّدًا: «وَلَا ظِلْمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةٌ صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عِزًّا»<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٨٤/٢)، و«الصحيح» (٢٢٠٦).

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٧١١).

(٣) رُمْتَ: طَلَبْتَ وَارَدْتَ، وَبَابُهُ قَالَ.

(٤) الْعُلْيَاءُ: كُلُّ مَكَانٍ مُشْرِفٍ.

(٥) «جواهر الأدب» (ص ٧١١).

(٦) نَائِبَةٌ: مُصِيبَةٌ، وَالْجَمْعُ نَوَائِبُ.

(٧) «جواهر الأدب» (ص ٧١١).

(٨) رواه الترمذي (٢٣٢٥) عن أبي كبشة الأنماري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢٤/١).



وَقَدْ أُوذِيَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَعْدَلُهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَذَى فَصَبَرُوا، وَأُوذِيَ نَبِيًّا - ﷺ - بِأَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ <sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ <sup>(٢)</sup> فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٥٨).

وَقَالَ: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (سورة طه: ١٣٠).

### قال علي بن الجهم:

«هِيَ النَّفْسُ، مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ» ■■■ وللدَّهْرِ أَيْامٌ تَجُورُ <sup>(٣)</sup> وَتَعْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ ■■■ وَأَحْسَنُ أَخْلَاقِ الرُّجَالِ التَّفَضُّلُ  
وَلَا عَارَ أَنْ زَالَتْ عَنِ الْحُرْنِعْمَةِ ■■■ وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ <sup>(٤)(٥)</sup>

(١) قال ابن القيم - يرحمه الله - في كتابه «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٠١): «فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأمّلت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه من سلّم وخوف، وغنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه، وتركه الله، وقتل أحبائه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى: من القول، والفعل، والسحر، والكذب، والافتراء عليه والبُهتان، وهو مع ذلك صابر على أمر الله، يدعو إلى الله، فلم يؤذَ نبي ما أُوذِيَ، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبي ما أُعْطِيَ، فرفع الله له ذكره، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعَةً، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقامات».

(٢) يَلْمِزُكَ: يَعْيِكَ وَيَنْتَقِدُ عَلَيْكَ، وَأَصْلُ اللَّمَزِ الْإِشَارَةُ بِالْعَيْنِ وَنَحْوَهَا، وَبَابُهُ ضَرَبَ وَنَصَرَ.

(٣) تَجُورُ: مِنَ الْجَوْرِ، وَهُوَ الظُّلْمُ.

(٤) التَّجَمُّلُ: التَّصَبُّرُ.

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣٣٢).



وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كُنَيْفٍ النَّبْهَانِيُّ:

- تَعَزَّ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ ■■■ وليس عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ<sup>(٢)</sup>  
 فلو كان يُغْنِي أَنْ يَرَى الْمَرْءُ جَازِعًا ■■■ لحادثة، أو كان يُغْنِي التَّدَلُّلُ  
 لكان التَّعْزِي<sup>(٣)</sup> عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ■■■ ونائبة بِالْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ  
 فكيف وكلُّ لَيْسَ يَعْدُو<sup>(٤)</sup> حِمَامَهُ<sup>(٥)</sup> ■■■ وما لِمُرِيٍّ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَرَحْلُ<sup>(٦)</sup>؟  
 فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ ■■■ بِؤُسَى وَنُعْمَى، وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ  
 فَمَا لِيَنْتَ مِنَّا قَنَاءَ<sup>(٦)</sup> صَلِيبَةٍ ■■■ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّتِي لَيْسَ تُجْمَلُ  
 وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً ■■■ تُحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمَلُ  
 وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنَّا نَفُوسَنَا ■■■ فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ، وَالنَّاسُ هَزُلُ<sup>(٧)</sup>

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي الْهَجَاءِ:

- دَبَبْتُ<sup>(٨)</sup> لِلْمَجْدِ، وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ■■■ جَهْدَ النَّفُوسِ، وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأَزْرَا<sup>(٩)</sup>  
 وَكَابِدُوا الْمَجْدَ، حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ■■■ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى، وَمَنْ صَبَرَا  
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ ■■■ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِيرَا<sup>(١٠)(١١)</sup>

(١) تَعَزَّ: تَصَبَّرَ وَتَجَلَّدَ عَلَى مَا يَحْدُثُ لَكَ مِنْ مَصَائِبِ الْحَيَاةِ.

(٢) مُعَوَّلٌ: مَنْ عَوَّلَ عَلَى الشَّيْءِ: إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ.

(٣) التَّعْزِي: التَّصَبُّرُ وَالتَّسَلِّيُ عَلَى الْمَصَائِبِ.

(٤) يَعْدُو: يَتَجَاوَزُ وَيَتَعَدَّى.

(٥) الْحِمَامُ - بِالْكَسْرِ -: قَدْرُ الْمَوْتِ.

(٦) قَنَاءَ: الْمَرَادُ بِهَا هُنَا الْقَامَةُ، وَبَلَيْنَا الضَّعْفُ وَالْإِنْحِلَالُ.

(٧) «جَوَاهِرُ الْأَدَبِ» (ص ٥١٨-٥١٩).

(٨) الدَّبِيبُ: السَّيْرُ بِلِينٍ وَبُطْءٍ.

(٩) الْأَزْرَا: جَمْعُ إِزَارٍ، وَهُوَ مَا يُلْفَى حَوْلَ النِّصْفِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْجِسْمِ.

(١٠) الصَّبِيرُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ -: عُصَارَةُ شَجَرٍ مَرُّ يَسْتَعْدَمُ دَوَاءً.

(١١) «إِنْبَاءُ الرُّوَاةِ» (٣/ ٣٦٢ - ٣٦٣).

إِنَّ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي تَعْزِيَةٍ وَتَسْلِيَةٍ أَهْلِ الْمَصَائِبِ قَوْلَ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - لِلأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ: «إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَا جُورُ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَا زُورُ».

وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ فِي شِعْرِهِ، فَقَالَ:

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ ■■■ - وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ :-  
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوَى عِزَاءً وَخَشْيَةً ■■■ فَتُؤْجَرُ، أَوْ تَسْلُو سُلُوكَ الْبَهَائِمِ؟<sup>(١)</sup>

■ **أَسْبَابُ تَهْوِينِ الْمَصَائِبِ** <sup>(٢)</sup>:

لتسهيلِ الْمَصَائِبِ، وتخفيفِ الشَّدَائِدِ أَسْبَابٌ، إِذَا قَارَنْتُ حَزْمًا، وَصَادَفَتْ عِزْمًا، هَانَ وَقَعُهَا، وَقَلَّ تَأْثِيرُهَا وَضَرَرُهَا، فَمِنْهَا:

١ - إِشْعَارُ النَّفْسِ بِمَا تَعْلَمُهُ مِنْ نُزُولِ الْفَنَاءِ، وَتَقْضِي الْمَسْرِ، وَأَنَّ لَهَا آجَالًا مُنْصَرَمَةً<sup>(٣)</sup>، وَمُدَدًا<sup>(٤)</sup> مُنْقَضِيَةً، إِذْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا حَالٌ تَدُومُ، وَلَا لِمَخْلُوقٍ فِيهَا بَقَاءٌ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي!». وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا<sup>(٥)</sup>.

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٨٨).

(٢) انظر «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٩١ - ٢٩٦).

(٣) مُنْصَرَمَةٌ: مُنْقَطِعَةٌ.

(٤) الْمُدَدُ: جَمْعُ مُدَّةٍ، وَهِيَ الْفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ.

(٥) رواه أحمد في «المسند»، والحاكم في «المستدرک»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٢/٥٦٦٩)، و«الصَّحِيحَةُ» (٤٣٩).

وَسُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: «تَغْرُو وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ».  
وَقَالَ أَنُو شِرْوَانُ: «إِنْ أَحْبَبْتَ أَلَّا تَعْتَمَّ، فَلَا تَقْتَنِ مَا بِهِ تَهْتَمُّ».

فَأَخَذَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ سُوءٍ فِعْلِهِ ■■■ يَكْدُرُ مَا أُعْطِيَ، وَيَسْلُبُ مَا أَسْدَى ١٩  
فَمَنْ سَرَّهُ الْأَيْرَى مَا يَسُوءُهُ ■■■ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

٢ - أَنْ يَتَّصِرَ انْجِلَاءَ الشَّدَائِدِ، وَانْكَشَافِ الْهُمُومِ، وَأَنَّهَا تُقَدَّرُ بِأَوْقَاتٍ لَا  
تَنْصَرِمُ قَبْلَهَا، وَلَا تَسْتَدِيمُ بَعْدَهَا، فَلَا تَقْصُرُ بِجَزَعٍ، وَلَا تَطُولُ بِصَبْرٍ، وَأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ  
يَمُرُّ بِهَا يَذْهَبُ مِنْهَا بِشَطَرٍ، وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِنَصِيبٍ، حَتَّى تَنْجَلِيَ وَهُوَ عَنْهَا غَافِلٌ.  
حُكِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ حَبَسَ رَجُلًا، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ زَمَانٍ، فَقَالَ لِلْمَتَوَكِّلِ بِهِ:  
«قُلْ لَهُ: كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي مِنْ نَعْمِهِ، يَمْضِي مِنْ بُؤْسِي مِثْلُهُ، وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ،  
وَالْحُكْمُ لِلَّهِ - تَعَالَى -».

فَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ:

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ وَفِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ■■■ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا  
لَكُنْتَنِي عَالِمٌ أَنِّي وَأَنْكُمْ ■■■ سَنَسْتَجِدُّ<sup>(١)</sup> خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا  
وَأَنشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ رِيكَ لَيْسَ تُحْصَى ■■■ أَيْادِيهِ<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثَةُ وَالْقَدِيمَةُ  
تَسَلُّ عَنْ الْهُمُومِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ ■■■ يُقِيمُ، وَلَا هُمُومُكَ بِالْمُقِيمَةِ  
لَعَلَّ اللَّهَ يَنْظُرُ بَعْدَ هَذَا ■■■ إِلَيْكَ بِنَظَرَةٍ مِنْهُ رَحِيمَةٍ

(١) سَنَسْتَجِدِّي: سَنَصِيرُ إِلَى حَالَةٍ جَدِيدَةٍ.

(٢) الْأَيْادِي: النِّعَمُ.



قِيلَ لِلشَّعْبِ فِي نَائِبَةٍ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟. قَالَ: بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ: خَيْرِ مَشُورٍ، وَشَرِّ مُسْتَوِرٍ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

٤ - أَنْ يَتَأْسَىٰ بِذَوِي الْغَيْرِ<sup>(٥)</sup> ، وَيَتَسَلَّىٰ بِأُولِي الْعَبَرِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمُ الْكَثْرُونَ  
عَدَدًا ، وَالْأَسْرَعُونَ مَدَدًا<sup>(٦)</sup> ، فَيَسْتَجِدُّ مِنْ سَلْوَةِ الْأَسَى ، وَحُسْنِ الْعَزَا مَا يُخَفِّفُ  
شَجْوَهُ<sup>(٧)</sup> ، وَيُقِلُّ هَلَعَهُ .

وعلى مثل ذلك كانت مرآتي الشعراء، قالت الحنساء ترثي أخاها لأبيها صخرًا:

(١) الرزايا : المصائب ، مفردها رزِيَّةٌ.

(٢) الحَوَادِثُ : الشَّدَائِدُ والكَوَارِثُ ، مفردُها حَادِثَةٌ .

(٣) مُتَبَايَنَةٌ : مُخْتَلِفَةٌ .

(٤) تَسْتَقِلُّ : تَنْهَضُ .

(٥) الغَيْرُ: أحوال الدهر المتغيرة، مفردُها غَيْرَةٌ - بكسر الغين - .

(٦) المَدَدُ : النُّصْرَةُ والعَوْنُ والغَوْثُ.

(۷) الشَّجْوُ: الحُزْنُ وَالْهَمُّ، وَبَابُهُ عَدَا.



ولكن لا أزال أرى عجولاً<sup>(١)</sup> وناحية تنوح ليوم نحس<sup>(٢)</sup>  
 هُما مكلتا هُما تبكي أحباها وحب<sup>(٣)</sup> أمس<sup>(٤)</sup>  
 وما يبكين مثل أخي، ولكن أسلي النفس عنه بالتأسّي  
 فقد ودعت يوم فراق صخر أبي حسان لذاتي وأنسي  
 فيا لهُضي<sup>(٥)</sup> عليه، ولهُف أُمي أيصبح في الضريح<sup>(٦)</sup>، وفيه يمسي<sup>(٧)</sup>

وقال البحتري:

فلا عجب للأسد إن ظفرت بها وحب<sup>(٨)</sup> حمزة الردى<sup>(٩)</sup>  
 وموت علي من حسام<sup>(١٠)</sup> ابن ملجم<sup>(١١)</sup>

- (١) العجول: التي مات وكدها صغيراً.  
 (٢) نحس: نحس، شؤم.  
 (٣) غبّ أمس - بكسر الغين -: عقبه.  
 (٤) أمس: هو اليوم الذي قبل يومك، فإذا عُرِفَ بالالف واللام، قُصِدَ به أي يوم مَضَى، وهذه هي الكلمة الوحيدة في اللغة العربية التي إذا نُكِرَتْ عُرِفَتْ، وإذا عُرِفَتْ نُكِرَتْ.  
 (٥) اللهُف: الحسرة، والحزن.  
 (٦) الضريح: القبر.  
 (٧) «جواهر الأدب» (ص ٣٩٧).  
 (٨) الحزبة: واحدة الحراب، وهي كالرمح.  
 (٩) الردى: الهلاك والموت.  
 (١٠) الحسام: السيف القاطع، وكان ابن ملجم - قُبِحَ الله - قد اشتراه بالف، وشحذه أربعين صباحاً، وسمّاه بالف.  
 (١١) ابن ملجم: هو عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري، فاتهك ثائر من أشدّ الفرسان، أدرك الجاهليّة، وهاجر في خلافة عمر، وشهد فتح مصر وسكنها، كان من شيعة علي، وشهد معه صفين، ثم خرج عليه، فقد كان ممن عارضوا التحكيم، وليأخذ بثأر إخوانه من أهل النهروان - والنهروان اسم للموضع الذي دارت فيه المعركة بين علي والحوارج - الذين قتلهم علي؛ تربص لعلي سحر يوم الجمعة ساعة خروجه لصلاة الصبح، فضربه بالسيف على قرن رأسه، فسأل دمه على لحيتيه فغضبها، وكان ذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان على الأصح سنة ٤٠ هـ.

وَقَالَ أَبُو نُؤَاسٍ:

المرءُ بينَ مصائبٍ لا تنقضي ■■■ حتى يُوَارَى <sup>(١)</sup> جسمه في رمسه <sup>(٢)</sup>  
فمُؤَجِّلٌ يلقى الردى في أهله ■■■ ومُعَجِّلٌ يلقى الردى في نفسه

٥ - أن يعلم أن النعم زائرة، وأنها - لا محالة - زائلة، وأن السُّرُورَ بها إذا  
أقبلت مشوب <sup>(٣)</sup> بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحاً حتى  
تُعقب بفراقها ترحاً <sup>(٤)</sup>، فعلى قدر السُّرُورِ يكون الحزن.

قيل في منثور الحكم: «المفروح به هو المحزون عليه».

وقيل: «من بلغ غاية ما يحب، فليتوقع غاية ما يكره».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «من علم أن كلَّ نائبةٍ إلى انقضاءٍ، حسنَ عزاءه عند  
نزولِ البلاء».

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي ■■■ وَيَحْمَدُ غَيْبَ السَّيْرِ <sup>(٥)</sup> مَنْ هُوَ سَائِرٌ  
وقيل للحسن البصري - يرحمه الله - : «كيف ترى الدنيا؟». قال: «شغلني  
توقعُ بلائها عن الفرح برحائها».

فَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ، فَقَالَ:

تزيده الأيامُ إن أقبلت ■■■ شدةَ خوفٍ لتصاريفها  
كانها في حالٍ إسعافها <sup>(٦)</sup> ■■■ تُسمعه وقعة تخويفها

(١) يُوَارَى: يُخْفَى وَيُغَيَّبُ.

(٢) الرَّمْسُ - بالفتح -: تُراب القبر، والجمع أرماس، ورُمُوسٌ.

(٣) مَشُوبٌ: مَخْلُوطٌ.

(٤) التَّرْحُ - بفتح التاء -: الحزن، والجمع أترأح، وبابه فَرَحٌ.

(٥) غَيْبُ السَّيْرِ: عاقبته.

(٦) إسعافها: إنجاءها ومساعدتها.

٦ - أن يَعْلَمَ أَنَّ سُرُورَهُ مَقْرُونٌ بِمَسَاءَةٍ غَيْرِهِ، وكذلك حزنه مقرونٌ بسرورِ غَيْرِهِ، إِذْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُنْقَلُ مِنْ صَاحِبٍ إِلَى صَاحِبٍ، وَتَصِلُ صَاحِبًا بِفِرَاقِ صَاحِبٍ، فَتَكُونُ سُرُورًا لِمَنْ وَصَلَتْهُ، وَحُزْنًا لِمَنْ فَارَقَتْهُ.

قَالَ الْبُحْتَرِيُّ:

مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةً خَامِلًا<sup>(١)</sup> ❖❖❖ فَلَا تَرْتَقِبِ إِلَّا خُمُولَ نَيْبِهِ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا ❖❖❖ مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وَقَالَ صَاحِبُ «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ - يَصِفُ الدُّنْيَا -:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ<sup>(٢)</sup> أَيْكَةٌ<sup>(٣)</sup> ❖❖❖ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ، جَفَّ جَانِبٌ

فَلَا تَفْرَحَنَّ مِنْهَا لِشَيْءٍ تَفِيدُهُ ❖❖❖ سَيَذْهَبُ يَوْمًا مِثْلَمَا أَنْتَ ذَاهِبٌ

هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْالُ إِلَّا فَجَائِعُ ❖❖❖ عَلَيْهَا، وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ

فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ<sup>(٤)</sup> ❖❖❖ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا؛ فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ

(١) الْخَامِلُ: السَّاقِطُ الَّذِي لَا نَبَاهَةَ لَهُ، وَبَابُهُ دَخَلَ.

(٢) النُّضَارَةُ: الْحُسْنُ وَالرَّوْنَقُ.

(٣) الْأَيْكَةُ: الشَّجَرَةُ، وَالْجَمْعُ أَيْكٌ.

(٤) الْعَبْرَةُ - بِالْفَتْحِ -: الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفِضَ.

٧ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ طَوَارِقَ <sup>(١)</sup> الْإِنْسَانِ مِنْ دَلَائِلِ فَضْلِهِ، وَمَحَنَهُ مِنْ شَوَاهِدِ نُبْلِهِ <sup>(٢)</sup>، وَلِذَلِكَ إِحْدَى عِلَّتَيْنِ: إِمَّا لِأَنَّ الْكَمَالَ مُعَوِزٌ <sup>(٣)</sup>، وَالنَّقْصَ لَا زَمَّ، فَإِذَا تَوَاتَرَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، صَارَ النَّقْصُ فِيمَا سِوَاهُ، وَقَدْ قِيلَ: «مَنْ زَادَ فِي عَقْلِهِ، نَقَصَ مِنْ رِزْقِهِ».

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

مَا جَاوَزَ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا ■■■ إِلَّا تَخَوَّنَهُ النُّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الْكَاتِبُ:

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرِئَيْنِ صِنَاعَةً ■■■ فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الذِّي هُوَ أَحْدَقُ <sup>(٤)</sup>

فَلَا تَتَفَقَّدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ ■■■ بِهِ لُهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ

فَحَيْثُ يَكُونُ النَّقْصُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ ■■■ وَحَيْثُ يَكُونُ الْفَضْلُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ

وَإِمَّا لِأَنَّ ذَا الْفَضْلِ مَحْسُودٌ، وَبِالْأَذَى مَقْصُودٌ، فَلَا يَسْلَمُ فِي بَرٍّ مِنْ مُعَادٍ، وَاشْتِطَاطٌ <sup>(٥)</sup> مَنَاوٍ <sup>(٦)</sup>.

قَالَ الصَّنُونُورِيُّ:

مِحْنُ الْفَتَى يُخْبِرُنَ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى ■■■ كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ <sup>(٧)</sup>

(١) طَوَارِقُ: المصائب، المفرد طارقة.

(٢) النُّبْلُ - بِالضَّمِّ -: الْفَضْلُ وَالذِّكَاءُ وَالنَّجَابَةُ، وَبَابُهُ ظَرْفٌ.

(٣) مُعَوِزٌ: مَنْ أَعْوَزَهُ الشَّيْءُ: إِذَا احْتَجَّ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ.

(٤) أَحْدَقُ: مَاهِرٌ فِي صِنْعَتِهِ.

(٥) اشْتِطَاطٌ: جَوْرٌ وَظَلَمٌ.

(٦) مَنَاوٍ: مُعَادٍ.

(٧) الْعَنْبَرُ: مَادَّةٌ صَلْبَةٌ تَنْبَعُ مِنْهَا رَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ إِذَا أُحْرِقَتْ.



وَقَلَّمَا تَكُونُ مِحْنَةً فَاضِلٍ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ نَاقِصٍ، وَبَلَوَى عَالِمٍ إِلَّا عَلَى يَدِ  
جَاهِلٍ؛ وَذَلِكَ لَاسْتِحْكَامِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا بِالْمُبَایَنَةِ، وَحُدُوثِ الْإِنْتِقَامِ لِأَجْلِ التَّقَدُّمِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَا غُرُوْا أَنْ يُمْنَى <sup>(١)</sup> عَلَيَّ بِجَاهِلٍ ■■■ فَمِنْ ذَنْبِ التَّنِينَ تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ

٨ - مَا يَعْتَاضُهُ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْارْتِيَاضِ بِنَوَائِبِ عَصْرِهِ، وَيَسْتَفِيدُهُ مِنَ الْحِنْكَةِ <sup>(٣)</sup> بِبَلَاءِ  
دَهْرِهِ، فَيَصْلُبُ عَوْدُهُ، وَيَسْتَقِيمُ عَمُودُهُ، وَيَكْمَلُ بِأَدْنَى شِدَّتِهِ وَرِخَائِهِ، وَيَتَّعِظُ  
بِحَالَتِي عَفْوِهِ وَبِلَائِهِ.

حُكِّي عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ، وَعَلَيْهِ  
خِلْعٌ <sup>(٤)</sup> الرِّضَى بَعْدَ النِّكْبَةِ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(٥)</sup>، قَالَ لِي: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ،  
اسْمَعْ مَا أَقُولُ:

نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَدْبَتْنِي ■■■ وَإِنَّمَا يُوعِظُ الْأَدِيبُ  
قَدْ ذُقْتُ حُلُوءًا، وَذُقْتُ مُرًّا ■■■ كَذَلِكَ عَيْشُ الْفَتَى ضُرُوبُ  
لَمْ يَمْضِ بُؤْسٌ، وَلَا نَعِيمٌ ■■■ إِلَّا وَلِي فِيهِمَا نَصِيبُ  
كَذَلِكَ مَنْ صَاحَبَ اللَّيَالِي ■■■ تَغْدُوهُ مِنْ دَرِّهَا الْخُطُوبُ

(١) يُمْنَى: يُتَلَى.

(٢) يَعْتَاضُ: يَسْتَعِضُ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ.

(٣) الْحِنْكَةُ: التَّجَرُّبَةُ.

(٤) الْخِلْعُ: الْمَلَابِسُ.

(٥) مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ: انْتَصَبْتُ قَائِمًا.

٩ - أَنْ يَخْتَبِرَ أُمُورَ زَمَانِهِ، وَيَتَّبِعَهُ عَلَى صَلَاحِ شَأْنِهِ فَلَا يَغْتَرُّ بِرِخَاءٍ، وَلَا يَطْمَعُ فِي اسْتِوَاءٍ، وَلَا يُؤَمِّلُ أَنْ تَبْقَى الدُّنْيَا عَلَى حَالَةٍ، أَوْ تَخْلُوَ مِنْ تَقَلُّبٍ وَاسْتِحَالَةٍ؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا، وَخَبَرَ أَحْوَالَهَا، هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا.

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةَ:

إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا      فَنَزَعْتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخْشَى  
فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَعَالَمِهَا      فَإِذَا جَمِيعُ أُمُورِهَا تَفْنَى  
وَبَلَوْتُ<sup>(١)</sup> أَكْثَرَ أَهْلِهَا، فَإِذَا      كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ يَسْعَى  
أَسْنَى<sup>(٢)</sup> مَنَازِلِهَا وَأَرْفَعُهَا      فِي الْعِزِّ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَهْوَى  
تَعْفُو مَسَاوِيَهَا مَحَاسِنُهَا      لَا فَرْقَ بَيْنَ النَّعْيِ<sup>(٣)</sup> وَالْبُشْرَى  
وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ، فَمَا      مَيَّزْتُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَوْلَى<sup>(٤)</sup>  
أَتَرَاكَ تَدْرِي كَمْ رَأَيْتُ مِنَ الْأَ      حَيَاءٍ، ثُمَّ رَأَيْتُهُمْ مَوْتَى؟

فَإِذَا ظَفَرَ الْمَصَابُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، تَخَفَّفَتْ عَنْهُ أَحْزَانُهُ، وَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ أَشْجَانُهُ<sup>(٥)</sup>، فَصَارَ وَشِيكَ السَّلْوَةِ، قَلِيلَ الْجَزَعِ، حَسَنَ الْعَزَاءِ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ حَازَرَ لَمْ يَهْلَعْ، وَمَنْ رَاقَبَ لَمْ يَجْزَعْ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَقِّعًا لَمْ يَكُنْ مُتَوَجِّعًا».

(٢) أَسْنَى: أَرْفَعُ.

(١) بَلَوْتُ: اخْتَبَرْتُ وَجَرَّبْتُ.

(٣) النَّعْيُ: خَيْرُ الْمَوْتِ.

(٤) الْمَوْلَى: السَّيِّدُ وَالرَّئِيسُ.

(٥) الْأَشْجَانُ: جَمْعُ شَجْنٍ - بَفَتْحَتَيْنِ - وَهُوَ الْحُزْنُ، وَبَابُهُ فَرَحٌ.

وقال بعض الشعراء:

ما يكون الأمر سهلاً كله ■■■ إنما الدنيا سرورٌ وحزونٌ  
هوّن الأمر تعيش في راحة ■■■ قل ما هونت إلا سيهون  
تطلب الراحة في دار الفنا ■■■ ضل من يطلب شيئاً لا يكون

فإن أغفل نفسه عن دواعي السلوة، ومنعها من أسباب النصر - تضعف  
عليه من شدة الأسى، وهم الجزع ما لا يطيق عليه صبراً، ولا يجد عنه سلواً.  
وقال ابن الرومي:

إن البلاء يطاق غير مضاعف ■■■ فإذا تضاعف صار غير مطاق  
فإذا ساعده جزعه بالأسباب الباعثة عليه، وأمدّه هلعُهُ بالذرائع<sup>(١)</sup> الداعية  
إليه - فقد سعى في حتفه<sup>(٢)</sup>، وأعان على تلفه، فمن أسباب ذلك:  
١ - تذكر المصائب حتى لا يتناساه، وتصوره حتى لا يعزب<sup>(٣)</sup> عنه، ولا  
يجد من التذكار سلوة، ولا يخلط مع التصور تعزية.

وسل نفسك تسلو في منازلها ■■■ هل الدُموع ترد الغائب الغالي؟

وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «لا تستفزوا الدُموع بالتذكر».

٢ - الأسف وشدة الحسرة، فلا يرى من مصابه خلقاً، ولا يجد لمفقوده  
بدلاً، فيزداد بالأسف ولهأ<sup>(٤)</sup>، وبالحسرة هلعاً؛ ولذلك قال الله - تعالى -:  
﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (سورة الحديد: ٢٣).

(١) الذرائع: الوسائل، مفرداً ذريعة.

(٢) الحتف: الموت، والجمع حتوف.

(٣) يعزب: يغيب.

(٤) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجع، وبابه فرح.



وقال بعض الشعراء:

إذا بُليت فثِقُ بالله، وأرضَ به ■ ■ ■ إنَّ الذي يَكْشِفُ الْبَلَوَى هُوَ اللهُ  
إذا قَضَى اللهُ فاستسلمَ لِقُدْرَتِهِ ■ ■ ■ ما لأمري حيلةٌ <sup>(١)</sup> فيما قَضَى اللهُ  
اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبه ■ ■ ■ لا تَيْأَسَنَّ؛ فإنَّ الصَّانِعَ اللهُ

٣ - كثرةُ الشكوى، وبثُّ الجزع.

قَالَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ يَعْقُوبَ  
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (سورة يوسف: ١٨). قَالَ : « لَا شَكْوَى فِيهِ » <sup>(٢)</sup>.

وَحُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيَّةً دَخَلَتْ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَسَمِعَتْ صُرَاخًا فِي دَارٍ، فَقَالَتْ: مَا  
هَذَا؟ فَقِيلَ لَهَا: مَاتَ لَهُمْ إِنْسَانٌ. فَقَالَتْ: مَا أَرَاهُمْ إِلَّا مِنْ رَبِّهِمْ يَسْتَغِيثُونَ،  
وَبِقَضَائِهِ يَتَبَرَّمُونَ <sup>(٣)</sup>، وَعَنْ ثَوَابِهِ يَرْغَبُونَ <sup>(٤)</sup> .

وقد قيل في منثور الحكم: «مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ».

وإنما تنافي الصبر الشكوى إلى العباد لا إلى رَبِّ الْعِبَادِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ نَبِيُّ  
اللَّهِ يَعْقُوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (سورة يوسف: ٨٦).

(١) الْحِيلَةُ: بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ هُنَا، وَالْجَمْعُ حِيلٌ.

(٢) «عِدَّةُ الصَّابِرِينَ» (ص ١٢٧).

(٣) يَتَبَرَّمُونَ: يَتَضَجَّرُونَ.

(٤) رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ: كَرِهَهُ وَتَرَكَهُ. وَرَغِبَ فِي الشَّيْءِ: أَحْبَبَهُ وَأَرَادَهُ، وَبَابُهُ فَرِحَ.

(٥) الْبَثُّ: الْحَالُ وَالْحُزْنُ وَالْهَمُّ.

وانشد بعض أهل العلم:

لا تكثر الشكوى إلى الصديق ■■■ وأرجع إلى الخالق، لا المخلوق  
لا يخرج الغريق بالغريق

وقال بعض الشعراء:

لا تشك دهرَكَ ما صححت به ■■■ إن الغنى هو صحة الجسم  
هبك الخليفة كنت منتفعًا ■■■ بغضارة الدنيا مع السقم<sup>(١)</sup>  
فكن. أخي. كما قال المتنبي:

لا تلق دهرَكَ إلا غير مُكترث<sup>(٢)</sup> ■■■ ما دام يصحب فيه روحك البدن<sup>(٣)</sup>  
فما يدوم سرورُ ما سررت به ■■■ ولا يرد عليك الفاتت الحزن  
٤ - اليأس من جبر مصابه، ودرك طلابه، فيقترن بحزن الحادثة قنوط  
الإيأس، فلا يبقى معها صبر، ولا يتسع لها صدر، وقد قيل: «المصيبة بالصبر  
أعظم المصيبتين».

وانشد شبيب بن شيبه للمهدي:

ولئن تصيبك مصيبة فاصبر لها ■■■ عظمت مصيبة مبتل لا يصبر  
وقال ابن الرومي:

اصبري. أيتها النفس ■■■ س. فإن الصبر أحجى  
رئما خاب رجاء ■■■ وأتى ما ليس يرجى

(١) السقم: المرض، والجمع أسقام، وبابه فرح.

(٢) مكترث: مبال ومهتم.

(٣) يقول: لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حيًا؛ فإن الشدة والرخاء يتعقبان فيه على الحي، فلا يأس مع الحياة.

وقال الحسين بن مطير الأسدي:

إذا يسر الله الأمور تيسرت      ولأنت قواها، واستقاد عسيرها  
فكم طامع في حاجة لا ينالها      وكم آيسر منها أتاه بشيرها  
وكم خائف صار المخيف، ومقتير<sup>(١)</sup>      تمول<sup>(٢)</sup>، والأحداث يحلو مريها  
وقد تغدر الدنيا، فيمسي غنيها      فقيرا، ويغنى بعد عسر فقيرها  
وكم قد رأينا من تكدر عيشة      وأخرى صفا بعد انكدار غديرها<sup>(٣)</sup>

وأنشد بعض أهل العلم:

أتحسب أن البؤس للحر دائم؟      ولو دام شيء عدّه الناس في العجب  
لقد عرفت لك الحادثات يؤسها      وقد أدبت، إن كان ينفعك الأدب  
ولو طلب الإنسان من صرف دهره<sup>(٤)</sup>      دوام الذي يخشى، لأعياه ما طلب

٥ - أن يغري<sup>(٥)</sup> بملاحظة من حيطت سلامته، وحريست نعمته، حتى التحف بالآمن والدعة<sup>(٦)</sup>، واستمتع بالثروة والسعة، ويرى أنه قد خص من بينهم بالرزية بعد أن كان مساويا، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافيا، فلا يستطيع صبرا على بلوى، ولا يلزم شكرا على نعمى، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرزية، وساواه في الحادثة - لتكافأ الأمران، فهان عليه الصبر، وحان منه الفرج.

(١) المقتير: الفقير، يقال: أقتّر الرجل: أي افتقر.

(٢) تمول: صار ذا مال.

(٣) الغدير: أصله الماء يجتمع بعد السيل، والجمع غدران، وغدر.

(٤) صرف الدهر: حوائثه ومصائبه، والجمع صروف.

(٥) يغري: يولع، وبابه فرح.

(٦) الدعة: الهدوء والاطمئنان، يقال: ودع - بضم الدال - الرجل فهو وديع، ووادع أيضا.



أَنْشَدَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ:

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، صَبِرًا ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
كَمْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ حُرًّا ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
مَلِكَ الصَّبْرِ فَاضْحَى ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
اشْرَبِ الصَّبْرَ، وَإِنْ كَا ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
نَ مِنَ الصَّبْرِ أَمْرًا

وَأَنْشَدَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ:

يُرَاعُ<sup>(١)</sup> الْفَتَى لِلخَطْبِ تَبْدُو صُدُورُهُ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ لَمَّا تَرَكَ كَمَتَ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
دُجَاهُ<sup>(٢)</sup>، بَدَأَ وَجْهُ الصَّبَّاحِ وَنُورُهُ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
فَلَا تَصْحَبَنَّ الْيَأْسَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■ ■■■  
لَبِيبًا، فَإِنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أُمُورُهُ

■ وَالصَّبْرُ الْمَشْرُوعُ لَهُ ثَلَاثَةٌ شُرُوطٍ:

■ الْأَوَّلُ - الْإِخْلَاصُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ (سورة الرعد: ٢٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ: «أَيُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، فَقَطَّمُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْهَا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) يُرَاعُ: يَفْزَعُ، وَيَخَافُ

(٢) يَأْسَى: يَحْزَنُ.

(٣) الدُّجَى: جَمْعُ دُجِيَّةٍ، وَهِيَ الظُّلْمَةُ.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/٥٠٦).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِيٍّ . يَرْحَمُهُ اللَّهُ . فِي تَفْسِيرِهَا :

«وَالَّذِينَ صَبَرُوا» عَلَى الْمَأْمُورَاتِ بِالْإِمْتِثَالِ، وَعَنِ الْمَنْهِيَّاتِ بِالْإِنْكَفَافِ عَنْهَا، وَالْبُعْدِ مِنْهَا، وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلَّةِ بِعَدَمِ تَسَخُّطِهَا.

وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الصَّبْرُ «إِبْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِمْ» لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا الصَّبْرَ النَّافِعَ الَّذِي يَحْبِسُ بِهِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَرَجَاءً لِلْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْحِظْوَةِ بِثَوَابِهِ، وَهُوَ الصَّبْرُ الَّذِي مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَمَّا الصَّبْرُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي غَايَتُهُ التَّجَلُّدُ، وَمُنْتَهَاهُ الْفَخْرُ - فَهَذَا يَصْدُرُ مِنَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَلَيْسَ هُوَ الْمَدْحُوحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنِّي لِأُغْضِي<sup>(٢)</sup> مُقْلَتِي<sup>(٣)</sup> عَلَى الْقَدَى ■ ■ ■ وَأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجًا<sup>(٤)</sup>  
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ، وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ ■ ■ ■ عَلَيَّ، فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَتَفَرَّجَا  
وَكَمْ مِنْ فِتْنَى سُدَّتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ ■ ■ ■ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا

■ الثَّانِي - عَدَمُ شَكْوَى اللَّهِ إِلَى الْعِبَادِ :

شَكْوَى اللَّهِ إِلَى الْعِبَادِ تُنَافِي الصَّبْرَ، وَتُخْرِجُهُ إِلَى التَّسَخُّطِ وَالْجَزَعِ.

(١) «تفسير ابن سعد» (ص ٤١٧).

(٢) الإغضاء : انطباق الجفنين.

(٣) المقلّة : شحمة العين الجامعة للبياض والسود، والجمع مقل.

(٤) الأبلج : المضيء المشرق.

قال رسول الله - ﷺ - فيما يرويه عن ربه: «قال الله - سبحانه وتعالى -: إذا ابتليت عبدي المؤمن، فلم يشكني إلى عواده<sup>(١)</sup>، أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل<sup>(٢)</sup>» .

وقال الشاعر:

وإذا عرتك<sup>(٣)</sup> بليّة فاصبر لها ■■■ صبر الكريم، فإنه بك أعلم  
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنمّا ■■■ تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم<sup>(٤)</sup>

وقال المتنبي:

ولا تشك<sup>(٥)</sup> إلى خلق فتشمته ■■■ شكوى الجريح إلى الغريان والرحم<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

لا تشكّون إلى صديق حالة ■■■ تأتيك في السراء والضراء  
فلرحمة المتوجعين مرارة ■■■ في القلب مثل شماتة الأعداء

(١) عواده: زوّاره، والمفرد: عائد.

(٢) رواه الحاكم (٣٤٩/١)، والبيهقي (٣/٣٧٥)، وإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٣) عرتك: أصابتك.

(٤) «تهذيب مدارج السالكين» (٥٦٦/٢).

(٥) تشكّ: مضارع من التشكى، أصله تشكّى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، ثم حذفت حرف العلة - وهو الألف - للجازم.

(٦) الرحم - بفتحين - : جمع رَحْمَة، وهي طائر أبقع (أي فيه سواد وبياض) يشبه النسر في الخلقة.

(٧) يقول: لا تشكّ إلى أحد ما ينزل بك من ضرٍّ؛ لئلا تشمته بشكواك، فيكون حالك كحال الجريح الذي يشكو جراحه إلى الطيور التي ترقب موته لتأكله.



## ■ الثالث - أن يكون في ساعة المصيبة:

الصبرُ المحمودُ المأجورُ عليه صاحبه ما كان في أوانه<sup>(١)</sup>، أما إذا فات الأوانُ فلا فائدة منه.

عن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يقول الله - سبحانه -: ابن آدم، إن صبرت واحتسبت<sup>(٢)</sup> عند الصدمة الأولى، لم أرض لك ثواباً دون الجنة»<sup>(٣)(٤)</sup>.

قال الخطابي - يرحمه الله -:

«المعنى أن الصبر الذي يُحمدُ عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك؛ فإنه مع الأيام يسئل»<sup>(٥)</sup>.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: مرَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «أتقي الله واصبري». قالت: «إليك»<sup>(٦)</sup> عني؛ فإنك لم تُصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأتت باب النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم تجد عنده بوابين، فقالت: «لم أعرفك». فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(٧)</sup>.

(١) أوانه: وقته، والجمع أونة كزمان وأزمنة.

(٢) احتسبت: رجوت ثواب صبرك على مصابك من الله، وأدخرته عنده.

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٩٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٩٧).

(٤) انظر «تسلية أهل المصائب» (ص ٣٦).

(٥) «فتح الباري» (٣/ ١٥٠).

(٦) إليك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد وتأن.

(٧) رواه البخاري - واللفظ له - (١٢٥٢) و (١٢٨٣) و (١٣٠٢) و (٧١٥٤)، ومسلم (٩٢٦).

قال أحد العلماء:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُ اللَّهَ سَاعَةً خَوْفِهِ ■■■ لِبَاسِلِينَ<sup>(١)</sup> مَعَ الْقَنَا<sup>(٢)</sup> الْخَطَّارِ<sup>(٣)</sup>  
فَنَسِيتُ كُلَّ لَذَائِدِ جَيَّاشَةٍ ■■■ يَوْمَ الْوَعَى<sup>(٤)</sup> لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ  
وقال المتنبّي:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ<sup>(٥)</sup> حَتَّى ■■■ فُوَادِي فِي غِشَاءٍ<sup>(٦)</sup> مِنْ نِبَالٍ<sup>(٧)</sup>  
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ■■■ تَكْسَرَتِ النَّصَالُ<sup>(٨)</sup> عَلَى النَّصَالِ<sup>(٩)</sup>  
فَعِشْتُ وَلَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا؛ ■■■ لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي

الْأَسْبَابُ الْمُعِينَةُ عَلَى الصَّبْرِ:

وَتَمَّةُ أَسْبَابٍ تُعِينُ الْعَبْدَ وَتَصْبِرُهُ عِنْدَ نَزُولِ الْمُصِيبَةِ أَوْ الْبَلَاءِ، وَهِيَ مَا يَأْتِي:  
السَّبَبُ الْأَوَّلُ - شُهُودُ جَزَائِهَا وَثَوَابُهَا.  
السَّبَبُ الثَّانِي - شُهُودُ تَكْفِيرِهَا لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَحْوِهَا لَهَا.

- 
- (١) الْبَاسِلُونَ: الشُّجْعَانُ الْأَبْطَالُ وَبَابُهُ ظَرْفٌ.  
(٢) الْقَنَا: جَمْعُ قَنَاءَ، وَهِيَ الرُّمَحُ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى قَنَوَاتٍ.  
(٣) يُقَالُ: رُمَحٌ خَطَّارٌ - بِالتَّشْدِيدِ - : أَيِ ذُو اهْتِزَازٍ.  
(٤) الْوَعَى: الْحَرْبُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الصَّوْتِ وَالْجَلْبَةِ.  
(٥) الْأَرْزَاءُ: الْمَصَائِبُ، وَالْمُفْرَدُ رُزْءٌ.  
(٦) الْغِشَاءُ - بِالْكَسْرِ -: الْغُلَافُ وَالْغِطَاءُ، وَالْجَمْعُ أَغْشِيَةٌ.  
(٧) النَّبَالُ - بِالْكَسْرِ -: جَمْعُ نَبْلٍ - بِالْفَتْحِ - وَهِيَ السَّهَامُ الْعَرَبِيَّةُ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَتُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى أَنْبَالٍ.  
(٨) النَّصَالُ: الْحِدَائِدُ الَّتِي فِي رَأْسِ السَّهَامِ، مُفْرَدُهَا نَصْلٌ، وَتُجْمَعُ - أَيْضًا - فِي الْكَثْرَةِ عَلَى نُصُولٍ، وَفِي الْقَلَّةِ عَلَى أَنْصُلٍ.  
(٩) يَقُولُ: كَثُرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ الدَّهْرِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ قَلْبِي مَوْضِعٌ إِلَّا أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنْهَا، فَصَارَ فِي غُلَافٍ مِنَ السَّهَامِ، فَصِرْتُ - بَعْدَ ذَلِكَ - إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ مِنْ تِلْكَ الْمَصَائِبِ، لَا تَجِدُ مَوْضِعًا تَنْفُذُ مِنْهُ إِلَيَّ قَلْبِي، وَإِنَّمَا تَقَعُ نِصَالُهَا عَلَى نِصَالِ السَّهَامِ الَّتِي قَبْلُهَا، فَتَنْكَسِرُ عَلَيْهَا.

**السبب الثالث -** شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مُقدَّرة في أم الكتاب قبل أن تُخلق فلا بُدَّ منها، فجزَّعه لا يزيده إلاَّ بلاءً.

**السبب الرابع -** شهود حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة.

**السبب الخامس -** شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (سورة الشورى: ٣٠) فهذا عام في كلِّ مُصِيبَةٍ دَقِيقَةٍ وَجَلِيلَةٍ، فَشَغَلَهُ شُهُودُ هَذَا السَّبَبِ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ.

**السبب السادس -** أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأنَّ العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يعرف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدى الحق.

**السبب السابع -** أن يعلم أن هذه المُصِيبَةُ هي دواءٌ نافعٌ ساقه إليه الطبيبُ العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجرعه ولا يتيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

**السبب الثامن -** أن يعلم أن في عقبي هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم تحصيل بدونه.

**السبب التاسع -** أن تعلم أن المُصِيبَةَ ما جاءت لِتُهْلِكَهُ وتقتله، وإنما جاءت لِتَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وتبتليه.

**السبب العاشر -** أن يعلم أن الله يُرَبِّي عَبْدَهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالنَّعْمَةِ وَالْبَلَاءِ<sup>(١)</sup>.

(١) انظر «طريق الهجرتين وباب السعادتین» (ص ٢٧٦).



## الانتصار



العَفْوُ ليسَ مَحْمُودًا مُطْلَقًا، بَلْ مِنْهُ مَا يَكُونُ مَحْمُودًا، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مَذْمُومًا، فَيَكُونُ مَحْمُودًا إِذَا كَانَ فِي مَحَلِّهِ، وَيَكُونُ مَذْمُومًا إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، وَإِلَيْكَ التَّفْصِيلُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ <sup>(١)</sup> (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا <sup>(٢)</sup> فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ <sup>(٣)</sup> (٤٠) وَلَنْ يَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ (سورة الشورى: ٣٩-٤١).

فَجَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - العَفْوَ مَقْرُونًا بِالْإِصْلَاحِ، فَإِذَا كَانَ العَفْوُ غَيْرَ إِصْلَاحٍ، فَلَا يَنْتَصَرُ أَفْضَلُ.

وَيُوضِّحُ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ هَذَا التَّسْأُولَ: «إِنْ كَانَ الْبَاغِي مُعْلِنًا بِالْفُجُورِ، وَقِحًا فِي الْجُمْهُورِ، مُؤْذِيًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ - فَيَكُونُ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ أَفْضَلَ».

(١) ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾: أَيِ يَنْتَقِمُونَ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْتَسْلِمُونَ لظُلْمِ الْمُعْتَدِي.

(٢) ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾: أَيِ جَزَاءُ الْعُدْوَانِ أَنْ يَنْتَصِرَ الْمَظْلُومُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ بِمِثْلِ عُدْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

(٣) قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾:

«يَجْزِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَثَوَابًا كَثِيرًا، وَشَرَطَ اللَّهُ فِي الْعَفْوِ الْإِصْلَاحَ فِيهِ؛ لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْجَانِي لَا يَلِيقُ الْعَفْوُ عَنْهُ، وَكَانَتِ الْمَصْلَحَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَقْتَضِي عُقُوبَتَهُ - فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَا يَكُونُ مَأْمُورًا بِهِ». وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: «الَّذِينَ يَجْنُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ ابْتِدَاءً، أَوْ يُقَابِلُونَ الْجَانِي بِأَكْثَرِ مِنْ جُنَايَتِهِ، فَالزِّيَادَةُ ظُلْمٌ». «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٧٦٠).

وَيَصِفُ الْحَالَةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِلْعَفْوِ، فَيَقُولُ: «أَنْ تَكُونَ الْفَلْتَةَ، أَوْ يَقَعُ ذَلِكَ مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِالزَّلَّةِ، وَيَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ - فَالْعَفْوُ هَا هُنَا أَفْضَلُ»<sup>(١)</sup>.

وَأَكَّدَ هَذَا الْمَعْنَى الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَوَافَقَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الْإِنْتِصَارِ تُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنِ السَّلَفِ:

«كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَذْلُوا أَنْفُسَهُمْ، فَتَجَتَرَّى عَلَيْهِمُ الْفُسَاقُ»<sup>(٢)</sup>.

وَحَصَّصَ الْعَفْوَ فِيمَا إِذَا كَانَ الْجَانِي نَادِمًا مُقْلَعًا.

وَأَسْتَحْسَنَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَا التَّفْصِيلَ وَأَقْرَهُ، وَحَمَلَ الْغُفْرَانَ عَلَى غَيْرِ الْمُصِرِّ، وَقَالَ: «فَأَمَّا الْمُصِرُّ عَلَى الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ فَالْأَفْضَلُ الْإِنْتِصَارُ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَهَا هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَنْصَرُّ مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا شَعَرَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرُهَا عَلَى هَذَا الْإِنْتِصَارِ.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي<sup>(٤)</sup>، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنَنِي إِلَيْكَ، يَسْأَلُنَكَ الْعَدْلَ<sup>(٥)</sup> فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ.

(١) «تفسير القرطبي» (٣٩/١٦).

(٢) رواه البخاري.

(٣) «تفسير القرطبي» (٣٩/١٦).

(٤) المِرْطُ: وَاحِدُ الْمِرْطِ، وَهِيَ أَكْسِيَّةٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ - أَيِ حَرِيرٍ - كَانَ يُؤْتَرُّ بِهَا.

(٥) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَيُّ يَطْلُبُنْ مِنْكَ الْعَدْلَ فِي الْمَحَبَّةِ الْقَلْبِيَّةِ، إِذْ كُنَّ يَشْعُرْنَ أَنَّ لَهَا فِي قَلْبِهِ مَنَزَلَةً لَيْسَتْ لغيرها، وَكُنَّ يَرَيْنَ هَدَايَا النَّاسِ تَأْتِي حِينَ يَكُونُ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ.

وانا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله - ﷺ -: «أَيُّ بَنِيَّةٍ، أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟». فقالت: «بَلَى». قال: «فَأَحِبِّي هَذِهِ». قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله - ﷺ -، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ -، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَقُلْنَ لَهَا: «مَا نَرَاكَ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَقُولِي لَهُ: «إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَّكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ». فقالت فاطمة: «والله، لا أَكَلُمُهُ أَبَدًا».

قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: فَارْسَلِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - ﷺ - زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ -، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي <sup>(١)</sup> مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً - قَطُّ - خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَاتَّقَى اللَّهُ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، مَا عَدَا سُورَةَ مِنْ حَدِيثٍ <sup>(٢)</sup> كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ <sup>(٣)</sup>، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَعَ عَائِشَةَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهِيَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنَنِي إِلَيْكَ، يَسْأَلُنَّكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ». قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعْتُ بِي <sup>(٤)</sup>، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، وَأَرْقُبُ طَرَفَهُ <sup>(٥)</sup>، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا.

(١) تُسَامِينِي: أَيُّ تُعَادِلُنِي وَتُضَاهِينِي فِي الْخُطُورَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، مَاخُودٌ مِنَ السُّمُوِّ، وَهُوَ الْعُلُوُّ وَالْارْتِفَاعُ.

(٢) سُورَةُ مِنْ حَدِيثٍ: هِيَ شِدَّةُ الْخُلُقِ وَثَوْرَانِهِ.

(٣) الْفَيْئَةُ: الرَّجُوعُ مُصْدَرٌ فَأَيْ يَفِيءُ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهَا كَامِلَةُ الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّ فِيهَا شِدَّةَ خُلُقِي، وَسُرْعَةَ غَضَبِي، تُسْرِعُ مِنْهَا الرَّجُوعُ، أَيُّ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهَا رَجَعْتُ عَنْهُ سَرِيعًا، وَلَا تُصِرُّ عَلَيْهِ. وَفِي كَلَامِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَدَبُ النُّبُوَّةِ، فَمَعَ مَبَادِئُهَا بِالسَّبَابِ لَمْ تَتَجَاوَزْ حَدَّ الْعَدْلِ، وَلَمْ تَغْمِطْهَا حَقًّا.

(٤) وَقَعْتُ بِي: نَالَتْ مِنِّي.

(٥) الطَّرْفُ: تَحْرِيكُ الْجَفْنِ، أَوْ تَحْرِيكُ الْعَيْنِ.



قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ. قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعَتْ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا <sup>(١)</sup> حِينَ <sup>(٢)</sup> أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا <sup>(٣)</sup>. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَتَبَسَّمَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ» <sup>(٤)</sup>.

### ■ لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ:

أَيُّ أَخِي فِي اللَّهِ، اعْلَمْ - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ! - أَنَّ بَعْضَ انتصارك مِنْ أَخِيكَ الْمُسِيءِ إِلَيْكَ قَدْ يَزِيدُ الشَّرَّ، فَقَدِّرِ الْمَصَالِحَ وَالْمَفَاسِدَ بِقَدْرِهَا، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ انتصارك سَوْفَ يَجْعَلُهُ يَعُودُ إِلَى رُشْدِهِ، وَيَقْمَعُ شَرَّهُ، فانتصر منه، وَإِلَّا فَعَلَيْكَ أَنْ تَسُدَّ أَبْوَابَ الشَّيْطَانِ.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ فَأَذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ أَذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ أَذَاهُ الثَّالِثَةَ، فانتصر منه أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ انتصر أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَوْجَدْتُ عَلِيَّ» <sup>(٥)</sup>، يَا رَسُولَ اللَّهِ!، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انتصرت وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ» <sup>(٦)</sup>.

(١) لَمْ أَنْشَبْهَا: لَمْ أَمْهَلْهَا.

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ (حَتَّى) بَدَلَ (حِينَ)، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

(٣) أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا: قَصَدْتُهَا وَاعْتَمَدْتُهَا بِالْمُعَارَضَةِ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٤٢).

(٥) وَجَدَ: وَجَدَ الشَّيْءَ: أَصَابَهُ. وَوَجَدَ الْمَالَ: اسْتَعْنَى بِهِ. وَوَجَدَ عَلَيْهِ: غَضِبَ. وَوَجَدَ لَهُ: حَزَنَ عَلَيْهِ. وَوَجَدَ بِفُلَانٍ: أَحَبَّهُ حُبًّا قَوِيًّا.

(٦) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٩٦)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٧٥٨/٢)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (٢٣٧٦).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ. فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ:

«إِنَّمَا وَقَعَ الشَّيْطَانُ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ؛ فَإِنَّ انْتِصَارَهُ يُغْرِي صَاحِبَهُ، سَيِّئًا وَقَدْ بَدَأَ الشَّرُّ مِنْهُ بِتَكَرُّرِ الْإِسَاءَةِ بِالتَّزْيِيدِ وَالتَّمَادِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَفَاقُمِ الْخُطْبِ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ<sup>(٢)</sup> أَخْلَاقُنَا. شَرْفًا. ■■■ أَنْ نَبْتَدي بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا  
بِيَضْ صَنَائِعُنَا<sup>(٣)</sup>، سُودٌ وَقَائِعُنَا<sup>(٤)</sup> ■■■ خُضْرُ مَرَابِعُنَا<sup>(٥)</sup>، حُمْرُ مَوَاضِينَا<sup>(٦)</sup>

■ فَايْدَةُ مُهِمَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْاِنْتِصَارِ:

قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ.:

«وَلِإِنِّي بِهِذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أَوْدُ أَنْ أُنبِّهَ عَلَى مَسْأَلَةٍ يَفْعَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِقَصْدِ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ: أَنْ تَقَعَ حَادِثَةٌ مِنْ شَخْصٍ، فَيَهْلِكُ بِسَبَبِهَا شَخْصٌ آخَرُ، فَيَأْتِي أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، فَيُسْقِطُونَ الدِّيَّةَ عَنْ هَذَا الْجَانِي الَّذِي فَعَلَ الْحَادِثَ، فَهَلْ إِسْقَاطُهُمْ لِلدِّيَّةِ مَحْمُودٌ، وَتُعْتَبَرُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، أَمْ فِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ؟»

(١) «شرح سنن أبي داود معالم السنن» (٢٠٤/٥).

(٢) أَبَتْ: كَرِهَتْ وَرَفَضَتْ.

(٣) الصَّنَائِعُ: جَمْعُ صَنِيعَةٍ، وَهِيَ النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ.

(٤) الْوَقَائِعُ: جَمْعُ وَقِيعَةٍ، وَهِيَ الْمَعْرَكَةُ.

(٥) الْمَرَابِيعُ: جَمْعُ مَرَبَعٍ، وَهُوَ مَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي الرَّبِيعِ خَاصَّةً.

(٦) الْمَوَاضِي: السُّيُوفُ الْقَاطِعَةُ.

في ذلك تفصيل: فلا بُدَّ أن نتأمل ونفكر في حال الجاني الذي وقع منه الحادث، هل هو من الناس المعروفين بالتهور، وعدم المبالاة؟، هل هو من الطراز<sup>(١)</sup> الذي يقول: أنا لا أبالي أن أدهس شخصاً؛ لأنَّ ديتَه في الدرج<sup>(٢)</sup> - والعياذُ بالله - ؟.

أم أنه رجلٌ حصلت منه هذه الحادثة مع كمال التعقل، وكمال الاتزان، ولكنَّ الله قد جعل لكلِّ شيءٍ مقدراً؟.

وإن كان من هذا الطراز الأخير، فالعفو في حقه أولى، ولكن - حتى وإن كان من هذا الطراز المتعقل المتزن - يجب قبل أن نعفو عنه أن ننظر هل على الميت دين؟، فإذا كان على الميت دين، فإنه لا يمكن أن نعفو، ولو عفوْنَا فإنَّ عفوْنَا لا يُعْبَرُ، وهذه مسألةٌ ربَّما يغفل عنها كثير من الناس، ونحن نقول ذلك؛ لأنَّ الورثة يتلقون الاستحقاق لهذه الدية من الميت الذي أُصيب بالحادث، ولا يردُّ استحقاقهم إلاَّ بعد قضاء الدين، إن كان الميت مديناً، ولهذا لما ذكر الميراث قال: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (سورة النساء: ١١)<sup>(٣)</sup>.

### ■ فائدة:

قد يكون الرجل مغلوباً على أمره<sup>(٤)</sup>، فهذا عليه أن يتأسى بنوح - عليه السلام -، فحينما عجز عن قومه، توجه بالدعاء إلى ربه، قال الله - تعالى - حاكياً عنه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (سورة القمر: ١٠).

(١) الطراز: النوع والنمط، والجمع أطرزة وطرز.

(٢) الدرج: الخزانة، جمعه درجة، وأدرج، ودروج.

(٣) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص ٢٨).

(٤) مغلوباً على أمره: أي غير قادر على الانتصار ممن ظلمه.



فهذا - لعمري - أعظم الانتصار، فالرجل المغلوب على أمره ينصره الله، ألا ترى كيف استجاب الله دعاء نوح، فاتاه سؤاله بأن انتصر له من قومه، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ (١)﴾ (سورة القمر: ١١-١٣) .

فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله سترٌ أو تأخيرٌ .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ - وَإِنْ كَانَ كَافِرًا (٢) - ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ » (٣) .

وعن خزيمة بن ثابت - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهَا تَحْمِلُ عَلَى الْغَمَامِ ، يَقُولُ اللَّهُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » (٤) .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ » (٥) (٦) .

(١) الدُّسْرُ: الخيوط التي تُشدُّ بها أَلْوَحُ السَّفِينَةِ . وقيل : هي المسامير ، والمفرد دَسَارٌ بالفتح .  
(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فليس كلُّ مَنْ مَتَّعَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ وَنَصْرٍ - إمَّا إجابة لدُعائه ، وإمَّا بدون ذلك - يكون مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُؤَالِيهِ ، بل هو - سبحانه - يَرْزُقُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ ، وَالْبَرَّ وَالْفَاجِرَ ، وَقَدْ يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ ، وَيُعْطِيهِمْ سُؤْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ » . « اقتضاء الصُّرُاطِ الْمُسْتَقِيمِ » (ص ٤١٣) .

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١٥٣/٣) ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٩/١) ، و«الصَّحِيحة» (٧٦٧) .

(٤) رواه الطَّبْرَانِيُّ في «الكبير» ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» ، و«الصَّحِيحة» (٨٦٨) .

(٥) الشَّرَارَةُ - بالفتح - : واحدة الشَّرَارِ ، وهو ما يتطاير من النَّارِ .

(٦) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢٩/١) ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٨/١) ، و«الصَّحِيحة» (٨٧١) .

وَوَصَفَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَقَالَ:

وَسَارِيَةٍ لَمْ تَسِرْ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي ■■■ مَحَلًّا، وَلَمْ يَقْطَعْ بِهَا الْبَيْدُ <sup>(١)</sup> قَاطِعُ  
 سَرَتْ حَيْثُ لَمْ تَسِرِ الرُّكَّابُ <sup>(٢)</sup> وَلَمْ تُنَخَّ <sup>(٣)</sup> ■■■ لَوْرْدٍ، وَلَمْ يَقْصُرْ لَهَا الْقَيْدَ مَانِعُ  
 تَظَلُّ وَرَاءَ اللَّيْلِ، وَاللَّيْلُ سَاقِطٌ ■■■ بِأَوْرَاقِهِ، فِيهِ سَمِيرٌ <sup>(٤)</sup> وَهَاجِعٌ <sup>(٥)</sup>  
 تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَوْفِدِهَا ■■■ إِذَا قَرَعَ الْأَبْوَابَ مِنْهُنَّ قَارِعُ  
 إِذَا سَأَلْتَ لَمْ يَرُدَّ اللَّهُ سُؤْلَهَا ■■■ عَلَى أَهْلِهَا، وَاللَّهُ رَءٍ وَسَامِعٌ <sup>(٦)</sup>



(١) البِيد - بوزن البيض - : جمعُ بَيْدَاءَ، وهي الصَّحْرَاءُ الْفَاحِلَةُ.

(٢) الرُّكَّاب: الإِبِلُ الَّتِي يُسَارُ عَلَيْهَا، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا.

(٣) أَنَاخَ الْجَمَلِ: أَمْرَهُ.

(٤) سَمِير: سَاهِر.

(٥) هَاجِع: نَائِم.

(٦) «الْعَقْدُ الْفَرِيدُ» (٣/٢٢٧).

## الإنصاف

الإنصافُ خَصْلَةٌ شَرِيفَةٌ، وَخَلَّةٌ كَرِيمَةٌ، يَدُلُّ عَلَى نَفْسٍ مَطْمَئِنَّةٍ، وَأَفْقٍ وَاسِعٍ، وَنَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ بَعِيدٍ.

وَيُعَرَّفُ بِأَنَّهُ: اسْتِيفَاءُ الْحُقُوقِ لِأَرْبَابِهَا، وَاسْتِخْرَاجُهَا بِالْأَيْدِي الْعَادِلَةِ، وَالسِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي إِنْصَافِ النَّاسِ:

«أَنْ تُؤَدِّيَ حُقُوقَهُمْ، وَأَلَّا تُطَالِبَهُمْ بِمَا لَيْسَ لَكَ، وَأَلَّا تَحْمِلَهُمْ فَوْقَ وَسْعِهِمْ، وَأَنْ تُعَامِلَهُمْ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ، وَأَنْ تَعْفُوهُمْ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يَعْفُوكَ مِنْهُ، وَأَنْ تَحْكُمَ لَهُمْ - أَوْ عَلَيْهِمْ - بِمَا تَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِكَ أَوْ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

وَالْإِنْصَافُ وَالْعَدْلُ تَوْءَمَانِ، نَتِيجَتُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ، وَبَرَاءَةُ الذِّمَّةِ بِاِكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ، وَاجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالْإِنْصَافِ، وَنَهَى أَنْ يَحْمِلَنَا بُغْضُنَا لِلْكَفَّارِ عَلَى عَدَمِ الْإِنْصَافِ، فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٨).

(١) «زاد المعاد» (٤٠٧/٢) بتصرف.

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص ٦٤).



قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«فَنَهَى أَنْ يَحْمِلَ الْمُؤْمِنِينَ بُغْضُهُمْ لِلْكَفَّارِ عَلَى الْأَلَّا يَعْدِلُوا، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْبُغْضُ لِفَاسِقٍ، أَوْ مُبْتَدِعٍ، أَوْ مُتَأَوِّلٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ؟!، فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ أَلَّا يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى الْأَلَّا يَعْدِلَ عَلَى مُؤْمِنٍ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ:

«أَيُّ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ؛ فَإِنَّ الْعَدْلَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فِي كُلِّ أَحَدٍ، فِي كُلِّ حَالٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا عَامَلْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (سورة المائدة: ٢).

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْفَرَّاءُ: «أَيُّ لَا يُكْسِبَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ أَنْ تَعْتَدُوا»<sup>(٣)</sup> الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَالْعَدْلَ إِلَى الظُّلْمِ»<sup>(٤)</sup>.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَحَلَّى الْمَرْءُ بِالْإِنْصَافِ!، فَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِلَّا الْحَقَّ.

(١) «الاستقامة» (٣٨/١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/٢).

(٣) تعتدوا: تتجاوزوا.

(٤) «تفسير القرطبي» (٤٥/٦).

قال ابن القيم - يرحمه الله :-

وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا ■■■ يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمُومَةٍ وَهَوَانٍ<sup>(١)</sup>  
 ثوب من الجهل المركب فوقه ■■■ ثوب التَّعَصُّبِ، يَنْسَتِ الثُّوبَانِ  
 وَتَحُلُّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرُ حُلَّةٍ ■■■ زينتُ بها الأعطافُ<sup>(٢)</sup> والكتِفانِ<sup>(٣)</sup>

وَمَنْ أَنْصَفَ الْعِبَادَ أَنْصَفَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَالْحُجَجِ وَالْمَقَالَاتِ،  
 وَقَدْ عَابَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الَّذِينَ يَبْخَسُونَ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَأَوْعَدَهُمْ  
 بِالْخُسَارِ وَالْهَلَاكِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا  
 عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (سورة المطففين: ١-٣).

قال العلامة ابن سَعْدِي - يرحمه الله :-

«دَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ كَمَا يَأْخُذُ مِنَ النَّاسِ الَّذِي لَهُ، يَجِبُ  
 عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ كُلَّ مَا لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمُعَامَلَاتِ، بَلْ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ هَذَا  
 الْحُجَجِ وَالْمَقَالَاتِ، فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمُنَظَّرِينَ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
 يَحْرِصُ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْحُجَجِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ - أَيْضًا - أَنْ يُبَيِّنَ مَا لَخَصَمِهِ مِنَ  
 الْحُجَجِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا، وَأَنْ يَنْظُرَ فِي أدْلَةٍ خَصَمِهِ كَمَا يَنْظُرُ فِي أدْلَتِهِ هُوَ، وَفِي  
 هَذَا الْمَوْضِعِ يُعْرِفُ أَنْصَافُ الْإِنْسَانِ مِنْ تَعَصُّبِهِ وَاعْتِسَافِهِ<sup>(٤)</sup>، وَتَوَاضَعُهُ مِنْ كِبَرِهِ،  
 وَعَقْلُهُ مِنْ سَفَهِهِ<sup>(٥)</sup>».

(١) الْهَوَانُ: الْخِزْيُ وَالْعَارُ.

(٢) الْأَعْطَافُ: جَمْعُ عَطْفٍ، وَهُوَ جَانِبُ الْإِنْسَانِ مِنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكِهِ.

(٣) «نُونِيَّةُ ابْنِ الْقَيْمِ» (١/٥٢).

(٤) الْإِعْتِسَافُ: أَشَدُّ الظُّلْمِ.

(٥) «تَفْسِيرُ ابْنِ سَعْدِي» (ص ٩١٥).

وَمِنَ الْإِنْصَافِ - أَيْضًا - قَبُولُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ مَنْ قَالَهُ، كَانَتْهُ مَنْ كَانَ، حَتَّى مِنْ الْمُتَبَدِّعِ بَلْ وَمِنَ الْكَافِرِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ رَدَّ قَوْلَهُ فَقَدْ رَدَّ الْحَقَّ.

أَلَا تَرَى أَنَّ مَلَكَةَ سَبَا فِي حَالِ كَوْنِهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ وَقَوْمُهَا، لَمَّا قَالَتْ كَلَامًا حَقًّا صَدَّقَهَا اللَّهُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ كُفْرُهَا مَانِعًا مِنْ تَصْدِيقِهَا فِي الْحَقِّ الَّذِي قَالَتْهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهَا فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهَا: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (سورة النمل: ٣٤).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«أَيُّ أَهَانُوا شُرَفَاءَهَا؛ لِيَسْتَقِيمَ لَهُمُ الْأُمُورُ، فَصَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَهَا: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: ٣٤).

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هُنَا وَقَفُ تَامٌ، فَقَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- تَحْقِيقًا لِقَوْلِهَا: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ قَتِيلَةَ بِنْتِ صَيْفِي الْجُهَيْنِيَّةِ قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَشْرِكُونَ!». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ؟». قَالَ: «تَقُولُونَ - إِذَا حَلَفْتُمْ -: وَالْكَعْبَةِ!». قَالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ». قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدَاءً»<sup>(٢)</sup>. قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ؟».

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٧٤).

(٢) «الندد - بالكسر -: المثل والنظير، والجمع أنداد».



قال: «تقولون: ما شاء الله وشئت». قالت: فامهل رسول الله - ﷺ - شيئاً، ثم قال: «إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليُفصل بينهما ثم شئت»<sup>(١)</sup>.

وما أجمل قول الشاعر:

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ ■■■ حُكْمَ الصُّوَابِ، إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصٍ  
فَالدُّرُّ - وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى - ■■■ مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ  
وجاء في قصة أبي هريرة مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من طعام الزكاة،  
فأمسكه ثم أطلقه، ثم قال له في الثالثة: «لأرفعنك إلى رسول الله - ﷺ -، وهذا آخر  
ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود». قال: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها».  
قلت: «ما هن؟». قال: «إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥). حتى تختتم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله  
حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح». قال أبو هريرة: فخلّيت سبيله، فأصبحت،  
فقال لي رسول الله - ﷺ -: «ما فعل أسيرك البارحة»<sup>(٢)</sup>. قلت: «يا رسول الله، زعم أنه  
يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ». قال: «ما هي؟». قلت: «قال لي: إذا  
أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. وقال لي:  
لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، - وكانوا أحرصَ  
شيءٍ على الخير - فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدّقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب  
منذ ثلاث ليالٍ، يا أبا هريرة؟». قال: «لا». قال: «ذاك شيطان!»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (٣٧١/٦ - ٣٧٢)، والحاكم (٢٩٧/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في  
«صحيح الجامع» (٦٢١٤/٢)، و«الصحيح» (١٣٦).

(٢) البارحة: الليلة الماضية.

(٣) رواه البخاري (٢٣١١) و (٣٢٧٥) و (٥٠١٠).

وفي هذا الباب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - :

«واللهُ أَمَرَنَا أَلَّا نَقُولَ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَأَلَّا نَقُولَ عَلَيْهِ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَأَمَرَنَا بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، فَلَا يَجُوزُ إِذَا قَالَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ - فَضْلاً عَنْ الرَّافِضِيِّ - قَوْلًا فِيهِ حَقٌّ - أَنْ نَتْرَكَهُ، أَوْ نَرُدَّهُ كُلَّهُ، بَلْ لَا نَرُدُّ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ دُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

وما أجمل ما قاله الشاعر عبده محمد العماد - حفظه الله - :

أَنْصِفْ وَإِنْ كُنْتَ ذَا جَاهٍ وَمَرْتَبَةٍ ■■■ وَعُدْ إِلَى الْحَقِّ مَهْمَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا  
فَمَنْ تَكَبَّرَ فِي حَقِّ أَهْيَنَ بِهِ ■■■ وَمَنْ تَوَاضَعَ فِي حَقِّ فَقْدٍ كَبُرًا

وقال الآخر:

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً ■■■ بَيْنَ الرُّجَالِ، وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ



(١) «منهج السنة النبوية» (٢/٣٤٢).

## المُدَاراةُ



المُدَاراةُ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْعَقْلِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَمَتَانَةِ الدِّينِ، بِهَا يَنَالُ الْمَرْءُ سَبِيلَ الرِّاحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي الْحَيَاةِ لِاتِّقَاءِ شَرِّ الْأَشْرَارِ، وَدَوَامِ مُعَاشَرَةِ الْأَخْيَارِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُدَارَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ: أَنَّ الْمُدَارَاةَ بَذْلُ الدُّنْيَا لَصَلَاحِ الدُّنْيَا، أَوِ الدِّينِ، أَوْ هُمَا مَعًا، وَهِيَ مُبَاحَةٌ، وَرَبَّمَا اسْتَحَبَّتْ. وَالْمُدَاهَنَةُ تَرْكُ الدِّينِ لَصَلَاحِ الدُّنْيَا، فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ.

فَالْمُدَارَاةُ - إِذَا - إِنَّمَا تَكُونُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَقَطْ.

وَتُعَرَّفُ الْمُدَارَاةُ بِأَنَّهَا: الْمُلَايَنَةُ وَالْمُلَاطَفَةُ، وَأَصْلُهَا الْمُخَاتَلَةُ، وَمِنْهُ الدَّرَايَةُ، وَهُوَ الْعِلْمُ مَعَ تَكَلُّفٍ وَحِيلَةٍ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْمُدَارَاةُ: خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ، وَلِيْنُ الْكَلَامِ، وَتَرْكُ الْإِغْلَاطِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ، وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأُلْفَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْمُدَارَاةُ: الدَّفْعُ بِرَفْقٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص ١٠٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٤٥).

(٣) المرجع السابق (١٠/٥٢٨).



والمُدَاراةُ لأبدٍ منها في الحياة؛ وذلك لأنَّ النَّاسَ لَهُمْ طَبَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ، هِيَ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِبَصْمَةِ الْيَدِ.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُدَارِيَ النَّاسَ مُدَارَاةَ الرَّجُلِ السَّابِحِ فِي الْمَاءِ الْجَارِي، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى عَشْرَةِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، كَدَّرَ عَلَى نَفْسِهِ عَيْشَهُ، وَلَمْ تَصِفْ لَهُ مَوَدَّتَهُ؛ لِأَنَّ وَدَادَ النَّاسِ لَا يُسْتَجْلَبُ إِلَّا بِمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْتَمًّا، فَإِذَا كَانَتْ حَالُهُ مَعْصِيَةً فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَالْبَشَرُ قَدْ رُكِبَ فِيهِمْ أَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةٌ، وَطَبَائِعُ مُتَبَايِنَةٌ، فَكَمَا يَشُقُّ عَلَيْكَ تَرْكُ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، فَكَذَلِكَ يَشُقُّ عَلَى غَيْرِكَ مُجَانَبَةُ مِثْلِهِ، فَلَيْسَ إِلَى صَفْوِ وَدَادِهِمْ سَبِيلٌ إِلَّا بِمُعَاشَرَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ، وَالْإِغْضَاءُ<sup>(١)</sup> عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، إِذْ أَنْ مَنْ لَمْ يُعَاشِرِ النَّاسَ عَلَى لُزُومِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَتَرَكَ التَّوَقُّعَ لِمَا يَأْتُونَ مِنَ الْمَحْبُوبِ - كَانَ إِلَى تَكْدِيرِ عَيْشِهِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى صَفَائِهِ، وَإِلَى أَنْ يَدْفَعَهُ الْوَقْتُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَنَالَ مِنْهُمْ الْوَدَادَ وَتَرَكَ الشَّحْنَاءَ، وَمَنْ لَمْ يُدَارِ صَدِيقَ السُّوءِ، كَمَا يُدَارِي صَدِيقَ الصُّدُقِ - لَيْسَ بِحَازِمٍ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

تَجَنَّبْ صَدِيقَ السُّوءِ، وَاصْرُمْ<sup>(٢)</sup> حَيَالَهُ □ □ □ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصًا<sup>(٣)</sup> فَدَارِهِ

وَأَحْبِبْ حَبِيبَ الصُّدُقِ، وَاحْذَرْ مِرَاءَهُ □ □ □ تَنَلْ مِنْهُ صَفْوَ الْوُدِّ مَا لَمْ تُمَارِهِ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّمَا رَأَى مِنْ أَحَدٍ زَلَّةً فَرَفَضَهُ لِزَلَّتْهُ، بَقِيَ وَحِيدًا لَا يَجِدُ

(١) الْإِغْضَاءُ: التَّغَافُلُ.

(٢) اصْرُمْ: اقْطَعْ.

(٣) مَحِيصًا: مَقَرًّا.

مَنْ يُعَاشِرُهُ، وَفَرِيدًا لَا يَجِدُ مَنْ يُخَادِنُ، بَلْ يُغْضِي عَلَى الْأَخِ الصَّادِقِ زَلَّاتِهِ، وَلَا يُنَاقِشُ الصَّدِيقَ السَّيِّئَ عَلَى عَثَرَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُرَيْزِيُّ:

أُغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي كَأَنِّي ■■■ لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقُبْحِ جَاهِلُ  
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي ■■■ تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُرْهِ فِيمَا أُحَاوِلُ  
مَتَى مَا يَرِينِي <sup>(١)</sup> مَفْصِلٌ فَقَطَعَتْهُ ■■■ بَقِيتُ وَمَا لِي فِي نُهُوضِي مَفَاصِلُ  
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ، وَإِنْ صَحَّ شَدَنِي ■■■ فَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلٌ <sup>(٢)(٣)</sup>

وَلِلَّهِ دُرُّ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ حِينَ قَالَ:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا ■■■ صَدِيقَكَ، لَمْ تَلُقْ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ  
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ■■■ ظَمِئْتَ، وَآيُ النَّاسِ تَصْنَفُو مَشَارِبَهُ؟  
فَعِشْ وَاحِدًا، أَوْ صِلْ أَخَاكَ، فَإِنَّهُ ■■■ مُقَارِفُ ذَنْبٍ <sup>(٤)</sup> مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ <sup>(٥)</sup>

فَالزَّمْ - أَخِي فِي اللَّهِ - غَرَزَ الْمُدَارَاةِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - رَجُلٌ، فَقَالَ: «اِئْذَنْوَا لَهُ،  
فَبُئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» <sup>(٦)</sup> - أَوْ بُئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ -. فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ:  
«يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلْنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ؟». فَقَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ، إِنْ شَرَّ النَّاسُ  
مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ - النَّاسُ اتَّقَاءَ فُحْشِهِ» <sup>(٧)</sup>.

(١) رَأَيْتُ الشَّيْءَ: رَأَى مِنْهُ مَا يَرِيهِ وَيَكْرَهُهُ.

(٢) التَّحَامُلُ: التَّكْلِيفُ بِمَا لَا يُطَاقُ.

(٣) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (ص ٧٢ - ٧٣) بِتَصْرِفٍ.

(٤) مُقَارِفُ: ذَنْبٌ: مُرْتَكِبُهُ.

(٥) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ١٧٨).

(٦) الْعَشِيرَةُ: الْقَبِيلَةُ، أَيْ بُئْسَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْهَا.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٣٢) وَ (٦٠٥٤) وَ (٦١٣١)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٩١).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«المدارةُ من أخلاق المؤمنين، وهي من أقوى أسباب الألفة بينهم، فإن قال بعضهم: إنَّ المدارةَ هي المداهنةُ، وهذا غلطٌ؛ لأنَّ المدارةَ مندوبٌ إليها، والمداهنةُ محرمةٌ، والفرقُ بينهما أنَّ المداهنةَ من الدهان، وهو الذي يظهر الشيء، ويستترُ بباطنه، وقد فسرها (يعني المدارة) العلماءُ بأنها: معاشرَةُ الفاسقِ في النهي عن فعله، وترك الإغلاظِ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكارُ عليه بلطفِ القولِ والفعلِ، ولا سيما إذا احتجَّ إلى تأليفه»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ ■■■ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَةِ  
مَنْ يَدْرِدَارِي، وَمَنْ لَمْ يَدْرِسْ سَوْفَ يَرَى ■■■ عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ<sup>(٢)</sup>  
وعلى هذا الخلق العظيم سار سلفنا الصالح، فكانوا يدارون ما لا بدَّ لهم من  
معاشرته، أو احتاجوا إلى تأليفه.  
قَالَ معاوية - رضي الله عنه -: «لَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا انْقَطَعَتْ». قِيلَ:  
«وَكَيْفَ؟!». قَالَ: «لَأَنَّهُمْ إِنْ مَدَّوْهَا خَلَّيْتُهَا، وَإِنْ خَلَّوْا مَدَدْتُهَا»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

تَدَارَوْا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا سَاءَ حَالُكُمْ ■■■ وَشَاعَتْ خُصُومَاتُ أَتَتْ بِالْمَصَائِبِ  
سَتَنْقَطِعُ الْأَسْبَابُ<sup>(٤)</sup> - لَا شَكَّ حِينَهَا - ■■■ إِذَا شُدَّتِ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٤٥).

(٢) «الآداب الشرعية» (١/١٠٠).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ٧٢).

(٤) الأسباب: جمع سبب، وهو الخبل.



وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَأُمِّ الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «إِذَا غَضِبْتَ فَرَضِينِي، وَإِذَا غَضِبْتَ رَضِيْتُكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا، مَا أَسْرَعَ مَا نَفْتَرُقُ!»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُهُ مُحَمَّدُ الْعِمَادُ:

وَدَارَ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى تَجِدُهُ ■■■ يُحِبُّكَ دُونَ كُلِّ الْعَاذِلِينَ  
وَيَسْمَعُ مِنْكَ، إِنْ أَلْقَيْتَ نَصْحًا ■■■ وَقَدْ أَعْيَا سِوَاكَ النَّاصِحِينَ

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَكَانُوا يَقُولُونَ: الْمُدَارَةُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَأَنَا أَقُولُ: هِيَ الْعَقْلُ كُلُّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ:

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى<sup>(٣)</sup> دَارَ غُرْبَةٍ ■■■ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً لَا أَشَاكِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
فَحَامَقَتُهُ<sup>(٥)</sup> حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ<sup>(٦)</sup> ■■■ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ<sup>(٧) (٨)</sup>

وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ:

خَلِيلِي، إِنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ■■■ وَإِنْ يَسَّارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ  
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا ■■■ صَحَوْتُ، وَإِنْ مَاقَ<sup>(٩)</sup> الزَّمَانُ أَمُوقُ<sup>(١٠)</sup>

(٢) «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٦٨).

(١) «روضة العقلاء» (ص ٧٢).

(٣) النوى: أراد به البعد عن العقلاء وأهل الدين إلى أهل الهزل والمجانة تصنعاً.

(٤) أشاكله: أشابهه وأماثله.

(٥) فحامقته: جاريته في حمقه.

(٦) السجينة: الخلق والطبيعة، والجمع سجايا.

(٨) «عيون الأخبار» (٣/ ٣٠).

(٧) أعاقله: أجاريه في عقله.

(١٠) «عيون الأخبار» (٣/ ٣٠).

(٩) الموق: الحمق في غباوة.

## الْصُّدُقُ



الْصُّدُقُ خَصْلَةٌ مَحْمُودَةٌ، وَسَجِيَّةٌ مَدْحُوحَةٌ، وَالصُّدُقُ: هُوَ أَنْ يَخْبَرَ الْإِنْسَانُ عَمَّا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ بِلا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، بِلا وَكْـسٍ<sup>(١)</sup>، وَلَا شَطَطٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَيْسَ الْإِخْبَارُ - أَيْضًا - مَقْصُورًا عَلَى الْقَوْلِ فَحَسَبَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بِالْفِعْلِ: كَالِإِشَارَةِ بِالْيَدِ، أَوْ هَزِّ الرَّأْسِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالسُّكُوتِ.

وَالصَّادِقُ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ كَبَاطِنُهُ؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ الْمُنَافِقَ فِي الصُّورَةِ الْمَقَابِلَةِ لِلصَّادِقِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٤).

وَالصُّدُقُ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ طَرِيقٌ إِلَى النَّارِ.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ الصُّدُقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الضُّجُورِ، وَإِنَّ الضُّجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»<sup>(٣)</sup>.

وَالصُّدُقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَصَاحِبُهُ كَرِيمٌ عَزِيزٌ، وَالْكَذِبُ رِييَّةٌ، وَصَاحِبُهُ مَهِينٌ ذَلِيلٌ.

(١) الْوَكْـسُ: النُّقْصُ، وَبَابُهُ وَعَدَ.

(٢) الشَّطَطُ - بِفَتْحَتَيْنِ - : مُجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٠٧).

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: «دَعُ مَا يَرِيْبُكَ<sup>(١)</sup> إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيْبَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا قُلْتُ قَوْلًا كُنْتُ لِقَوْلٍ فَاعِلًا ■■■ وَكَانَ حَيَائِي كَافِلِي وَضَمِينِي  
تُبَشِّرُ عَنِّي بِالْوَفَاءِ بِشَاشَتِي ■■■ وَيَنْطِقُ نُورُ الصَّدْقِ فَوْقَ جَبِينِي

وَالصَّدْقُ - أَيْضًا - سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ فِي الْأَرْزَاقِ.

عَنْ أَبِي خَالِدٍ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -:  
«الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا  
وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»<sup>(٣) (٤)</sup>.

وَالصَّدْقُ مِنْ أَصُولِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَفَرَّعُ عَنْهَا غَيْرُهَا.

قَالَ الْحَارِثُ الْمَحَاسِبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَأَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الصَّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ، فَمِنْ الصَّدْقِ  
يَتَشَعَّبُ الصَّبْرُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالزُّهْدُ، وَالرِّضَى، وَالْأُنْسُ.

وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَتَشَعَّبُ الْيَقِينُ، وَالْخَوْفُ، وَالْمَحَبَّةُ، وَالْإِجْلَالُ، وَالْحَيَاءُ، وَالتَّعْظِيمُ.

(١) مَا يَرِيْبُكَ: مَا تَشْكُ فِي حِلِّهِ.

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨)، وروى النسائي شطره الأول (٥٧١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٧٨/١).

(٣) مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا: ذَهَبَتِ الْبَرَكَةُ، وَلَمْ يَحْصُلَا إِلَّا عَلَى التَّعَبِ.

(٤) رواه البخاري (٢٠٧٩) و (٢٠٨٢) و (٢١٠٩) و (٢٠١٠) و (٢١١٤)، ومسلم (١٥٣٢).



فَالصِّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ: صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ تَحْقِيقًا، وَصِدْقُ  
النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ صِدْقٌ وَكَذِبٌ ■■■ وَلَدَى الْقَلْبِ سِرُّهُ الْمَكْنُونُ<sup>(٢)</sup>

فَعَلَى الصِّدْقِ فِي الْعُيُونِ دَلِيلٌ ■■■ وَعَلَى الْوَجْهِ شَاهِدٌ لَا يَمِينُ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فَضَّلَ اللِّسَانَ عَلَى سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَبَانَ  
فَضِيلَتَهُ بِأَنْ أُنْطِقَهُ - مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ - بِتَوْحِيدِهِ، فَلَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعُودَ  
آلَهُ خَلْقَهَا اللَّهُ لِلنُّطْقِ بِتَوْحِيدِهِ بِالْكَذِبِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمَدَاوِمَةُ بِرِعَايَتِهِ بِلُزُومِ  
الصِّدْقِ، وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي دَارِيهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ يَقْتَضِي مَا عُوْدَ: إِنْ صِدْقًا  
فَصِدْقًا، وَإِنْ كَذِبًا فَكَذِبًا»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

عُوْدُ لِسَانِكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَدُ بِهِ ■■■ إِنْ اللِّسَانَ لَمَّا عَوْدَتْ مُعْتَادُ

مُوكَلُّ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ ■■■ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ<sup>(٥)</sup>

(١) «هداية المسترشدين» (ص ١٧٠).

(٢) المَكْنُونُ: الْمَسْتُور.

(٣) يَمِينُ: يَكْذِبُ، يُقَالُ: مَا نَ الرَّجُلُ مِيْنًا فَهُوَ مَائِنٌ وَمِيُونٌ.

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٥١).

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٣).

وَقَالَ آخِرُ:

عَلَيْكَ بِالصُّدُقِ، وَلَوْ أَنَّهُ ■■■ أَحْرَقَكَ الصُّدُقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ  
وَأَبْغَى رِضَى اللَّهِ، فَأَبْغَى <sup>(١)</sup> الْوَرَى <sup>(٢)</sup> ■■■ مَنْ أَسْخَطَ الْمُؤَلَّى، وَأَرْضَى الْعَبِيدَ <sup>(٣)</sup>

وَقَالَ آخِرُ:

كَمْ مِنْ حَسِيبٍ كَرِيمٍ كَانَ ذَا شَرَفٍ ■■■ قَدْ شَانَهُ الْكَذِبُ وَسَطَ الْحَيِّ إِنْ عَمَدَا  
وَأَخْرَجَ كَانَ صُعْلُوكًا <sup>(٤)</sup>، فَشَرَّفَهُ ■■■ صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَقَوْلُ جَانِبِ الْفَنَدَا <sup>(٥)</sup>  
فَصَارَ هَذَا شَرِيفًا فَوْقَ صَاحِبِهِ ■■■ وَصَارَ هَذَا وَضِيعًا تَحْتَهُ أَبَدًا <sup>(٦)</sup>



(١) أَبْغَى: أَظْلَمُ.

(٢) الْوَرَى: الْخَلْقُ وَالنَّاسُ.

(٣) «جواهر الأدب» (ص ٢٤٣).

(٤) صُعْلُوكًا: فَقِيرًا، جَمَعَهُ صَعَالِيكَ.

(٥) الْفَنَدُ - بَفَتْحَتَيْنِ -: الْكَذِبُ.

(٦) «روضة العقلاء» (ص ٥٥).

## حُسْنُ الظَّنِّ بِمَنْ ظَاهَرَهُ الْخَيْرُ، وَعَدَمُ التَّجَسُّسِ عَلَيْهِ



الرَّجُلُ صَاحِبُ الْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ لَا يَظُنُّ بِأَخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا خَيْرًا، فَهُوَ يَمَثِلُ لِأَمْرِ اللَّهِ الْقَائِلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾: هُوَ أَنْ تَظُنَّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ سُوءًا، فَأَمَّا أَهْلُ السُّوءِ وَالْفُسُوقِ فَلَنَا أَنْ نَظُنَّ بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي ظَهَرَ لَنَا.

■ **حُكْمُ سُوءِ الظَّنِّ:**

عَدَّ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثُمِيُّ سُوءَ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ مِنَ الْكِبَائِرِ الْبَاطِنَةِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا (الكبيرة الحادية والثلاثون)، وَقَالَ:

«وَهَذِهِ الْكِبَائِرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا؛ لِيُعَالِجَ زَوَالَهَا؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْهَا لَمْ يَلْقَ اللَّهَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَهَذِهِ الْكِبَائِرُ يُذِمُّ الْعَبْدُ عَلَيْهَا أَعْظَمَ مِمَّا يُذِمُّ عَلَى الزُّنَى، وَالسَّرْقَةِ، وَسُوءِ أَثَرِهَا وَدَوَامِهِ، إِذْ أَنْ أَثَارَ هَذِهِ رَأْسَخَةٌ فِي الْقَلْبِ، بِخِلَافِ أَثَارِ مَعَاصِي الْجَوَارِحِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، تَزُولُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ». وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ النَّجَّارِ قَوْلَهُ: «مَنْ أَسَاءَ بِأَخِيهِ الظَّنَّ، فَقَدْ أَسَاءَ بَرَبَّهُ؛ إِنَّ اللَّهَ - تعالى - يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾»<sup>(١)</sup>.

### ■ أَقْسَامُ سُوءِ الظَّنِّ:

قَسَمَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثُمِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - سُوءَ الظَّنِّ إِلَى قَسْمَيْنِ، كِلَاهُمَا مِنَ الْكِبَائِرِ:

(١) «الزَّوْاجِر» (ص ١١٤).



## ١ - سوء الظَّنِّ بالله:

قال: «وهذا أبلغُ في الذَّنْبِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ (وكلاهما كبيرة)؛ وذلك لأنه يَأْسٌ وقُنُوطٌ وزيادةٌ لتجويزه على الله - سبحانه وتعالى - بما لا يليقُ بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ».

## ٢ - سوء الظَّنِّ بالمسلمين:

قَالَ: «وهو - أيضاً - مِنَ الْكَبَائِرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ حَكَمَ بَشَرٌ عَلَى غَيْرِهِ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ، حَمَلَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى احْتِقَارِهِ، وَعَدَمَ الْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ، وَالتَّوَانِي فِي إِكْرَامِهِ، وَإِطَالَةِ اللِّسَانِ فِي عَرْضِهِ، وَكُلُّ هَذِهِ مُهْلِكَاتٌ، وَكُلٌّ مِنْ رَأْيَتِهِ سَيِّئُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ، طَالِبًا لِإِظْهَارِ مَعَايِبِهِمْ - فاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ لَخُبْثِ بَاطِنِهِ، وَسُوءِ طَوِيَّتِهِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَطْلُبُ الْمَعَادِيرَ لِسَلَامَةِ بَاطِنِهِ، وَالمُنَافِقَ يَطْلُبُ الْعُيُوبَ لَخُبْثِ بَاطِنِهِ»<sup>(١)</sup>.

ولقد حذرنا نبينا - ﷺ - من الظَّنِّ السَّيِّئِ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الْخَيْرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا»<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَحَسَّسُوا»<sup>(٣)</sup> (٤).

(١) «الزَّوْاجِر» (ص ١١٤).

(٢) التَّجَسُّسُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ: هُوَ الْبَحْثُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَالْإِطْلَاقُ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا، وَكَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ - وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُونَ مِنْهُ - صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْثَكُ - أَيِ الرَّصَاصِ الْمَذَابُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٤٢). وَيُسْتَثْنَى مِنَ التَّجَسُّسِ التَّجَسُّسُ عَلَى أَهْلِ الْفَسَادِ وَالرِّيبِ لِمَنْعِ فِسَادِهِمْ، وَكَذَلِكَ الْأَعْدَاءُ لِقَطْعِ دَابِرِهِمْ، وَكَفِّ شَرِّهِمْ. وَمِثْلُهُ سُوءُ الظَّنِّ بِمَنْ يَبْنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عداوةٌ أَوْ شَحْناءٌ، وَلَا سِيَّما بِمُكَائِدِهِ وَمُكْرِهِ فَقَطْ؛ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ: وَبِصَادِقِكَ عَلَى غِرَّةٍ - أَوْ غَفْلَةٍ - مِنْكَ.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ التَّجَسُّسِ وَالتَّحَسُّسِ: أَنَّ التَّجَسُّسَ يَكُونُ فِيمَا يَطْلُبُهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ مِنْ عُيُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَعَوْرَاتِهِمْ، وَالتَّحَسُّسُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا لغيره.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥١٤٣) وَ (٦٠٦٣) وَ (٦٠٦٦) وَ (٦٧٢٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٦٣).

قال الحافظ - يرحمه الله -:

«قال الخطابي - رحمه الله -: وهو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس؛ فإن ذلك لا يملك.

ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر؛ فإن هذا لا يكلف به كما سبق في حديث: «تجاوز الله - تعالى - عما تحدثت به الأمة، ما لم تتكلم أو تعمل»<sup>(١)</sup> وسبق تأويله على الخواطر التي لا تستقر، قاله النووي<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي - يرحمه الله -:

«المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها: كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيه؛ ولذلك عطف عليه بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد أن يتحقق، فيتجسس ويبحث ويستمع، فنهي عن ذلك، وهذا الحديث يوافق قوله - تعالى -: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان: أبحث لأتحقق، قيل له: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، فإن قال: تحققت من غير تجسس. قيل له: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٥٢٨) و (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٠١/١٦).

(٣) «فتح الباري» (٤٩٦/١٠).

## تَجَنَّبُ الْغَضَبُ



**الْغَضَبُ:** نَقِيضُ الرِّضَى، وهو تَغْيِيرٌ يَحْصُلُ عِنْدَ فَوْرَانِ دَمِ الْقَلْبِ، لِيَحْصُلَ عَنْهُ التَّشْفِي فِي الصَّدْرِ<sup>(١)</sup>.

وَأَسْبَابُ الْغَضَبِ: الزَّهْوُ<sup>(٢)</sup>، وَالْعُجْبُ، وَالْمَزْحُ، وَالْمُمَارَاةُ<sup>(٣)</sup>، وَالْمُضَادَّةُ، وَالْغَدْرُ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى فُضُولِ<sup>(٤)</sup> الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَهَذِهِ أَخْلَاقٌ رَدِيئَةٌ، مَذْمُومَةٌ شَرْعًا<sup>(٥)</sup>.  
وَالْغَضَبُ مَدْخَلٌ عَظِيمٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ الْكُبْرَى؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِالْغَضْبَانِ كَمَا يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ الصَّبِيَانِ، وَأَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ الْمُشَاهَدَةُ بِالْعَيَانِ.

قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«يَتَصَاعَدُ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ - مِنْ غَلِيَانِ دَمِ الْقَلْبِ - دُخَانٌ مُظْلِمٌ إِلَى الدِّمَاغِ، يَسْتَوْلِي عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرِ، وَرَبَّمَا يَتَعَدَّى إِلَى مَعَادِنِ الْحِسِّ، فَتُظْلِمُ عَيْنُهُ حَتَّى لَا يَرَى بَعِيْنَهُ، وَتَسْوَدُّ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا، وَيَكُونُ دِمَاغُهُ عَلَى مِثَالِ كَهْفٍ اضْطَرَمَّتْ فِيهِ نَارٌ، فَاسْوَدَّ جَوْهُ، وَحَمِيَ مُسْتَقَرُّهُ، وَامْتَلَأَتْ بِالْدُّخَانِ جَوَانِبُهُ، وَرَبَّمَا تَقَوَّى نَارُ الْغَضَبِ، فَتَفَنَّى الرُّطُوبَةُ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ، فَيَمُوتُ صَاحِبُهُ غِيْظًا.

(١) «التعريفات» (ص ١٧٨).

(٢) الزَّهْوُ: الْكِبَرُ وَالْفَخْرُ.

(٣) الْمُمَارَاةُ: الْمَجَادَلَةُ.

(٤) فُضُولٌ: جَمْعُ فَضْلٍ، وَهُوَ مَا زَادَ عَنِ الْحَاجَةِ.

(٥) انظر «منهاج القاصدين» (ص ١٨٠).



وَمِنْ آثَارِ هَذَا الْغَضَبِ فِي الظَّاهِرِ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ، وَشِدَّةُ الرَّعْدَةِ فِي الْأَطْرَافِ، وَخُرُوجُ الْأَفْعَالِ عَنِ التَّرْتِيبِ وَالنِّظَامِ، وَاضْطِرَابُ الْحَرَكَةِ وَالْكَلَامِ، حَتَّى يَظْهَرَ الزَّيْدُ<sup>(١)</sup> عَلَى الْأَشْدَاقِ<sup>(٢)</sup>، وَتَحْمَرُّ الْأَحْدَاقِ، وَتَنْقَلِبُ الْمَنَاحِرُ<sup>(٣)</sup>، وَتَسْتَحِيلُ الْخَلْقَةُ، وَلَوْ رَأَى الْغَضْبَانُ فِي حَالَةِ غَضَبِهِ قُبْحَ صُورَتِهِ، لَسَكَنَ غَضَبُهُ حَيَاءً مِنْ قُبْحِ صُورَتِهِ، وَاسْتَحَالَتْ خَلْقَتُهُ، وَقُبْحُ بَاطِنِهِ أَعْظَمُ مِنْ قُبْحِ ظَاهِرِهِ؛ فَإِنَّ الظَّاهَرَ عُنْوَانُ الْبَاطِنِ، فَهَذَا أَثَرُهُ فِي الْجَسَدِ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ فِي اللِّسَانِ فَانْطِلَاقُهُ بِالشَّتْمِ وَالْفُحْشِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْتَحْيِي مِنْهُ ذُو الْعَقْلِ، وَيَسْتَحْيِي مِنْهُ قَائِلُهُ عِنْدَ فُتُورِ الْغَضَبِ، وَذَلِكَ مَعَ تَخْبُطِ النَّظْمِ، وَاضْطِرَابِ اللَّفْظِ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ عَلَى الْأَعْضَاءِ فَالضَّرْبُ، وَالتَّهَجُّمُ، وَالتَّمْزِيقُ، وَالْقَتْلُ، وَالْجَرْحُ عِنْدَ التَّمَكُّنِ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ، فَإِنْ هَرَبَ مِنْهُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ، أَوْ فَاتَهُ بِسَبَبٍ وَعَجَزَ عَنِ التَّشْفِي - رَجَعَ الْغَضَبُ عَلَى صَاحِبِهِ، فَمَزَقَ ثَوْبَ نَفْسِهِ، وَيَلْطُمُ نَفْسَهُ، وَقَدْ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا يَضْرِبُ الْجَمَادَاتِ، وَيَتَعَاطَى أَفْعَالِ الْمَجَانِينِ.

أَمَّا أَثَرُهُ فِي الْقَلْبِ مَعَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ فَالْحَقْدُ، وَالْحَسَدُ، وَإِضْمَارُ السُّوءِ، وَالشَّمَاتَةُ بِالمَسَآتِ، وَالْحُزْنُ بِالسُّرُورِ، وَالْعَزْمُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّرِّ، وَهَتَاكِ السِّرِّ، وَالِاسْتِهْزَاءُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ اهـ ملخصاً<sup>(٤)</sup>.

(١) الزَّيْدُ: الرَّغْوَةُ.

(٢) الْأَشْدَاقُ: جَمْعُ شِدْقٍ، وَهُوَ زَاوِيَةُ الْفَمِ مِمَّا تَحْتَ الْحَدِّ.

(٣) الْمَنَاحِرُ: جَمْعُ مَنْخِرٍ - بَفَتْحِ الْمِيمِ وَقَدْ تُكْسَرُ إِتْبَاعًا لِكَسْرَةِ الْخَاءِ - وَهُوَ ثَقْبُ الْأَنْفِ.

(٤) «الإحياء» (٣/١٦٤).

وَكُلَّمَا فُتِرَ غَضَبُ الْإِنْسَانِ وَسَكَنَ، أَثَارُهُ الشَّيْطَانُ بِمَثَلِ قَوْلِهِ: هُوَ مُسْتَهْزِئٌ بِكَ، لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُثِيرُ الْغَضَبَ، وَيُوجِّعُ نَارَهُ، وَمِنْ هُنَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْأَرِيبِ<sup>(١)</sup> الْحَازِمُ أَنْ يَغْلِبَ شَيْطَانَهُ، وَيَكْظِمَ غَيْظَهُ، وَيَلْتَمِسَ الْعُذْرَ لِأَخِيهِ.

عن أنسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَصْطَرَعُونَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟». قَالُوا: «فُلَانٌ مَا يَصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعَهُ!». قَالَ: «أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟» رَجُلٌ كَلِمَةُ رَجُلٍ، فَكَظِمَ غَيْظَهُ، فَغَلَبَهُ وَغْلَبَ شَيْطَانَهُ، وَغْلَبَ شَيْطَانُ صَاحِبِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَالْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَوْصِنِي». قَالَ: «لَا تَغْضَبُ». فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»<sup>(٣)</sup>.

زَادَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ الرَّجُلُ: «فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَالْغَضَبُ - إِذَا كَانَ بِغَيْرِ حَقٍّ - مِنْ أَخْلَاقِ النَّاقِصِينَ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَبْطِ أَعْصَابِهِمْ تَجَاهَ أَنْفَعَالَتِهِمْ الْعَجُولَةِ.

قَالَ صَاحِبُ «الْإِحْيَاءِ»: «مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاقِصِينَ أَنَّ الْمَرِيضَ أَسْرَعَ غَضَبًا مِنَ الصَّحِيحِ، وَالْمَرَأَةَ أَسْرَعَ غَضَبًا مِنَ الرَّجُلِ، وَالصَّبِيَّ أَسْرَعَ غَضَبًا مِنَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ، وَالشَّيْخَ الضَّعِيفَ أَسْرَعَ غَضَبًا مِنَ الْكَهْلِ، وَذَا الْخُلُقِ

(١) الْأَرِيبُ: الْعَاقِلُ.

(٢) رَوَاهُ الْبَزْزَازُ، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٥١٩/١٠): سَنَدُهُ حَسَنٌ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦١١٦).

(٤) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٣٧٣/٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

السَّيِّئِ وَالرَّذَائِلِ الْقَبِيحَةِ أَسْرَعُ غَضَبًا مِنْ صَاحِبِ الْفَضَائِلِ، فَالرَّذُلُ<sup>(١)</sup> يَغْضَبُ لَشَهْوَتِهِ إِذَا فَاتَتْهُ اللَّقْمَةُ، وَلُبْخْلُهُ إِذَا فَاتَتْهُ الْحَبَّةُ، حَتَّى إِنَّهُ يَغْضَبُ عَلَى أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَأَصْحَابِهِ، بَلِ الْقَوِيُّ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ<sup>(٢)</sup>.

■ **علاج الغضب وتسكينه:**

يُعالَجُ الْغَضَبُ إِذَا هَاجَ بِأُمُورٍ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ<sup>(٣)</sup>، مِنْهَا:

١. أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ -، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْفِ مِنْهُ، وَيَبْعَثُهُ الْخَوْفُ مِنْهُ إِلَى الطَّاعَةِ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَزُولُ الْغَضَبُ.

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (سورة الكهف: ٢٤).

قَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْنِي إِذَا غَضِبْتَ.

وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴿ (سورة الأعراف: ٢٠٠-٢٠١).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾ أَي : يُغْضِبَنَّكَ. وَقَوْلُهُ : ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يَعْنِي : أَنَّهُ سَمِيعٌ بِجَهْلٍ مِنْ جَهْلٍ، عَلِيمٌ بِمَا يَذْهَبُ عَنْكَ الْغَضَبُ.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ -، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ، وَيَحْمَرُّ وَجْهَهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ<sup>(٤)</sup>، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ : «إِنِّي

(١) الرَّذُلُ: الدُّونُ الْحَسِيسُ، وَبَابُهُ ظَرْفٌ، وَالْجَمْعُ رُذُولٌ، وَارَّذَالُ، وَرُذُلَاءُ.

(٢) «الإحياء» (١٦٨/٣) بتصرف.

(٣) انظر «أدب الدنيا والدين» (٢٥٨ - ٢٦٠)، و«الإحياء» (١٦٩/٣ - ١٧٠)، و«مختصر منهاج

القاصدين» (ص ١٨٠ - ١٨١)، و«نظرة النعيم» (٥٠٧٨/١١).

(٤) الأوداج: جمع ودج - بفتحتين -، وهو عِرْقٌ فِي الْعُنُقِ، وَهُمَا وَدَجَانِ.



لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فقام إلى الرجل رجلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ -، فقال: «هل تُدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - أَنْفًا»<sup>(١)</sup>. قال: «لا». قال: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». فقال الرجل: «أَمْجَنُونَ تَرَانِي؟»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿طَائِفٌ﴾ فسره بعضهم بالغضب. وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أي: عِقَابُ اللَّهِ، وجزيل ثوابه ووَعْدُهُ.

رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ بن محارب قال لهارون الرشيد: «يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديه أَذْلُ مِنِّي بَيْنَ يَدَيْكَ، وبالذي هو أَقْدَرُ على عِقَابِكَ مِنِّي على عِقَابِي - لما عَفَوْتَ عَنِّي» فعفا عنه لما ذكره قُدْرَةُ اللَّهِ - تعالى - .  
فيا أخي، قُدْرَةُ اللَّهِ أعظمُ من قُدْرَةِ عِبَادِهِ، فلو أَمْضَيْتَ غَضَبَكَ على أخيك، لَمْ تَأْمَنْ أَنْ يُمْضِيَ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - غَضَبَهُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَنْتَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى الْعَفْوِ.

٢. أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنَ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ قَائِمًا جَلَسَ، وَإِنْ كَانَ جَالِسًا اضْطَجَعَ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَالْأَفْلَىضُطْجَعُ»<sup>(٣)</sup>.

٣. أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوِ، وَالْحِلْمِ، وَالْإِحْتِمَالِ، فَيَرْغَبَ فِي ثَوَابِ ذَلِكَ، فَيَتَمَنَعَهُ شِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى ثَوَابِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ عَنِ التَّشَفُّي وَالْإِنْتِقَامِ، وَيَنْطَفِئَ عَنْهُ غَيْظُهُ.

(١) أَنْفًا: سَالِفًا.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٨٢) وَ (٦٠٤٨) وَ (٦١١٥)، وَمُسْلِمٌ (١٦١٠).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٥٢/٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٧٨٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١/٦٩٤).

وقد سبق ذكر بعض تلك الأخبار في باب الحِلْم، ونذكر منها هنا الآتي:

قَالَ اللَّهُ - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (سورة الشورى: ٣٧).

وعن ابنِ عمر - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «ما مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غِيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

٤ - أَنْ يَسْكُتَ ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَقْرَبَ إِلَى الْخَطَا، فَالْسَّكُوتُ أَسْلَمٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»<sup>(٢)</sup>.

٥ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقُوَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ التَّحَكُّمُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ»<sup>(٣)</sup>، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»<sup>(٤)</sup>.

٦ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ غَضَبَهُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ جَرَى عَلَى وَفْقٍ مُرَادِ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - لَا عَلَى وَفْقٍ مُرَادِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُرَادُ نَفْسِهِ أَوَّلَى مِنْ مُرَادِ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - ؟

٧ - أَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الدَّافِعُ لَهُ، وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ.

أَسْمَعَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَلَامًا، فَقَالَ عُمَرُ: «أَرَدْتُ أَنْ يَسْتَفْزِنِي الشَّيْطَانُ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ، فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي غَدًا، أَنْصَرِفْ رَحِمَكَ اللَّهُ».

(١) رواه ابنُ ماجَّة (٤١٨٩)، وفي «الزَّوَائِد» : إسنادهُ صحيحٌ، ورجاله ثقاتٌ.

(٢) رواه أحمدٌ في «المسند» عن ابنِ عَبَّاسٍ، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٩٣/١)، و«الصَّحِيحة» (١٣٧٥).

(٣) الصُّرْعَةُ - بفتح الرَّاء - : الذي يَصْرَعُ النَّاسَ وَيَغْلِبُهُمْ. والصُّرْعَةُ - بسكون الرَّاء - : الضَّعِيفُ الذي يَصْرَعُهُ النَّاسُ وَيَغْلِبُونَهُ.

(٤) رواه البخاريُّ (٦١١٤)، ومسلمٌ (٢٦٠٩).

٨. أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا يُثْوُلُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ مِنَ النَّدَمِ، وَمَذْمَةِ الْإِنْتِقَامِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِيهِ رَغْوَةٌ الْعِزَّةِ، لَكِنَّهَا لَا تَلْبَثُ حَتَّى تُفْضِيَ بِصَاحِبِهَا إِلَى ذُلِّ الْإِعْتِذَارِ، كَمَا قِيلَ :

وَإِذَا مَا اعْتَرَتْكَ فِي الْغَضَبِ الْعِزُّ ■■■ زَةُ، فَادْكُرْ تَذَلُّ الْإِعْتِذَارِ

٩. أَنْ يُحَذِّرَ نَفْسَهُ عَاقِبَةَ الْعَدَاوَةِ وَالْإِنْتِقَامِ، وَتَشْمِيرَ الْعَدُوِّ فِي هَدْمِ أَعْرَاضِهِ، وَالشَّمَاتَةِ بِمَصَائِبِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ، وَهَذَا مَا يُعْرِفُ بِتَسْلِيطِ شَهْوَةِ عَلَى غَضَبٍ، وَلَا ثَوَابَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعِينُهُ عَلَى الْآخِرَةِ، فَيُثَابَ عَلَى ذَلِكَ.

١٠. أَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَنَحَرُّ عَنْهُ، وَتَحْذَرُ الْقُرْبَ مِنْهُ، فَيَبْتَغِدُ الْخُلُقَ عَنْهُ، فَيَبْقَى وَحِيدًا فَرِيدًا، فَإِنَّ ذَلِكَ جَدِيرٌ بِصَرْفِ الْغَضَبِ عَنْهُ.

وَحِيدًا مِنَ الْخُلَائِنِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ■■■ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

١١. أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي قُبْحِ صُورَتِهِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَأَنَّهُ يُشَبِّهُ حِينَئِذٍ الْكَلْبَ الضَّارِي<sup>(١)</sup>، وَالسَّبْعَ<sup>(٢)</sup> الْعَادِيَّ، وَأَنَّهُ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ مُجَانِبَةً لِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفُضَلَاءِ فِي أَخْلَاقِهِمْ.

١٢. أَنْ يَذْكُرَ انْعِطَافَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ، وَمِيلَ النُّفُوسِ إِلَيْهِ، فَلَا يَرَى إِضَاعَةَ ذَلِكَ بِتَنْفِيرِ النَّاسِ مِنْهُ، فَيَرْغَبُ فِي التَّأَلُّفِ وَجَمِيلِ الثَّنَاءِ، وَيَكْفُ عَنْ مُتَابَعَةِ الْغَضَبِ.

(١) الضَّارِي: الْمُتَوَحِّشُ الْمُتَعَوِّدُ عَلَى الصَّيْدِ.

(٢) السَّبْعُ - بضم الباء - : كُلُّ حَيَوَانٍ مُفْتَرَسٍ، وَالْجَمْعُ سِبَاعٌ، وَأَسْبَعُ، وَسَبُوعٌ.



## ■ أقسام الغضب:

**الغضب ضربان:** غضب للنفس، وغضب لله - جل وعلا - .

فأما الأول فهو مذموم، وقد تقدم بيانه، وأما الثاني فهو محمود، بل مندوب إليه .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما انتقم رسول الله - ﷺ - لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله»<sup>(١)</sup> .

فكان - ﷺ - إذا ما رأى مخالفة شرعية غضب، واحمر وجهه، ولم يسكت حتى يغيرها .

فعن عائشة - أيضاً - قالت: قدم رسول الله - ﷺ - من سفر، وقد سترت سهوة<sup>(٢)</sup> لي بقرام<sup>(٣)</sup> فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله - ﷺ - هتكه<sup>(٤)</sup>، وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاؤون»<sup>(٥)</sup> . قالت: «فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين»<sup>(٦)</sup> .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: بينا النبي - ﷺ - يصلي، رأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بيده، فتغيظ، ثم قال: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة، فإن الله حيال<sup>(٧)</sup> وجهه؛ فلا يتنخمّن حيال وجهه في الصلاة»<sup>(٨)</sup> .

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠) و(٦١٢٦) و(٦٧٨٦) و(٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٢) سهوة: رقاً ذو طاقة .

(٣) القرام: ستار رقيق .

(٤) هتكه: خرقه وأفسد الصورة التي فيه، وبابه ضرب .

(٥) يضاؤون: يشابهون، ويشاكلون .

(٦) رواه البخاري (٢٤٧٩) و(٥٩٥٤) و(٥٩٥٥) و(٦١٠٩)، ومسلم (٢١٠٦) .

(٧) حيال: قبل .

(٨) رواه البخاري (٤٠٦) و(٧٥٣) و(١٢١٣) و(٦١١١)، ومسلم (٥٤٧) .

## تَجَنُّبُ الْحِقْدِ



**الحِقْدُ:** هو طَلَبُ الانتقامِ، وتحقيقه: أَنَّ الغَضَبَ إِذَا لَزِمَ كَظْمُهُ لَعَجَزَ عَنِ التَّشْفِي فِي الْحَالِ، رَجَعَ إِلَى الْبَاطِنِ، وَاحْتَقَنَ فِيهِ، فَصَارَ حِقْدًا<sup>(١)</sup>.

**وَقِيلَ:** «هُوَ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْقَلْبِ عَلَى الْخَلَائِقِ لِأَجْلِ الْعَدَاوَةِ»<sup>(٢)</sup>.

**وَقَالَ الْجَاحِظُ:** «الْحِقْدُ: هُوَ إِضْمَارُ الشَّرِّ لِلْجَانِي، إِذَا لَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنَ الانتقامِ مِنْهُ، فَأَخْفَى ذَلِكَ الاعتقادَ إِلَى وَقْتِ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ»<sup>(٣)</sup>.

### ■ سَبَبُ الْحِقْدِ:

**قَالَ الْغَزَالِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:**

«إِنَّ مَنْ آذَاهُ شَخْصٌ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَخَالَفَهُ فِي غَرَضِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ - أَبْغَضَهُ قَلْبُهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَرَسَخَ فِي نَفْسِهِ الْحِقْدُ، وَالْحِقْدُ يَقْتَضِي التَّشْفِي وَالانتقامَ، فَإِنْ عَجَزَ الْمُبْغِضُ عَنْ أَنْ يَتَشَفَّى بِنَفْسِهِ، أَحَبَّ أَنْ يَتَشَفَّى مِنْهُ الزَّمَانُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «التعريفات» (ص ٩٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٩٦).

(٣) «تهذيب الأخلاق» (ص ٣٣).

(٤) «الإحياء» (٣/ ١٨٩).

## ■ حُكْمُ الْحَقْدِ:

ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْثُمِيُّ الْحَقْدَ مَعَ كُلِّ مِنَ الْغَضَبِ بِالْبَاطِلِ وَالْحَسَدِ، عَلَى أَنَّهَا جَمِيعًا مِنْ كِبَائِرِ الْبَاطِنِ، وَعَلَّلَ جَمْعَهُ لِهَذِهِ الْكِبَائِرِ الثَّلَاثِ بِقَوْلِهِ: «لَمَّا كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ خَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَمُّ كُلِّ يَسْتَلْزِمُ ذَمَّ الْآخَرِ؛ لِأَنَّ الْفَرْعَ وَفَرْعَهُ يَسْتَلْزِمُ ذَمَّ الْأَصْلِ وَأَصْلِهِ، وَبِالْعَكْسِ»<sup>(١)</sup>.

وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ هِيَ الصِّفَةُ الْبَارِزَةُ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ، وَالْحَلَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي رَفَعَتْ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، فَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ - إِلَى أَحَدِ الصَّحَابَةِ - ثَلَاثًا - إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَبَاتَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ؛ كَيْ يَنْظُرَ مَا هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَلَمْ يَرَهُ فَعَلَ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَعَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ حَالِهِ، وَسَأَلَهُ: «مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -؟!». .

فَقَالَ الرَّجُلُ: «مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ». .  
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «هَذَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا أُطِيقُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ دِينَارٍ لِأَبِي بَشِيرٍ (وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -): «أَخْبِرْنِي عَنْ أَعْمَالٍ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، قَالَ: «كَانُوا يَعْمَلُونَ يَسِيرًا، وَيُؤْجِرُونَ كَثِيرًا». فَقَالَ سُفْيَانُ: «وَلِمَ ذَلِكَ؟»، قَالَ: «لِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «الزَّوْاجِر» (٥٢/١).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (١٦٦/٣).

(٣) رَوَاهُ هَنَادٌ فِي «الزُّهْدِ» (٦٠٠/٢).



قَالَ الْمُقَنَّعُ الْكِنْدِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرَةَ:

إِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ■■■ وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي - لَمْخْتَلِفٌ جَدًّا  
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ ■■■ وَإِنْ هَتَكُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا  
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ ■■■ وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وَقَالَ آخَرُ:

إِنَّ فِي النَّفْسِ بَغْضَةً لِلْأَنَاسِ ■■■ أَصْلِحْنِي وَحَبِّبْنَهُمْ إِلَيَّ  
وَاغْسِلِ الْحَقْدَ وَالْهَوَى مِنْ فُؤَادِي ■■■ وَاجْعَلْنِي لِكُلِّ حَقٍّ وَلِيًّا  
وَالْحَقْدُ إِذَا لَمْ يُعَالَجْ قَدْ يُفْضِي إِلَى الْعَدَاوَةِ، مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ، كَمَا قِيلَ:  
بَنِي عَمْنَا، إِنَّ الْعَدَاوَةَ شَأْنُهَا ■■■ ضَغَائِنٌ <sup>(١)</sup> تَبْقَى فِي نُفُوسِ الْأَقَارِبِ

### ■ عِلَاجُ الْحَقْدِ:

وَالْعِلَاجُ الْأَنْجَحُ يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْمَحْقُودِ عَلَيْهِ - إِنْ كَانَ عَادِيًّا - أَنْ يُقْلَعَ عَنْ غِيٍّ،  
وَيُصْلَحَ سِيرَتُهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُسْتَلَّ الْحَقْدُ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ إِلَّا إِذَا عَادَ عَلَيْهِ  
بِمَا يُظْمِنُهُ وَيَرْضِيهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِ، وَيُطِيبَ خَاطِرَهُ، وَعَلَى الطَّرَفِ  
الْآخَرِ أَنْ يَلِينَ وَيَسْمَعَ، وَيَتَقَبَّلَ الْعُذْرَ، وَبِهَذَا تَمُوتُ الْأَحْقَادُ، وَتَحِلُّ الْمَحَبَّةُ  
وَالْأُلْفَةُ <sup>(٢)</sup>.

(١) ضَغَائِنٌ: جَمْعُ ضَغِينَةٍ، وَهِيَ الْحَقْدُ.

(٢) انظر «نظرة النعيم» (١٠/٤٤٣٢).

قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ:

وَحْيُ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبِهِمْ ■■■ تَحِيَّتُكَ الْقُرْبَى، فَقَدْ تَرَقَّعُ النُّعْلُ  
فَإِنْ دَحَسُوا<sup>(١)</sup> بِالْكُرْهِ قَاعُفُ تَكْرُمًا ■■■ وَإِنْ خَنَسُوا<sup>(٢)</sup> عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ  
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ ■■■ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلِّ<sup>(٣)</sup>

وَالْحَقْدُ مَهْمَا بَلَغَ صَاحِبُهُ فِي إِخْفَائِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ؛ فَالْعِيُونُ - كَمَا قَالَ ابْنُ  
الْقَيْمِ - مَغَارِيفُ الْقُلُوبِ، بِهَا يُعْرَفُ مَا فِي الْقُلُوبِ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ صَاحِبُهَا.  
وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

إِنَّ الْعُيُونَ لَتُبْدِي فِي نَوَاطِرِهَا ■■■ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْإِحْنِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَالَ آخِرُ - وَأَحْسَنُ -:

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ■■■ مِنَ الشَّنَاءَةِ<sup>(٥)</sup>، أَوْ حُبٍّ إِذَا كَانَ  
إِنَّ الْبَغِيضَ لَهُ عَيْنٌ يُصَدِّقُهَا ■■■ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا فِي الْقَلْبِ كِتْمَانًا  
فَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ ■■■ حَتَّى تَرَى مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ تَبْيَانًا

وَكَمَا يَظْهَرُ عَلَى الْعُيُونِ، فَهُوَ يَظْهَرُ عَلَى صَفَحَاتِ الْوَجْهِ، وَفَلَتَاتِ اللِّسَانِ،  
كََمَا قَالَ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَا أَسْرَأَ حَدُ سَرِيرَةٍ إِلَّا أَظْهَرَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى  
صَفَحَاتِ وَجْهِهِ، وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(٢) خَنَسُوا: أَخْفَوْا.  
(٤) الْإِحْنُ: جَمْعُ إِحْنَةٍ، وَهِيَ الْحَقْدُ.  
(٦) «الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (١/١٣٦).

(١) دَحَسَ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ.  
(٣) «عُيُونُ الْأَخْبَارِ» (٢/٤١٥).  
(٥) الشَّنَاءَةُ: الْكُرْهُ وَالْبَغْضُ.

وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «لِلْإِيمَانِ رَوَائِحُ وَلَوَائِحُ لَا تَخْفَى عَلَى أَطْلَاعٍ مُكَلَّفٍ، وَذَلِكَ بِالتَّلَمُّحِ لِلْمُتَفَرِّسِ، وَقَلَّ أَنْ يُضْمِرَ شَيْئًا إِلَّا أَظْهَرَهَا الزَّمَانُ عَلَى فَلَائِتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

وما أجمل ما قاله عمرو بن كلثوم:

وإن الضغن<sup>(٢)</sup> بعد الضغن يفشو ■■■ عليك ويخرج الداء الدفين<sup>(٣)</sup>

وَلَا يَحْمِلُ الْحَقْدَ إِلَّا دَنِيءُ الْهَمَّةِ، مَهِينُ النَّفْسِ، وَلَنْ تَجِدَ عَالِي الْهَمَّةِ، عَزِيزَ النَّفْسِ، كَرِيمَ السَّجَايَا، عَرِيقَ الْأَصْلِ - يَحْمِلُ الْحَقْدَ فِي نَفْسِهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَإِذَا وَجَدْتَ حَقُودًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبُلُ وَلَا يَسُودُ.

قَالَ شَاعِرُ الدُّنْيَا وَشَاغِلُ النَّاسِ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي:

لَا يَحْمِلُ الْحَقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ■■■ وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ



(١) المرجع السابق.

(٢) الضغن - بالكسر -: الحقد، وبأبه فرح، والجمع: أضغان.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٦/٢٥١).



## تَجَنَّبُ الْحَسَدِ



**الحسد:** هو تَمَنِّي زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُتَّعِمِّ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَرَضٌ نَفْسِيٌّ، لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَلِهَذَا قِيلَ: «مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، وَلَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ، وَالكَرِيمُ يُخْفِيهِ»<sup>(١)</sup>.

وقيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ: «أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟». فَقَالَ: «مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؟!، لَا أَبَا لَكَ، وَلَكِنْ عَمَّهِ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، مَا لَمْ تَعُدْ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا»<sup>(٢)</sup>.

وَالْحَسَدُ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، نَاهِيكَ بِهِ شَرًّا، فَهُوَ أَوَّلُ ذَنْبِ عَصِيِّ اللَّهِ بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبِ عَصِيِّ اللَّهِ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَفِي السَّمَاءِ حَسَدَ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ أَبَانَا آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَفِي الْأَرْضِ حَسَدَ ابْنِ آدَمَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ حَتَّى قَتَلَهُ!

### ■ أسباب الحسد:

قَالَ الْمَاورِدِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَعَلِمَ أَنَّ دَوَاعِيَ الْحَسَدِ ثَلَاثَةٌ:

**أَحَدُهَا - بُغْضُ الْمُحْسُودِ،** فَيَأْسَى عَلَيْهِ بِفَضِيلَةٍ تَظْهَرُ، أَوْ مَنَقِبَةٍ<sup>(٣)</sup> تُشْكِرُ، فَيُثِيرُ حَسَدًا قَدْ خَامَرَ بُغْضًا.

وهذا النوعُ لَا يَكُونُ عَامًّا - وَإِنْ كَانَ أَضَرَّهَا -؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَبْغِضُ كُلَّ النَّاسِ.

(١) و (٢) «مكارم الأخلاق» لابن تيمية (ص ٢٤٧).

(٣) مَنَقِبَةٌ: فَضِيلَةٌ، وَالْجَمْعُ مَنَاقِبُ.

**والثاني** - أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه، فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً، لولاه لكف عنه.

وهذا أوسطها؛ لأنه لا يحسد الأكفاء<sup>(١)</sup> من دنا، وإنما يختص بحسد من علا، وقد يمتزج بهذا ضرب من المنافسة، ولكنها مع عجز؛ فلذلك صارت حسداً.

**والثالث** - أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، ويخل بالنعم، وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها، لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله - عز وجل - في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله - عز وجل - عنده أكثر، ومنحه عليه أظهر.

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها، إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية، فإن اقترن بشر وقدره كان بوراً وانتقاماً، وإن صادف عجزاً ومهانة كان كمداً وسقاماً<sup>(٢)</sup>، وقد قال عبد الحميد: الحسود من الهم كساقى السم، فإن سرى سمه زال عنه غمه<sup>(٣)</sup>.

### ■ أقسام الحسد:

قسّم العلماء الحسد إلى قسمين: حقيقي، ومجازي.

**فالحقيقي:** تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصريحة.

(١) الأكفاء: جمع كفاء، وهو المثل والنظير.

(٢) السقام - بالفتح - : المرض.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٠ - ٢٧١).

وَأَمَّا الْمَجَازِيُّ فَهُوَ الْغِبْطَةُ: وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَ النُّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا، فَإِذَا كَانَتْ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً، وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْحَسَدُ نَوْعَانِ: مَحْمُودٌ، وَمَذْمُومٌ.

فَالْمَذْمُومُ: أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ، وَسَوَاءٌ تَمَنَيْتَ - مَعَ ذَلِكَ - أَنْ تَعُودَ إِلَيْكَ أَوْ لَا، وَهَذَا النَّوعُ الَّذِي ذَمَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سورة النساء: ٥٤).

وَإِنَّمَا كَانَ مَذْمُومًا؛ لِأَنَّ فِيهِ تَسْفِيهُ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الرَّازِيُّ: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى أَخِيكَ بِنِعْمَةٍ، فَإِنْ أَرَدْتَ زَوَالَهَا فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ، وَإِنْ اشْتَهَيْتَ لِنَفْسِكَ مِثْلَهَا فَهَذَا هُوَ الْغِبْطَةُ وَالْمُنَافَسَةُ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَحَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، إِلَّا نِعْمَةً أَصَابَهَا فَاجِرٌ أَوْ كَافِرٌ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، فَلَا يَضُرُّكَ مَحَبَّتُكَ لَزَوَالِهَا؛ فَإِنَّكَ مَا تُحِبُّ زَوَالَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى الْفَسَادِ وَالشَّرِّ وَالْأَذَى» <sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَنِ الْحَسَدِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ

الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا» <sup>(٤)</sup>، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا <sup>(٥)</sup>.

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ٧١).

(٤) لا تدابروا؛ لا تقاطعوا ولا تعادوا.

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٤٦٤).

(٣) «التفسير الكبير» (٣/ ٢٣٨).

(٥) تقدم تخريجه.



وعنه - أيضاً - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آثَاءً<sup>(١)</sup> اللَّيْلِ، وَآثَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَمَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَهُوَ يَهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَمَا يَعْمَلُ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - :

«وَأَمَّا الْحَسَدُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ فَهُوَ الْغِبْطَةُ، وَأُطْلِقَ الْحَسَدَ عَلَيْهَا مَجَازًا، وَهِيَ أَنْ يَتَمَنَّى لَهُ مِثْلَ مَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ، وَالْحِرْصُ عَلَى هَذَا يُسَمَّى مُنَافَسَةً، فَإِنْ كَانَ فِي الطَّاعَةِ فَهُوَ مَحْمُودٌ، وَمِنْهُ: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (سورة المطففين: ٢٦). وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْصِيَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ، وَمِنْهُ: «وَلَا تَنَافَسُوا»، وَإِنْ كَانَ فِي الْجَائِزَاتِ فَهُوَ مُبَاحٌ»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

احْرِصْ عَلَى جَمْعِ الْفَضَائِلِ وَاجْتَهِدْ ■■■ وَتَجَافَى عَنْ حَمْلِ الضَّغِينَةِ وَالْحَسَدِ  
اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ مُدَارِيًا ■■■ يَا صَاحِبَ<sup>(٥)</sup>، بَعْدَ الْمَوْتِ يَنْقَطِعُ الْحَسَدُ  
وَالْحَسَدُ غَالِبًا مَا يُوجَدُ لِمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا التَّافَهُ الْمُسْكِينُ فَلَا

(١) الْآثَاءُ: السَّاعَاتُ، قَالَ الْأَخْفَشُ: وَاحِدُهَا إِنِّي. وَقِيلَ: وَاحِدُهَا إِنِّي، وَإِنْوُ، يُقَالُ: مَضَى مِنَ اللَّيْلِ إِنْيَانُ وَإِنْوَانُ.

(٢) أَى: يَنْفَقُهُ فِي الطَّاعَاتِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٢٦) وَ (٧٢٣٢) وَ (٧٥٢٨).

(٤) فَتَحُ الْبَارِي (١/١٦٧).

(٥) صَاحِبُ: مُرَحِّمٌ صَاحِبٌ، وَهُوَ مُرَحِّمٌ تَرْخِيمًا غَيْرَ قِيَاسِيٍّ جَازَ هُنَا لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ نَكِرَةٌ، وَالْقِيَاسُ إِلَّا يُرَحِّمُ مِمَّا لَيْسَ آخِرُهُ تَاءٌ إِلَّا الْعَلَمُ.

وَمِنْ اللَّطَائِفِ أَنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - شَكَا لِابْنِ  
عَمٍّ لَهُ كَثْرَةَ الْحُسَادِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ قَائِلًا:

وَقَالَ أَبُو الْجَوَيْرِيَّةِ الْعَبْدِيُّ:

وقال أبو نؤاس:

دَعَيْنِي أَكْثَرَ حَاسِدِي بِرَحْلَةٍ ■■■ إلى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ  
وَقَالَ السُّحْتَرِيُّ:

وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتُ أَخِي ❖❖❖ عَلِيٌّ، فَأَضْحَى نَارِحَ <sup>(٣)</sup> الْوُدِّ أَجْنَبًا <sup>(٤)</sup>

(١) «مكارم الأخلاق» لابن تيمية (ص ٢٤٢).

(٢) سَيْطٌ: واحد الأسباط، وهم وَلَدُ الْوَلَدِ، ويغلبُ على إطلاقه وَلَدُ الْبَنَتِ، يُقَابِلُ الْحَفِيدَ وَلَدُ الْوَلَدِ.

(۳) نازح: بعید .

(٤) الأجنب: الأجنبي.

وقال أبو الطيب مخاطباً سيف الدولة:

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ<sup>(١)</sup> ❖❖❖ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّاداً<sup>(٢)</sup>

وكُلَّمَا ارتفع الإنسان في هذه الحياة، كَلَّمَا كَثُرَ حُسَّادُهُ، كما قيل:

وَإِذَا الْفَتَى بَلَغَ السَّمَاءَ بِمَجْدِهِ ❖❖❖ كَانَتْ كَأَعْدَادِ النُّجُومِ عِدَاةُ<sup>(٣)</sup>

وَرَمَوْهُ عَن قَوْسٍ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ❖❖❖ لَا يَبْلُغُونَ بِمَا جَنَوْهُ مَدَاهُ

وغالباً ما يكون الحسد سبباً في ازدياد المحسود من الفضائل، وتخليه عن

الردائل، كما قيل:

عُدَاتِي<sup>(٤)</sup> لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ ❖❖❖ فَلَا أَبْعَدُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

هُمْ يَحْتَوُوا عَن سَوْءَتِي فَاجْتَنَبْتُهَا ❖❖❖ وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

ويكون الحسد - أيضاً - سبباً في نشر فضائل المحسود، كما قال الطائي:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ❖❖❖ طُوِيَتْ، أَتَّاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ❖❖❖ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفٍ<sup>(٥)</sup> الْعُودِ<sup>(٦)</sup>

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ ❖❖❖ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ<sup>(٧)</sup>

(١) الكبت - بالفتح -: الصرف والإذلال، وبأبه ضرب.

(٢) يقول: أنت صيّرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك، فاصرف شرّ حسدِهِم عني بإذلالهم.

(٣) العدي: الأعداء.

(٤) العداة - بالضم -: الأعداء.

(٥) العرف: الرائحة، وأكثر استعماله في الطيب منها.

(٦) العود: نوع من الطيب يتبخّر به، ورائحته طيبة.

(٧) «عيون الأخبار» (٢/٤٠٥).



وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران<sup>(١)</sup>.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «وَهَكَذَا الْحَسَدُ يَقَعُ كَثِيرًا بَيْنَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي رِئَاسَةٍ أَوْ مَالٍ، إِذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ قِسْطًا مِنْ ذَلِكَ وَفَاتَ الْآخَرَ، وَيَكُونُ بَيْنَ النَّظَرَاءِ لِكِرَاهَةِ أَحَدِهِمَا أَنْ يَفْضُلَ الْآخَرُ عَلَيْهِ: كَحَسَدِ إِخْوَةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَكَحَسَدِ ابْنِي آدَمَ أَحَدَهُمَا لِأَخِيهِ، فَإِنَّ حَسَدَهُ لَكُونِ أَنْ اللَّهَ تَقَبَّلَ قُرْبَانَهُ هَذَا، وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ هَذَا، فَحَسَدَهُ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى - كَحَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ - وَقَتْلَهُ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعَمَتِي      ■■■      أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبُ؟  
أَسَاءَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ؛      ■■■      لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ  
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي      ■■■      وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجُوهَ الطَّلَبِ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«الْعَاقِلُ إِذَا خَطَرَ بِيَالِهِ ضَرْبٌ مِنَ الْحَسَدِ لِأَخِيهِ أَبْلَغَ الْمَجْهُودِ فِي كِتْمَانِهِ، وَتَرَكَ إِبْدَاءَ مَا خَطَرَ بِيَالِهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الْحَسَدُ بَيْنَ الْأَقْرَانِ، أَوْ مِنْ تَقَارُبِ الشَّكْلِ<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ الْكَتْبَةَ لَا يَحْسُدُهَا إِلَّا الْكَتْبَةُ، كَمَا أَنَّ الْحَجَبَةَ لَا يَحْسُدُهَا إِلَّا الْحَجَبَةُ، وَلَكِنْ يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَجَدَ فِيهَا مَنْ يُبْغِضُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَحْسُدُهُ فِيهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأقران: جمع قرْن - بالكسر -، وهو النظير في العلم، والشَّجاعة، وغيرهما.

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن تيمية (ص ٢٤٨). (٣) «جواهر الأدب» (ص ٧٢١).

(٤) الشَّكْل - بالفتح -: الشَّبه، والجمع أشْكَالٌ، وشُكُولٌ.

(٥) «روضة العقلاء» (ص ١٣٦).

قال الشاعر:

وَقَرَى اللَّيِّبَ مُحَسِّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ■ ■ ■ شَتَمَ الرُّجَالَ، وَعَرَضَهُ مَشْتُومُ  
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ■ ■ ■ فَالنَّاسُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ  
كُضْرَائِرُ<sup>(١)</sup> الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوَجْهَهَا ■ ■ ■ - حَسَدًا وَظُلْمًا -: إِنَّهُ لَدَمِيمٌ<sup>(٢)</sup>

■ أسباب رفع شر الحاسد عن المحسود:

يُندَفَعُ شَرُّ الْحَاسِدِ عَنِ الْمَحْسُودِ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ:

أحدها - الاستعاذة من شر هذا الحاسد: كما أمر الله بذلك، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (سورة الفلق: ٥).

ثانيها - تقوى الله: فمن اتقى الله أنجاه من كل كرب في الدنيا والآخرة، ولم يكله إلى غيره طرفة عين، كما قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (سورة الطلاق: ٢).

وقال الله - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (سورة آل عمران: ١٢٠).

وقال النبي ﷺ - لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>

ثالثها - التوكُّل على الله: فهو من أقوى الأسباب التي يدفع بها المحسود ما لا يطيق من أذى الحاسد، وبغيه وعدوانه، فمن توكَّل على الله كفاه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه.

(١) ضرائر: جمع ضرة - بفتح الضاد -، وضرة المرأة: امرأة زوجها.

(٢) «عيون الأخبار» (٤٠٦/٢).

(٣) تجاهك - بضم التاء وكسرهما -: أمامك، فأينما توجهت لكان معك بالحفظ والإحاطة، والتأييد والإعانة.

(٤) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧/٢).

يَقُولُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ (سورة الطلاق: ٣).

يقول العلامة ابن سَعْدِيٍّ في تفسيرِ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ «أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يَعْتَمِدَ عَلَى اللَّهِ في جَلْبِ مَا يَنْفَعُهُ، ودَفْعِ مَا يَضُرُّهُ، وَيَثِقُ بِهِ في تَسْهِيلِ ذَلِكَ. ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه الأمر الذي تَوَكَّلَ عليه به، وإذا كَانَ الأمرُ في كَفَالَةِ الْغَنِيِّ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، فهو أَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ رَبَّمَا أَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ اقْتَضَتْ تَأْخِيرَهُ إِلَى الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لَهُ؛ فَلِهَذَا قَالَ - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي: لا بُدَّ مِنْ نَفُوذِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَلَكِنَّهُ: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يَتَعَدَّاهُ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

رابعها - الصَّبْرُ عَلَى الْحَاسِدِ: فما نُصِرَ مُحْسُودٌ عَلَى حُسُودٍ بِمِثْلِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، فَعَلَى الْمُحْسُودِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَضَضِ<sup>(٢)</sup> حَاسِدِهِ، وَأَلَّا يَسْتَطِيلَ حَسَدُهُ؛ فَإِنَّ حَسَدَهُ سِهَامٌ يَرْمِيهَا مِنْ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَلَوْ رَأَى الْمُحْسُودُ ذَلِكَ لَسَرَّهُ حَسَدُهُ لَهُ، لَكِنْ لِيُضْعِفَ بَصِيرَتَهُ لَا يَرَى إِلَّا صُورَةَ الْحَسَدِ دُونَ آخِرِهِ وَمَالِهِ. قَالَ مُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «لَيْسَ فِي خِصَالِ الشَّرِّ أَعْدَلُ مِنَ الْحَسَدِ، يَقْتُلُ الْحَاسِدُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُحْسُودِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ الْعَبَّاسِيُّ:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ ■■■ د؛ فَإِنْ صَبَرَ رَكَ قَاتِلُهُ  
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضُهَا ■■■ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ<sup>(٤)</sup>

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٧٠).

(٢) المَضَضُ: وَجَعُ الْمُصِيبَةِ.

(٣) و (٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٠).



وقال الطُّغْرَائِيُّ:

اصْبِرْ عَلَى غَيْظِ الْحَسُودِ؛ فَنَارُهُ ■■■ تَرْمِي حَشَاهُ<sup>(١)</sup> بِالْعَذَابِ الْخَالِدِ  
أَوْ مَا رَأَيْتَ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ■■■ حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرَّمَادِ الْهَامِدِ؛  
تَضْغُو<sup>(٢)</sup> عَلَى الْمَحْسُودِ نِعْمَةً رَبِّهِ ■■■ وَيَذُوبُ مِنْ كَمَدِ<sup>(٣)</sup> فَوَادِ الْحَاسِدِ<sup>(٤)</sup>

خامسها - فراغ القلب من الاشتغال بالحاسد، والفكر فيه: فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يخطر بباله، فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، واشتغل بما هو أنفع له وأولى به.

قَالَ حَاتِمٌ:

وكلمة حاسد من غير جرم<sup>(٥)</sup> ■■■ سَمِعْتُ، فَقُلْتُ: مُرِّي فَأَنْضِئَنِي  
وَعَابُوهَا عَلَيَّ، وَلَمْ تَعِيبْنِي ■■■ وَلَمْ يَنْدُ<sup>(٦)</sup> لَهَا أَبَدًا جَبِينِي

وَقَالَ آخَرُ:

دَعِ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ ■■■ يَكْفِيكَ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ فِي كَبِدِهِ  
إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفْسَتْ كُرْبَتَهُ ■■■ وَإِنْ سَكَتَ فَقَدْ عَذَّبَتْهُ بِيَدِهِ<sup>(٧)</sup>

(١) الحشأ: ما انضمت عليه الضلوع، والجمع أحشاء.

(٢) تضغو: تربو وتكثر.

(٣) الكمد - بفتح الحاء - : الحزن الشديد المكتوم، وبابه فرح.

(٤) «جواهر الأدب» (ص ٧٠٤).

(٥) جرم: ذنب، والجمع أجرام، وجروم، وبابه ضرب.

(٦) لم يند: لم يعرق، ولم يتل، وبابه صدي.

(٧) «جواهر الأدب» (ص ٧٢١).

سادسها- الإقبال على الله، والإخلاص له: فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ عَامرًا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وإجلاله، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَذَكَرَهُ كَمَا يَذْكُرُ الْمُحِبُّ التَّامَّ الْمَحَبَّةَ مَحْبُوبَهُ الْمُحْسَنَ إِلَيْهِ - لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ مُتَسَعٌ لِلْفِكْرِ فِي حَاسِدِهِ، وَالطَّرِيقِ إِلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ، والتدبير عليه.

قَالَ اللَّهُ - تعالى - فِي حَقِّ الصَّدِيقِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة يوسف: ٢٤).

سابعها - تجريد التوبة النصوح إلى الله من الذنوب التي سَلَطَتْ عَلَيْهِ حُسَادُهُ: فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).  
وَقَالَ لَخَيْرِ الْخَلْقِ - وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّهِ دُونَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٥).

فَمَا سَلَّطَ عَلَى الْعَبْدِ مُؤْذٌ إِلَّا بِذَنْبٍ يَعْلَمُهُ أَوْ لَا يَعْلَمُهُ، وَمَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَا يَعْلَمُهُ مِنْهَا، وَمَا يَنْسَاهُ مِمَّا عَمِلَهُ أَضْعَافُ مَا يَذْكُرُهُ، فَإِذَا عُوْفِيَ الْعَبْدُ مِنَ الذُّنُوبِ عُوْفِيٍّ مِنْ مُوجِبَاتِهَا.

لَقِيَ بَعْضَ السَّلَفِ رَجُلٌ، فَأَغْلَظَ لَهُ، وَنَالَ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ: قِفْ حَتَّى أَدْخُلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ أَخْرَجْ إِلَيْكَ، فَدَخَلَ فَسَجَدَ لِلَّهِ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَتَابَ وَأَنَابَ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعْتَ؟. فَقَالَ: تَبْتُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي سَلَّطَكَ بِهِ عَلَيَّ.

فعلى المحسود أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه، فيشتغل بإصلاحها، وبالتوبة منها، حينها لن يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتوكل هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه، والدفع عنه ولا بد.

ثامنها - الصدقة والإحسان من المحسود إلى العباد ما أمكنه؛ فما حرس العبدُ  
نعمة الله عليه من كل ما يكون سبباً لزوالها - بمثل شكرها، فالشكر - كما قال  
العلماء - قيد للموجود، وصيد للمفقود.

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء،  
والآفات، والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وحسد الحاسد من أقوى الأسباب لزوال النعم؛ فإنه لا يفتّر ولا يني ولا  
يرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود، كما قال الطغرائي:

جاملُ عدوك ما استطعت؛ فإنه ■■■ بالرفق يطمع في صلاح الفاسد  
واحذر حسودك ما استطعت؛ فإنه ■■■ إن نمت عنه فليس عنك براقد  
إن الحسود - وإن أراك تودداً ■■■ منه - أضرم من العدو الحاقداً  
ولربما رضي العدو إذا رأى ■■■ منك الجميل، فصار غير معاند  
ورضى الحسود زوال نعمتك التي ■■■ أوتيتها من طارف<sup>(٢)</sup>، أو تالد<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>

(١) رواه الحاكم في «مستدرکه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٩٥/٢)، و«الصحيحة» (١٩٠٨).

(٢) طارف: الأحوال الجديدة.

(٣) تالد: الأحوال القديمة.

(٤) «جواهر الأدب» (ص ٧٠٤).



وقال محمود الوراق:

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَى ■■■ إِلَّا الْحَسُودَ، فَإِنَّهُ أَعْيَانِي  
مَا إِنَّ لِي ذَنْبًا إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ ■■■ إِلَّا تَظَاهُرَ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ  
وَأَبَى فَمَا يُرْضِيهِ إِلَّا ذِلَّتِي ■■■ وَذَهَابُ أَمْوَالِي، وَقَطْعُ لِسَانِي<sup>(١)</sup>

فَعَلَى الْمَحْسُودِ أَنْ يُكْثَرَ مِنْ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّ لَهَا أَثْرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ،  
وَشَرِّ الْحَاسِدِ، فَقَلَّمَا يَتَسَلَّطُ الْحَسَدُ عَلَى مُحْسِنٍ مُتَّصِدٍ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ  
ذَلِكَ، كَانَ مُعَامَلًا فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالْمُعُونَةِ وَالتَّيْيِدِ، وَكَانَتْ لَهُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ.

تاسعها - عدم إخبار الحاسد بنعمة الله عليك: لأنَّ ظهور الفضل يُثير الحسد،  
وحدوث النعمة يُضَاعِفُ الكمد؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «اسْتَعِينُوا عَلَى  
إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»<sup>(٢)</sup>.

عاشرها - الإحسان إلى الحاسد: وَهُوَ مِنْ أَصْنَعِ الْأَسْبَابِ عَلَى النَّفْسِ وَأَشَقَّهَا  
عَلَيْهَا، وَلَا يُوقِقُ لَهُ إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ إِطْفَاءُ نَارِ الْحَاسِدِ بِالْإِحْسَانِ  
إِلَيْهِ، فَكُلَّمَا ازدَادَ أذىً وَشراً، وَبَغياً وَحَسداً، ازدَدَتْ إِلَيْهِ إِحْسَانًا، وَلَهُ نَصِيحَةٌ،  
وعليه شَفَقَةٌ.

ومما يَهَوِّنُ هَذَا عَلَى نَفْسِ الْمَحْسُودِ، وَيُطَيِّبُهُ إِلَيْهَا، وَيَنْعِمُهَا بِهِ الْآتِي:

١ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ قَابَلَ إِسَاءَةَ الْعِبَادِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، قَابَلَ اللَّهُ إِسَاءَتَهُ  
- وَكُلُّنَا ذَوُو خَطِيئَةٍ - بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نُعَيْمٍ في «الحلية» عن معاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ  
الْجَامِعِ» (٢٩٤٣/١)، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٤٥٣).

٢ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِحُصُولِهِ عَلَى نَصْرِ اللَّهِ، وَمَعِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لِلَّذِي شَكَا إِلَيْهِ قَرَابَتَهُ، وَأَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يُسِيئُونَ إِلَيْهِ -: «لَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

٣ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ يُثْنُونَ عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ، وَيَصِيرُونَ كُلُّهُمْ مَعَهُ عَلَى خَصْمِهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ مُحْسِنٌ إِلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ، وَهُوَ مُسِيءٌ إِلَيْهِ - وَجَدَ قَلْبَهُ وَدُعَاءَهُ وَهَمَّتُهُ مَعَ الْمُحْسِنِ عَلَى الْمُسِيءِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ.

وَلَا بُدَّ لِلْمُحْسُودِ الْمُحْسِنِ مَعَ حَاسِدِهِ مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَمْلِكَهُ بِإِحْسَانِهِ فَيَسْتَعْبِدَهُ، وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَذِلُّ لَهُ، وَيَبْقَى مِنْ أَحِبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ ■■■ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانًا<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا أَنْ يُفْتَتَ كَبْدُهُ، وَيَقْطَعَ دَابِرُهُ، إِنْ أَقَامَ عَلَى إِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُذِيقُهُ بِإِحْسَانِهِ أَضْعَافَ مَا يَنَالُ مِنْهُ بِانتِقَامِهِ<sup>(٣)</sup>.



(١) تقدم تخريجه.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٧٠).

(٣) انظر «التفسير القيم» (ص ٥٨٥ - ٥٩٣)، فهذه الأسباب - ما عدا السبب التاسع - أخذتها منه، وقد

دخلها هنا تغيير اقتضاه الإيجاز من تقديم وتأخير، وزيادة وحذف...

## غَضُّ الْبَصَرِ



**غَضُّ الْبَصَرِ** مِنْ أَهَمِّ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْمُؤْمِنُ، فَالْبَصَرُ هُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَعْمَرُ طَرُقِ الْحَوَاسِ إِلَيْهِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ كَثُرَ السَّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ، وَوَجَبَ عَنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكُلُّ مَا يُخْشَى الْفِتْنَةَ مِنْ أَجْلِهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ■■■ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ<sup>(٢)</sup>

كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبٍ صَاحِبِهَا ■■■ فَتَكَ السُّهُامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ

وَصِفَاتُهُ أَنْ يُغْمِضَ الْمُسْلِمُ بَصَرَهُ عَمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَّا لِمَا أُبِيحَ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ - أَيْضًا - إِغْمَاضُ الْأَبْصَارِ عَنِ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْبَصَرُ عَلَى مُحَرَّمٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَلْيَصْرِفْ بَصَرَهُ سَرِيعًا. وَغَضُّ الْبَصَرِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اضْمَنْوْا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أَوْثَمَنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير القرطبي» (١٤٨/٢).

(٢) الشَّرُّ - بفتحين - : مَا يَتَطَايَرُ مِنَ النَّارِ، وَالْمُفْرَدُ شَرَّةٌ.

(٣) رواه أحمد - واللفظ له - (٣٢٣/٥)، والحاكم (٣٥٨/٤ - ٣٥٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»

(٣١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠١٨/١)، و«الصَّحِيحَةُ» (١٤٧٠).



وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ نَظَرِ الضَّجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي» <sup>(١)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ <sup>(٢)</sup> فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ، وَاحْصَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

فَعَلَيْكَ - أَخِي فِي اللَّهِ - أَنْ تَغْضُ بَصْرَكَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ فَإِنَّ: «حِفْظَ الْبَصَرِ أَشَدُّ مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ» <sup>(٥)</sup>. كَمَا قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -.

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رضي الله عنه -: «إِذَا مَرَّتْ بِكَ امْرَأَةٌ، فَغَمَضْ عَيْنَيْكَ حَتَّى تُجَاوِزَكَ» <sup>(٦)</sup>.

وَلَا بُدَّ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ، حَتَّى وَكَوْ كَانَتْ الْمَنْظُورُ إِلَيْهَا فَتَاءً صَغِيرَةً.

قَالَ الزُّهْرِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي النَّظَرِ إِلَى الْآتِي لَمْ تَحِضْ مِنَ النِّسَاءِ: «لَا يَصْلُحُ النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُنَّ مِمَّنْ يَشْتَبِي النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً» <sup>(٧)</sup>.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٥٩).

(٢) الْبَاءَةُ: الزَّوْاجُ.

(٣) وَجَاءَ: جَنَّةٌ وَوَقَايَةٌ، وَأَصْلُهُ رَضُّ عُرُوقِ الْأُمْتِنِينَ حَتَّى تَنْفَضِخَ، فَيَكُونُ شَبِيهَاً بِالْحَصَاءِ.

(٤) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (١٩٠٥) وَ (٥٠٦٥) وَ (٥٠٦٦)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٠).

(٥) «الْوَرَجُ» (ص ٦٢).

(٦) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص ٦٦).

(٧) «فَتْحُ الْبَارِي» (٩/١١).

وَأَسْبَابُ غَضِّ الْبَصَرِ كَثِيرَةٌ <sup>(١)</sup>، لَكِنْ أَعْظَمُ سَبَبٍ لِغَضِّ الْبَصَرِ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «إِنَّ التَّقْوَى سَبَبٌ لِغَضِّ الْبَصَرِ، وَتَحْصِينِ الْفَرْجِ» <sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَعَضُّ عَنِ الْمَحَارِمِ مِنْكَ طَرْفًا <sup>(٣)</sup>      طَمُوحًا، يَفْتِنُ الرَّجُلَ اللَّيْبًا  
وَحَائِنَةُ الْعُيُونِ كَأَسَدٍ غَابٍ <sup>(٤)</sup>      إِذَا مَا أَهْمَلَتْ وَثَبَتْ وَثُوبًا  
وَمَنْ يَغْضُضُ فُضُولَ الطَّرْفِ عَنْهَا      يَجِدُ فِي قَلْبِهِ رَوْحًا <sup>(٥)</sup> وَطَيْبًا



(١) انظر كتابي «فتنة النظر»، فقد تكلّمتُ فيه عَنْ غَضِّ الْبَصَرِ بِتَوْسِعٍ، وَكَذَلِكَ فَوَائِدُ غَضِّ الْبَصَرِ.

(٢) «فتح الباري» (٩/١١).

(٣) الطَّرْفُ: البَصَرُ.

(٤) الْأَسَدُ - بَضْمٌ فَسْكُونٌ - : جَمْعُ أَسَدٍ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَى أُسَدٍ، وَأَسَادٍ، وَأَسَدٍ، وَأُسُودٍ، وَأُسْدَانٍ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّبَاعِ اللَّبُونِ الْمُفْتَرَسَةِ، وَيُلَقَّبُ الْأَسَدُ بِمَلِكِ الْوُحُوشِ، وَأَنْثَاهُ تُسَمَّى لَبُوءَةً، وَاللَّبُوءَةُ لُغَةٌ فِيهَا.

(٥) الْغَابُ: جَمْعُ غَابَةٍ، وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيفُ الْمُلْتَفُّ.

(٦) رَوْحًا: رَاحَةً.

## الْغِيْرَةُ



**الْغِيْرَةُ:** هي مَا رَكَّبَهُ اللهُ فِي الْعَبْدِ مِنْ ثَوَّةٍ رُوحِيَّةٍ، تَحْمِي الْمَحَارِمَ وَالشَّرَفَ وَالْعَفَافَ، وَهِيَ - كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ حَجَرٍ - مُشْتَقَّةٌ مِنْ تَغْيِيرِ الْقَلْبِ، وَهَيْجَانِ الْغَضَبِ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِيْمَا بِهِ الْاِخْتِصَاصُ، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ ذَلِكَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ <sup>(١)</sup>.

وهي - معَ ذلكَ - خُلُقٌ مَحْمُودٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الرُّجُولَةِ، وَعُلُوِّ الْهَمَّةِ، وَأَصَالَةِ الْأَخْلَاقِ، وَطِيبِ الْأَعْرَاقِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَغَارُ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ أَغْيَرُ مِنْهُ.

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنُ» <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ لِلْمُؤْمِنِ، وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا» <sup>(٣)</sup>.

وعنه - أَيْضًا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغِيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ» <sup>(٤)</sup>.

(١) «فتح الباري» (٩/ ٣٢٠)، وانظر «التعريفات» (ص ١٦٣)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (ص ٢٥٥).

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٤) و(٤٦٣٧) و(٥٢٢٠) و(٧٤٠٣)، ومسلم (٢٧٦٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٦١).

(٤) رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم - واللفظ له - (٢٧٦١).



وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: «لَو رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفَّحٍ» <sup>(١)</sup> عَنْهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ» <sup>(٢)</sup>.

وَكَمَا تَكُونُ الْغَيْرَةُ فِي الرِّجَالِ، تَكُونُ فِي النِّسَاءِ، فَهِيَ غَرِيزَةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، بَلْ قَدْ تَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ أَشَدَّ.

فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ أختُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ <sup>(٣)</sup>، فَارْتَأَحَ لَذَلِكَ <sup>(٤)</sup>، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». فَغَرَّتْ فَقُلْتُ: «وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشُّدُقَيْنِ» <sup>(٥)</sup>، خَمْشَاءِ السَّاقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا» <sup>(٦)</sup>.

وَعَنْهَا - أَيْضًا - قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا كَانَ اللَّيْلُ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ، يَتَحَدَّثُ مَعَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: «أَلَا تَرَكِبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي، وَأُرْكَبُ بَعِيرَكَ، فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرِي؟». قَالَتْ: «بَلَى». فَارْكَبْتُ عَائِشَةَ عَلَى بَعِيرِ حَفْصَةَ،

(١) غَيْرَ مُصَفَّحٍ: أَي: ضَارِبَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، لَا بِصَفْحِهِ، وَصَفْحُ السَّيْفِ: عَرْضُهُ وَجَانِبُهُ، فَالَّذِي يَضْرِبُ بِالْحَدِّ يَقْصِدُ الْقَتْلَ بِخِلَافِ الَّذِي يَضْرِبُ بِعَرْضِ السَّيْفِ، فَإِنَّهُ يَقْصِدُ التَّأْدِيبَ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٤٦) وَ (٧٤١٦)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (١٤٩٩).

(٣) وَذَلِكَ لَشَبِّهِ صَوْتِهَا بِصَوْتِ أُخْتِهَا، فَتَذَكَّرُ خَدِيجَةَ بِذَلِكَ.

(٤) فَارْتَأَحَ لَذَلِكَ: أَي: هَشَّ لِمَجِيئِهَا، وَسَرَّ بِهَا لِتَذْكُرَ بِهَا خَدِيجَةَ وَأَيَّامَهَا.

(٥) حَمْرَاءِ الشُّدُقَيْنِ: تَعْنِي أَنَّهَا كَبِيرَةٌ فِي السِّنِّ جَدًّا، قَدْ تَسَاقَطَتْ أَسْنَانُهَا.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٢١)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٤٣٧).

وَرَكِبَتْ حَفْصَةُ عَلَى بَعِيرٍ عَائِشَةَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى جَمَلٍ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا حَتَّى نَزَلُوا، فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رَجُلِيهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ<sup>(١)</sup>، وَتَقُولُ: «يَا رَبُّ، سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرِيًّا أَوْ حِيَةً تَلْدَغُنِي، رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

وَعنها - أَيْضًا - قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَأَقُولُ: «أَوْتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ١٩». فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُزَوِّي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ﴾ (سورة الأحزاب: ٥١).  
قَالَتْ: قُلْتُ: «وَاللَّهِ، مَا أَرَى رِيكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ»<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

### ■ أَقْسَامُ الْغَيْرَةِ:

تَنْقَسِمُ الْغَيْرَةُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١. مَحْمُودَةٌ: وَهِيَ الْغَيْرَةُ فِي الرِّيَّةِ.

٢. مَذْمُومَةٌ: وَهِيَ الْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيَّةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الْإِذْخِرُ: نَبْتٌ مَعْرُوفٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، تَوْجَدُ فِيهِ الْهَوَامُّ غَالِبًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَاحِدُهُ إِذْخِرَةٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢١١)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٤٤٥).

(٣) يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ: أَيُّ يُخَفِّفُ عَنْكَ، وَيُوسِّعُ عَلَيْكَ فِي الْأُمُورِ، وَلِهَذَا خَيْرٌكَ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٨٨) وَ (٥١١٣)، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (١٤٦٤).

(٥) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (١٩٩٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢/٢٩٠٥).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«فَالْغَيْرَةُ الْمَحْبُوبَةُ هِيَ مَا وافقتْ غَيْرَةَ اللَّهِ - تعالى - ، وهذه الغيرةُ هي أَنْ تُتْهَكَ مَحَارِمُ اللَّهِ ، وهي أَنْ تُؤْتَى الْفَوَاحِشُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ ، لَكِنْ غَيْرَةُ الْعَبْدِ الْخَاصَّةِ هِيَ مَنْ أَنْ يَشْرَكَهُ الْغَيْرُ فِي أَهْلِهِ ، فغَيْرَتُهُ عَنْ فَاحِشَةِ أَهْلِهِ لَيْسَ كَغَيْرَتِهِ مِنْ زَنَى الْغَيْرِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَذَاكَ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ بَغْضِهِ لِمُبْغَضَةِ اللَّهِ ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ الْغَيْرَةُ الْوَاجِبَةُ عَلَيْهِ هِيَ مِنْ غَيْرَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ أَمْرَاتُهُ ، ثُمَّ أَقَارِبُهُ ، وَمَنْ هُوَ تَحْتَ طَاعَتِهِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ لَهُ إِذَا زَنَتْ أَنْ يُلَاعِنَهَا ؛ لِمَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الضَّرَرِّ خِلَافَ مَا إِذَا زَنَى غَيْرَ أَمْرَاتِهِ .

ولهذا يُحَدِّثُ قَاذِفُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَمْ يَكْمُلْ عَقْلُهَا وَدِينُهَا ، إِذَا كَانَ زَوْجُهَا مُحْصَنًا فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ .

فَالْغَيْرَةُ الْوَاجِبَةُ مَا يَتَضَمَّنُهُ عَنِ الْمَخْزِي ، وَالْغَيْرَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ مَا أُوجِبَتْ الْمُسْتَحَبُّ مِنَ الصِّيَانَةِ .

وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرِّبَّةِ - وَهِيَ الْغَيْرَةُ فِي مُبَاحِ لَا رِيبَةَ فِيهِ - فَهِيَ مِمَّا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، بَلْ يَنْهَى عَنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ تَرْكٌ مَا أَمَرَ اللَّهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ ، وَبُيُوتَهُنَّ خَيْرٌ لهنَّ» (١) ، (٢) .

(١) رواه مسلم (٤٤٢) ، عن ابنِ عمرَ .

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن تيمية (ص ١٥٦) .



وَضِدُّ الْغَيْرَةِ الدِّيَاثَةُ، وَضِدُّ الْغَيُورِ الدِّيُوثُ: وَهُوَ الَّذِي يُقْرِ السُّوءَ فِي أَهْلِهِ، وَيَسْمَحُ لِأَهْلِهِ بِالنَّظَرِ لِلرِّجَالِ الْعُرَاةِ فِي التَّلْفَازِ، وَهُمْ يُعَانِقُونَ النِّسَاءَ، أَوْ يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُنَّ، وَلَا غَيْرَةَ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ، فَالدِّيُوثُ مَنْحَطُ الْقَدْرِ، ذَنِيُّ الْهَمَّةِ، عَدِيمُ الشَّرَفِ، لَا يَسُودُ قَوْمَهُ، بَلْ لَا يَسُودُ قَوْمَهُ إِلَّا غَيُورٌ عَلَى مَحَارِمِهِ.

وَالدِّيَاثَةُ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالدِّيُوثُ الَّذِي يُقْرِ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه أحمد في «المسند»، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٢/١).

## عَدَمُ الانْشِغَالِ بِعُيُوبِ النَّاسِ



الْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَنْشِغَلُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ تَرْتَاحَ لَهُ النُّفُوسُ، وَتَأْنَسُ بِقُرْبِهِ الْقُلُوبُ، فَهُوَ مُحِبُّوبٌ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ.

وَلَا يَنْشِغَلُ بِعُيُوبِ النَّاسِ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ إِلَّا غَيْرُ الْوَائِقِ بِنَفْسِهِ، الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يُغَطِّيَ عُيُوبَهُ بِذَلِكَ الْأَسْلُوبِ الرَّخِيسِ، وَقَدْ سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَقَعُ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: «قَدْ اسْتَدَلَّتْ عَلَى عُيُوبِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لِعُيُوبِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ لَهَا يَطْلُبُهَا بِقَدَرِ مَا فِيهِ مِنْهَا».

وَالْإِنْسَانُ - لِنَقْصِهِ - يَتَوَصَّلُ إِلَى عَيْبِ أَخِيهِ مَعَ خَفَائِهِ، وَيَنْسَى عَيْبَ نَفْسِهِ مَعَ ظُهُورِهِ ظُهُورًا مُسْتَحْكَمًا لَا خَفَاءَ بِهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «يَبْصُرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَى <sup>(١)</sup> فِي عَيْنِ أَخِيهِ <sup>(٢)</sup>، وَيَنْسَى الْجِدْعَ <sup>(٣)</sup> فِي عَيْنِهِ <sup>(٤)</sup>».

قَالَ الشَّاعِرُ:

قَبِيحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَنْسَى عُيُوبَهُ      وَيَذْكُرُ عَيْبًا فِي أَخِيهِ قَدْ اخْتَفَى  
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَمَّا عَابَ غَيْرَهُ      وَفِيهِ عُيُوبٌ لَوْ رَأَاهَا قَدْ اكْتَفَى

(١) الْقَدَى: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ مِنْ تُرَابٍ أَوْ وَسَخٍ، وَالْمُفْرَدُ قَدَاةٌ.

(٢) أَيِ فِي الْإِسْلَامِ.

(٣) الْجِدْعُ: وَاحِدُ جُدُوعِ النَّخْلِ.

(٤) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (١٨٤٨)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٩٩/٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٨٠١٣/٢)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (٣٣).

وقال الآخر:

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثرُوا ■■■ عليك، وأبدوا منك ما كان يُسترُ  
وقد كان في بعض الأقاويل قائلُ ■■■ له منطوق فيه كلامٌ مُحبرُ  
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم ■■■ فلا عيب إلا ما دون ما منك يُذكرُ  
وإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم ■■■ فذلك عند الله والناس أكبرُ  
وإن عبت قوماً بالذي فيك مثله ■■■ فكيف يعيب العور من هو أعور؟  
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه ■■■ أشد - إذا عد العيوب - وأنكر؟  
متى تلتمس للناس عيباً تجد لهم ■■■ عيوباً، ولكن الذي فيك أكثرُ  
فسالمهم بالكف عنهم؛ فإنهم ■■■ يعيبك من عينيك أهدى وأبصر<sup>(١)</sup>

ولابد للمرء من الورع والكف عن عيوب الناس، فقد تكون الغفلة عن عيوب النفس هي السبب، كما قال عون بن عبد الله: «ما أحسب أحداً تفرغ ليعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وقال بكر بن عبد الله: «إذا رأيت الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه - فاعلموا أنه قد مكر به»<sup>(٣)</sup>.

ولقي ورع ورعاً، فقال له: «يا أخي، إنني لأحبك في الله». قال الآخر: «لو علمت منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بغضك»<sup>(٤)</sup>.

(١) «روضة العقلاء» (ص ١٢٥ - ١٢٦).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ١٠١).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤٩).

(٤) «عيون الأخبار» (٦/ ٣٦٧).



قَالَ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

الْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا ■■■ أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَرَعُهُ  
كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلَهُ ■■■ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ<sup>(١)</sup>

وَلَا يَنْشَغِلُ بِعُيُوبِ النَّاسِ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ سَفَلَتْ نَفْسُهُ، وَتَعَدَّتْ بِهِ  
هَمَّتُهُ عَنْ نَيْلِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا، بَلْ لَقَدْ عَدَّ الْإِمَامُ السَّخَاوِيُّ - يَرْحَمُهُ  
اللَّهُ - الْأَنْشِغَالَ بِعُيُوبِ النَّاسِ مِنْ خَوَارِمِ الْمُرُوءَةِ<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ الْبَحْثَ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، بَحَثَ النَّاسُ عَنْ عُيُوبِهِ؛ فَالْجَزَاءُ  
مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

قَالَ الْأَعْمَشُ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولَ: «إِنِّي لَأَرَى الشَّيْءَ أَكْرَهُهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي  
أَنْ أَتَكَلَّمَ فِيهِ إِلَّا مَخَافَةٌ أَنْ أُبْتَلَى بِمِثْلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «عَيَّرْتُ رَجُلًا، وَقُلْتُ: يَا مُفْلِسُ، فَأَفْلَسْتُ  
بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ■■■ فَيَهْتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ  
وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَّرُوا ■■■ وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ<sup>(٥)</sup>

(١) «ديوان الشَّافِعِيِّ» (ص ٧٩).

(٢) «فتح المغيث» (١/ ٢٩١).

(٣) رواه البيهقي في «الشَّعْب» (٦٧٧٥).

(٤) «صيد الخاطر» (ص ٤٠).

(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٦).

## حِفْظُ اللِّسَانِ



مَنْحَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْإِنْسَانَ نِعْمًا عَظِيمَةً، وَمِنْ أَعْظَمِهَا - بَعْدَ نِعْمَةِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ - نِعْمَةُ اللِّسَانِ، وَمِنْ شُكْرَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالامْتِنَاعِ عَنِ النُّطْقِ بِمَا لَا يَسُوعُ شَرْعًا مِمَّا لَا حَاجَةَ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ<sup>(١)</sup>.

وَالْإِنْسَانُ مَسْئُولٌ عَمَّا قَالَهُ أَوْ تَلَفَّظَ بِهِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَقْفُ<sup>(٢)</sup> مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء: ٣٦).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ<sup>(٣)</sup>﴾ (سورة ق: ١٨).

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا هُوَ خَيْرٌ، وَإِلَّا فَالْسُّكُوتُ عَنْهُ أَفْضَلُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ<sup>(٥)</sup>».

(٢) لَا تَقْفُ: لَا تَتَّبِعْ.

(١) «فتح الباري» (٣٠٨/١١).

(٤) عَتِيدٌ: حَاضِرٌ مُهَيَّأٌ.

(٣) رَقِيبٌ: مَلَكٌ يَرْقُبُهُ.

(٥) رواه البخاري (٦٠١٨) و (٦١٣٦) و (٦١٣٨) و (٦٣٧٥)، ومسلم (٤٧).

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَالَ آخِرُ:

وقال عبدُ الله بن المبارك:

(١) «رياض الصالحين» (ص ٤٤٥).

(۲) و (۳) «جواهر الأدب» (ص ۷۱۸).

(٤) الزُّفْضَى: الْقُرْبَةُ وَالْمَنْزَلَةُ.

(٥) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٣٩٢)، و«الصحيح» (٨٩٠).



وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَاخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا دَلَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُعَاذًا عَلَى خِصَالِ الْخَيْرِ - الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالْجِهَادِ - قَالَ لَهُ: «إِلَّا أَخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟». قَالَ: «بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ». فَاخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: «كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا». قَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟». فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُ أَمَّا كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»<sup>(٢)</sup>، «يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ»<sup>(٤)</sup>، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمَّتْ أَعْمَالُنَا، وَإِنِ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجَتْ»<sup>(٥)</sup>.

وَحِفْظُ اللِّسَانِ عَمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ مِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ ابْنِ آدَمَ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ»<sup>(٦)</sup>، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ»<sup>(٧)</sup>، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٤١٠)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٢).

(٢) تَكَلَّمْتُ أَمَّا كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا.

(٣) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٦/١).

(٤) تُكْفِّرُ اللِّسَانَ: تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ، أَوْ هُوَ كِتَابَةٌ عَنْ تَنْزِيلِ الْأَعْضَاءِ اللِّسَانَ مِثْلَ الْكَافِرِ بِالنَّعَمِ.

(٥) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١/١).

(٦) مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ: هُوَ اللِّسَانُ. وَاللَّحْيَانِ: هُمَا الْعِظْمَانِ اللَّذَانِ تَبَتُّ عَلَيْهِمَا الْأَسْنَانُ، وَجَمْعُ لَحْيٍ أَلْحَى عَلَى أَفْعُلٍ، وَلَحْيٌ عَلَى فُعُولٍ.

(٧) مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ: هُوَ الْفَرْجُ.

(٨) رواه البخاري (٦٤٧٤) و(٦٨٠٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ  
الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» <sup>(١)</sup>.

وَغَالِبُ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ.

فَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ  
آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -» <sup>(٢)</sup>.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَحَرِيٌّ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَزَلُّ عَلَى  
حِينَ غَفْلَةٍ مِنْهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ  
بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ <sup>(٣)</sup> مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَوْ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» <sup>(٤)</sup>.

وَعَنْهُ - أَيْضًا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ  
مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ  
سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» <sup>(٥)</sup>.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا: أَيُّ لَا يَتَأَمَّلُهَا بِخَاطِرِهِ، وَلَا  
يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَتِهَا، وَلَا يَظُنُّ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا» <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩١١/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، وحسنه الأرناؤوط في «جامع الأصول» (٧٣١/١١).

(٣) يتبين: يفكر أنها خير أم لا.

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم - واللفظ له - (٢٩٨٨).

(٥) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٦) «فتح الباري» (٣١١/١١).

فَالشَّاعِرُ:

وَقَالَ آخِرُ:



(٦) «جواهر الأدب» (ص ٧١٨).



## تَجَنُّبُ آفَاتِ اللِّسَانِ

الآفة الأولى

الغَيْبَةُ



الغَيْبَةُ مِنْ أخطر آفَاتِ اللِّسَانِ، وهي مَرَضٌ خَطِيرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَمِنْ أَحْسَنِ تَعَارِيفِهَا: «ذَكَرُ الْعَيْبِ بظَهْرِ الْغَيْبِ»<sup>(١)</sup>.

وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ التَّعْرِيفِ تَعْرِيفُ النَّبِيِّ - ﷺ - لَهَا بِأَنَّهَا: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنْ خَلْفِهِ.

فَعَنْ الْمُطَّلَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «الْغَيْبَةُ: أَنْ تَذْكُرَ الرَّجُلَ بِمَا فِيهِ مِنْ خَلْفِهِ»<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ». قِيلَ: «أَفَرَأَيْتَ<sup>(٤)</sup> إِنْ كَانَ

(١) «التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَّاتِ التَّعَارِيفِ» (ص ٢٥٤).

(٢) قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْإِحْيَاءِ» (٣/ ١٤٠): «اعْلَمْ أَنَّ حَدَّ الْغَيْبَةِ أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ بَلَغَهُ، سِوَا ذِكْرَتِهِ بِنَقْصٍ فِي بَدَنِهِ، أَوْ نَسَبِهِ، أَوْ فِي خُلُقِهِ، أَوْ فِي فِعْلِهِ، أَوْ فِي قَوْلِهِ، أَوْ فِي دِينِهِ، أَوْ فِي دُنْيَاهُ، وَحَتَّى فِي ثَوْبِهِ، وَدَارِهِ، وَدَابَّتِهِ».

(٣) رَوَاهُ الْخُرَائِطِيُّ فِي «مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ»، وَرَوَاهُ مَالِكٌ بِمَعْنَاهُ مُرْسَلًا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (١/ ٤١٨٦)، وَ«الصَّحِيحَةُ» (١٩٩٢).

(٤) أَفَرَأَيْتَ: أَخْبِرْنِي.

في أخي ما أقول<sup>(١)</sup>، قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»<sup>(٢)</sup>.

### ■ أسباب الغيبة:

بَوَاعَتْهُ الْغَيْبَةُ كَثِيرَةً، مِنْهَا:

- ١ - شِفَاءُ الْمُغْتَابِ غِيْظُهُ بِذِكْرِ مَسَاوِي مَنْ يُغْتَابُهُ.
- ٢ - مُجَامَلَةُ الْأَقْرَانِ وَالرِّقَاقِ، وَمَشَارَكَتُهُمْ فِيْمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الْغَيْبَةِ.
- ٣ - ظَنُّ الْمُغْتَابِ فِي غَيْرِهِ ظَنًّا سَيِّئًا مَدْعَاةً إِلَى الْغَيْبَةِ.
- ٤ - أَنْ يُبْرَى الْمُغْتَابُ نَفْسَهُ مِنْ شَيْءٍ، وَيَنْسُبَهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يَذْكُرَ غَيْرَهُ بِأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَهُ.
- ٥ - رَفْعُ النَّفْسِ وَتَزَكِّيَّتُهَا بِتَنْقِصِ الْغَيْرِ.
- ٦ - حَسَدٌ مَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ النَّاسُ، وَيَذْكُرُونَهُ بِخَيْرٍ.
- ٧ - الْاسْتِهْزَاءُ وَالسُّخْرِيَّةُ، وَتَحْقِيرُ الْآخَرِينَ<sup>(٣)</sup>.

### ■ حُكْمُ الْغَيْبَةِ:

الْغَيْبَةُ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، تَظَاهَرَتْ عَلَى تَحْرِيمِهَا أَدِلَّةُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) بِهِتُهُ: افتريت عليه الكذب، يُقَالُ: بِهِتُهُ بِهِتًا وَبُهْتَانًا: أَيُّ قَالَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ، وَبَابُهُ قَطَعَ.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٣) انظر «الإحياء» (٣/١٤٣ - ١٤٤) بتصرفٍ بإفادة «نظرة النعيم» (١١/٥١٦٣).

(٤) «فتح الباري» (١٠/٤٧٣).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢) .

فَالَّذِي يَذْمُ أَخَاهُ فِي غِيْبَتِهِ كَمَنْ يَنْهَشُهُ وَيَأْكُلُ لَحْمَهُ وَهُوَ مَيْتٌ، لَا يَحْسُ أَلَمَ النَّهَشِ وَالْأَكْلِ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «أَيُّ كَمَا تَكْرَهُونَ هَذَا طَبْعًا، فَافْكُرْهُوَ شَرْعًا؛ فَإِنَّ عِقُوبَتَهُ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَهَذَا مِنَ التَّنْفِيرِ عَنْهَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ»<sup>(١)</sup> .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارُ مِنْ نَحَاسٍ، يَخْمِشُونَ»<sup>(٢)</sup> وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»<sup>(٣)</sup> .

وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»<sup>(٤)</sup> .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - : «حَسْبُكَ»<sup>(٥)</sup> مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا»<sup>(٦)</sup> - قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٥٤) .

(٢) يَخْمِشُونَ: يَجْرَحُونَ .

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٥٢١٣)، و«الصحيح» (٥٣٣) .

(٤) رواه أحمد (٤٢٠ / ٤ - ٤٢١) وأبو داود (٤٨٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٧٩٨٤) .

(٥) حَسْبُكَ: كَافِيكَ .

(٦) استدلل العلماء بهذا الحديث بأن الغيبة تقع بغير اللسان . قال النووي: «وكذا سائر ما يتوصل به إلى

فهم المقصود: كأن يمشي مشيته فهو غيبته، بل هو أعظم من الغيبة» «الزَّوْجَر» (٢/ ١٧) .



الْبَحْرُ لَمْزَجَتُهُ. قَالَتْ: «وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا»<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «وَمَعْنَى مَزَجَتُهُ: خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ، أَوْ رِيحُهُ لَشِدَّةٍ تَنْتَهَا وَقُبْحُهَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَبْلِغِ الزَّوْاجِرِ عَنِ الْغَيْبَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»<sup>(٤) (٥)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: «يَوْمٌ حَرَامٌ». قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: «بَلَدٌ حَرَامٌ». قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: «شَهْرٌ حَرَامٌ». قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» فَأَعَادَهَا مَرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟، اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»»<sup>(٦)</sup>.

(١) حَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا: أَيِ حَكَيْتُ لَهُ حَرَكَةَ إِنْسَانٍ يَكْرَهُهَا، بِمَعْنَى: فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٠٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢/ ٥١٤٠ و ٥٥١٥).

(٣) «رِيَاضُ الصَّالِحِينَ» (ص ٤٤٨).

(٤) الْعَرِضُ - بِالْكَسْرِ -: الْحَسَبُ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٤).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٣٩).

إِنَّ لِلْغَيْبَةِ خَطَرًا عَظِيمًا، وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ مَنْ نَقَعَ فِيهِ يَرْتَعُ فِي حَسَنَاتِنَا.  
**قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:** «وَاللَّهِ، لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلَةِ»<sup>(١)</sup>  
 فِي الْجَسَدِ»<sup>(٢)</sup>.

**وَقِيلَ لَهُ:** إِنَّ فُلَانًا قَدْ اغْتَابَكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُطْبًا عَلَى طَبَقِي، وَقَالَ: «قَدْ بَلَغَنِي  
 أَنَّكَ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ حَسَنَاتِكَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْفِثَكَ عَلَيْهَا، فَاغْذُرْنِي فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ  
 أَنْ أَكْفِثَكَ عَلَى التَّمَامِ»<sup>(٣)</sup>.

**وَكَتَبَ أَشْهُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَقَعُ فِيهِ:** «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي  
 أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ أَنْ تَتَزَايِدَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُعِينَكَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ،  
 وَاعْلَمْ أَنِّي أَرْتَعُ فِي حَسَنَاتِكَ كَمَا تَرَعَى الشَّاةُ الْخَضِرَ، وَالسَّلَامُ»<sup>(٤)</sup>.

**وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ:** إِنَّ فُلَانًا يَغْتَابُنِي. قَالَ: «قَدْ جَلَبَ لَكَ الْخَيْرَ  
 جَلَبًا»<sup>(٥)</sup>.

**وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ:** «لَوْ لَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ، تَمَنَيْتُ أَلَّا يَبْقَى  
 فِي هَذَا الْمَصْرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِيَّ وَاعْتَابَنِي؛ فَأَيُّ شَيْءٍ أَهْنَأُ مِنْ حَسَنَةٍ يَجِدُهَا الرَّجُلُ  
 فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمْ يَعْمَلْهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا»<sup>(٦)</sup>.

(١) الأكلة: داءٌ يَقَعُ فِي الْعُضْوِ، فَيَأْتِكِلُ مِنْهُ.

(٢) «الإحياء» (٣/ ١٤٠).

(٣) المرجع السابق (٣/ ١٥١).

(٤) «ترتيب المدارك» (١/ ٤٥٩).

(٥) «حلية الأولياء» (١٠٤).

(٦) «صفة الصفوة» (٤/ ٥ - ٦).

قَالَ الشَّاعِرُ:

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ ■ ■ ■ وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ  
وَيَحْمِلُ وَزْرًا عَنْكَ ضَنْ بِحَمْلِهِ ■ ■ ■ عَنِ النَّجْبِ <sup>(١)</sup> مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ  
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ ■ ■ ■ بِإِمْعَانِهِ، فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ  
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ ■ ■ ■ وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ <sup>(٢)</sup>

■ مَا مَوْقِفُ مَنْ سَمِعَ الْغَيْبَةَ؟

عَلَى مَنْ سَمِعَ الْغَيْبَةَ أَنْ يَرُدَّهَا، وَيَنْصَحَ قَائِلَهَا، فَإِنْ لَمْ يَقْبَلِ الْمُغْتَابُ مِنْهُ  
النَّصِيحَةَ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَارِقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ  
مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، وَإِنْ خَذَلَهُ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي طَلْحَةَ بْنِ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ  
فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ - إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا  
فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ - إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ  
يُحِبُّ نَصْرَتَهُ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ،  
رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» <sup>(٤)</sup>.

(١) النَّجْبُ: جَمْعُ نَجِيبٍ، وَهُوَ الْكَرِيمُ، وَبَابُهُ ظَرْفٌ.

(٢) «إِرْشَادُ الْعِبَادِ» (ص ١٠٤).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٤٨٨٤)، وَأَحْمَدُ (٣٠ / ٤)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢ / ٥٦٩٠).

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٩٣١)، وَأَحْمَدُ (٤٥٠ / ٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢ / ٦٢٦٢).



وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ المشهورِ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ - يُصَلِّي، فَقَالُوا: «أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْنِ - أَوْ ابْنُ الدُّخَيْنِ؟». فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ؛ إِلَّا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ؟». قَالَ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنُصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ تَوْبَتِهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بَتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟». قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ»<sup>(٣)</sup>. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا». فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) رواه أحمد (٤٦١/٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٦٢٤٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥)، (١١٨٦) و (٥٤٠١) و (٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣).

(٣) عِطْفِيهِ: جَانِبِهِ. وَالْعِبَارَةُ كُنَايَةً عَنِ الْخِيَلَاءِ وَالْعُجْبِ وَالْكِبَرِ.

(٤) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم - وَاللَّفْظُ لَهُ - (٢٧٦٩).

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «يَبْتَغِي لِمَنْ سَمِعَ غِيْبَةً مُسْلِمٍ أَنْ يَرُدَّهَا، وَيَزَجُرَ قَائِلَهَا، فَإِنْ لَمْ يَزَجُرْهُ بِالْكَلَامِ زَجَرُهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِالْيَدِ وَلَا بِاللِّسَانِ، فَارْقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، فَإِنْ سَمِعَ غِيْبَةً شَيْخِهِ، أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ - كَانَ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَكْثَرَ». «الْأَذْكَارُ» (ص ٢٩٤).

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَارِثِ الْهَاشِمِيُّ:

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ ■ ■ ■ مَكَصُونِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ  
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ ■ ■ ■ حَاشِرِكَ لِقَائِهِ فَاَنْتَبِهْ<sup>(١)</sup>

■ مَا يُبَاحُ مِنَ الْغَيْبَةِ؟

قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «اعْلَمْ أَنَّ الْغَيْبَةَ تُبَاحُ لِمَنْ غَرَضٌ صَحِيحٌ شَرْعِيٌّ، لَا  
يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

الْأَوَّلُ - التَّظْلُمُ: فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَالْقَاضِي، وَغَيْرِهِمَا  
مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَنِي فَلَانُ بِكَذَا.

الثَّانِي - الاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ: وَرَدَّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فَيَقُولُ لِمَنْ  
يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ: فَلَانُ يَعْمَلُ كَذَا، فَازْجُرْهُ عَنْهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ،  
وَيَكُونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ - الاسْتِفْتَاءُ: فَيَقُولُ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي - أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي، أَوْ  
فُلَانٌ - بِكَذَا، فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟، وَمَا طَرِيقِي فِي الْخَلَاصِ مِنْهُ، وَتَحْصِيلِ حَقِّي،  
وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، وَلَكِنْ الْأَحْوَطُ وَالْأَفْضَلُ أَنْ  
يَقُولَ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ - أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ - كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا؟؛ فَإِنَّهُ  
يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالتَّعْيِينُ جَائِزٌ.

الرَّابِعُ - تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ: وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ:

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٨٤).

**منها:** جَرَحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ بِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

**ومنها:** الْمُشَاوَرَةُ فِي مُصَاهَرَةِ إِنْسَانٍ، أَوْ مُشَارَكَتِهِ، أَوْ إِيدَاعِهِ، أَوْ مُعَامَلَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُشَاوِرِ أَلَّا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ الْمَسَاوِيَ الَّتِي فِيهِ بَنِيَّةَ النَّصِيحَةِ.

**ومنها:** إِذَا رَأَى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ، يَأْخُذُ عَنْهُ الْعِلْمَ، وَخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ الْمُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذَا مِمَّا يُغْلَطُ فِيهِ، وَقَدْ يَحْمِلُ الْمُتَكَلِّمُ بِذَلِكَ الْحَسَدَ، وَيُلْبَسُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ، فَلْيَتَفَطَّنْ لِدَافَةِ ذَلِكَ.

**ومنها:** أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَايَةٌ لَا يَقُومُ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا: إِمَّا بِأَلَّا يَكُونَ صَالِحًا لَهَا، وَإِمَّا بِأَنْ يَكُونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغْفَلًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ وَلَايَةٌ عَامَّةٌ؛ لِزِيلِهِ وَيُولِّي مَنْ يَصْلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حَالِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ، وَأَنْ يَسْعَى فِي أَنْ يَحْتَهُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

**الخامس -** أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفُسْقِهِ، أَوْ بِدَعْتِهِ: كَالْمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمُصَادَرَةِ النَّاسِ، وَأَخْذِ الْمَكْسِ<sup>(١)</sup>، وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلَّى الْأُمُورِ الْبَاطِلَةَ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهَرُ بِهِ، وَيَحْرَمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْعُيُوبِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِحَوَازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

(١) الْمَكْسُ - بِالْفَتْحِ -: مَا يُؤْخَذُ مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ عَلَى هَيْئَةٍ ضَرِيئَةٍ.



السادس - التعريف: فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ: كَالْأَعْمَشِ، وَالْأَعْرَجِ، وَالْأَصَمِّ، وَالْأَعْمَى، وَالْأَحْوَلِ، وَغَيْرِهِمْ - جَازَ تَعْرِيفُهُمْ بِذَلِكَ، وَيَحْرُمُ إِطْلَاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِصِ، وَلَوْ أَمَكَّنَ تَعْرِيفُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ أَوْلَى.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أَسْبَابٍ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ، وَأَكْثَرُهَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلَائِلُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مشهورة<sup>(١)</sup>. ثُمَّ سَأَلَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - تِلْكَ الْأَدَلَّةَ.

■ قُلْتُ: هَذَا هُوَ الضَّابِطُ لِمَنْ تَوَافَرَ فِيهِ الْعِلْمُ وَالْقَصْدُ، وَقَدْ جَمَعَهَا النَّازِمُ بِقَوْلِهِ:

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغَيْبَةٍ فِي سِتَّةٍ: ■ ■ ■ مُتَظَلِّمٌ، وَمُعَرِّفٌ، وَمُحَذَّرٌ  
وَمُجَاهِرٌ فَسَقًا، وَمُسْتَفْتٍ، وَمَنْ ■ ■ ■ طَلَبَ الْإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ<sup>(٢)</sup>



(١) «رياض الصالحين» (ص ٤٥ - ٥١).

(٢) «العقيدة الطحاوية» (ص ٣٤).

## الْآفَةُ الثَّانِيَةُ

## النَّمِيمَةُ



النَّمِيمَةُ مِنْ أخطرِ آفاتِ اللِّسَانِ، وتُطْلَقُ فِي الغالبِ عَلَى قَوْلِ إِنْسَانٍ فِي إِنْسَانٍ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: قَالَ فِيكَ فُلَانٌ كَذًا وَكَذًا، وَلَيْسَتْ مَخْصُوصَةً بِهَذَا، بَلْ حَدُّهَا كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ، سَوَاءً أَكَانَ مِنَ الْأَقْوَالِ أَوِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى لَوْ رَأَى يَدْفِنُ مَا لَا لِنَفْسِهِ فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمَامٌ<sup>(١)</sup>.

وَعَدَّهَا بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ؛ لِأَنَّهَا تُشَارِكُ السَّحَرَ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَغْيِيرِ قُلُوبِ الْمُتَحَابِّينَ، وَتَلْقِيحِ الشُّرُورِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: «النَّمَامُ شَرٌّ مِنَ السَّاحِرِ، وَيَعْمَلُ النَّمَامُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يَعْمَلُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَيُقَالُ: «عَمِلَ النَّمَامُ أَضْرًا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ عَمَلَ الشَّيْطَانِ بِالْخَيَالِ وَالْوَسْوَسَةِ، وَعَمَلَ النَّمَامِ بِالْمُوَاجَهَةِ وَالْمُعَايَنَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وَالْيَكُ - أَخِي فِي اللَّهِ - قِصَّةٌ تَحْكِي شَرًّا مِنْ شُرُورِ النَّمِيمَةِ الْكُبْرَى، وَأَثَرًا مِنْ أَثَارِهَا السَّيِّئَةِ.

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ١٧٤).

(٢) انظر «فتح المجيد» (ص ٣٢٥).

(٣) و (٤) «تنبيه الغافلين» (ص ٨٩).

رَوَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: «بَاعَ رَجُلٌ عَبْدًا، وَقَالَ لِلْمُشْتَرِي: مَا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا النَّمِيمَةُ، قَالَ: قَدْ رَضِيتُ، فَاشْتَرَاهُ، فَمَكَثَ الْغُلَامُ أَيَّامًا، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَةِ مَوْلَاهُ: إِنَّ سَيِّدِي لَا يُحِبُّكَ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَسَرَّى<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ، فَخُذِي الْمَوْسَى<sup>(٢)</sup>، وَاحْلِقِي مِنْ شَعْرِ قَفَاهُ عِنْدَ نَوْمِهِ شَعْرَاتٍ؛ حَتَّى أَسْحَرَهُ عَلَيْهَا فَيُحِبُّكَ، ثُمَّ قَالَ لِلزَّوْجِ: إِنَّ امْرَأَتَكَ اتَّخَذَتْ خَلِيلًا، وَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَكَ، فَتَنَاوَمْ لَهَا<sup>(٣)</sup>؛ حَتَّى تَعْرِفَ ذَلِكَ، فَتَنَاوَمْ لَهَا، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ بِالْمَوْسَى، فَظَنَّ أَنَّهَا تُرِيدُ قَتْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَجَاءَ أَهْلُ الْمَرْأَةِ فَقَتَلُوا الزَّوْجَ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ<sup>(٤)</sup>».

قال الشاعر:

فَمِنْ أَجْلِ وَاشِرٍ<sup>(٥)</sup> كَاشِحٍ<sup>(٦)</sup> بَنَمِيمَةٍ ■ ■ ■ مَشَى بَيْنَنَا صَدَقْتَهُ لَمْ تَكْذِبْ  
وَقَطَعْتَ حَبْلَ الْوَصْلِ عَنَّا، وَمَنْ يُطْعُ ■ ■ ■ بَنِي وَدَّهِ قَوْلَ الْمُحَرِّشِ<sup>(٧)</sup> يُعْتَبِ

■ الباعثُ على النَّمِيمَةِ:

يَبْعَثُ عَلَى النَّمِيمَةِ أُمُورٌ مِنْهَا:

١ - إِرَادَةُ السُّوءِ بِالْمَحْكِيِّ عَنْهُ.

(١) يَتَسَرَّى عَلَيْكَ: يَتَزَوَّجُ أَمَةً يُسْرِهَا وَيَسْتَرْهَا عَنْكَ.

(٢) الْمَوْسَى: آلَةُ الْحَلْقِ.

(٣) تَنَاوَمَ لَهَا: تَظَاهَرَ لَهَا بِالنَّوْمِ.

(٤) «الْإِحْيَاءُ» (١٥٤/٣).

(٥) وَاشِرٌ: الَّذِي يُزَيِّنُ الْحَدِيثَ بِالْكَذِبِ؛ لِيَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِفْسَادِ.

(٦) كَاشِحٌ: مُضْمِرُ الْعَدَاوَةِ، وَبَابُهُ قَطَعَ.

(٧) الْمُحَرِّشُ: السَّاعِي بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِفْسَادِ لِتَغْيِيرِ قُلُوبِهِمْ وَتَقَاطُعِهِمْ.



٢ - الحُبُّ للمحكي عنه (وهذا في ظاهِر الأمرِ، وإِلَّا فَإِنَّ مَنْ يُحِبُّ إِنْسَانًا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ لَا يُبْلِغُهُ مَا يَسُوءُهُ).

٣ - الفَرَحُ بالخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَنَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ واجْتَنِبْهَا ■■■ فَإِنَّ النَّمَّ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ  
يُثِيرُ أَخُو النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ ■■■ وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلِّ سِرٍّ  
وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا ■■■ وليس النَّمُّ مِنْ أَفْعَالِ حُرٍّ<sup>(٢)</sup>

■ حُكْمُ النَّمِيمَةِ:

النَّمِيمَةُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى تَحْرِيمِهَا الدَّلَائِلُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ (سورة القلم: ١١).

ثُمَّ قَالَ: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ (سورة القلم: ١٣).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «الزَّانِمُ: وَلَدُ الزَّانِي الَّذِي لَا يَكْتُمُ الْحَدِيثَ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يَكْتُمِ الْحَدِيثَ، وَمَشَى بِالنَّمِيمَةِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَلَدُ زَنَى اسْتِنْبَاطًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر «الزَّوْاجِر» (ص ٣٩٦).

(٢) «موارد الظَّمَان» (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر «الأذكار» (ص ٢٨٩)، و«الكبائر» (ص ١٦٠)، و«الزَّوْاجِر» (ص ٣٩٥).

(٤) «مكاشفة القلوب» (ص ٤٥٣).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۖ ﴾ (سورة الهمزة: ١).

وقال أكثر المفسرين في قوله - تعالى - : ﴿ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (سورة المسد: ٤).

قَالُوا: إِنَّ الْحَطَبَ أَرَادَ بِهِ النَّمِيمَةَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ النَّمِيمَةُ حَطَبًا؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْقِتَالِ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ إِيقَادِ الْحَطَبِ<sup>(٤)</sup>.

وعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ »<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن عباسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: « مَرَّ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ». ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ »<sup>(٦)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟<sup>(٧)</sup>، هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ<sup>(٨)</sup> بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(٩)</sup>.

(١) وَيَلْ: أَيُّ وَعِيدٍ وَوَبَالٌ.

(٢) الهمَّاز: هو الذي يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ بِالْفِعْلِ وَالْإِشَارَةِ.

(٣) اللَّمَّاز: هو الذي يَعِيبُ النَّاسَ بِقَوْلِهِ.

(٤) «تنبيه الغافلين» (ص ٨٩).

(٥) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم - واللفظ له - (١٠٥). وهنا فائدة مهمة حول هذا الحديث: قال ابن

حجر - يرحمه الله -: «أي: في أول وهلة كما في نظائره»، «الفتح» (٤٧٣/١٠).

قُلْنَا: هذا مذهب أهل السنة والجماعة، فَإِنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، إِلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ.

(٦) رواه البخاري - واللفظ له - (٢١٦) و (٢١٨) و (١٣٦١) و (١٣٧٨) و (٦٠٥٢) و (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

(٧) العَضَةُ - بَزْنَةُ الْوَجْهِ -: مَصْدَرُ عَضَّهْ عَضَّهَا: أَي رَمَاهُ بِالْعَضَةِ. وَرُويَ الْعَضَةُ: بَزْنَةُ الْعَدَةِ، وَهِيَ الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ، وَقَدْ أَطْلَقَهَا عَلَى النَّمِيمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَنْفَكُ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ غَالِبًا، وَجَمَعَ عَضَةً عِضُونًا.

(٨) القالة: كَثْرَةُ الْقَوْلِ، أَوْ إِيقَاعُ الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ.

(٩) رواه مسلم (٢٦٠٦).

وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» . قالوا: «بلى» . قال: «الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ وَالْعَنَتِ» <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> .

قال قتادة - يرحمه الله - : «ذَكَرَ لَنَا أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٌ: ثُلُثٌ مِنَ الْغَيْبَةِ، وَثُلُثٌ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَثُلُثٌ مِنَ الْبَوْلِ» <sup>(٣)</sup> .

أخي، النَّمَامُ يَنْبَغِي أَنْ يُغْضَرَ، وَلَا يُوثَقَ بِقَوْلِهِ، وَلَا بِصَدَاقَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ رَبَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، فَدَيْدَنُهُ إِيقَاعُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَإِحْلَالُ التَّدَابُرِ وَالتَّفَرُّقِ مَكَانَ الْمَحَبَّةِ وَالِاجْتِمَاعِ.

قال الشاعر:

تَمْشَيْتَ فِينَا بِالنَّمِيمَةِ، وَإِنَّمَا □□□ تَفَرِّقُ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ النَّمَائِمُ  
وَمَا زِلْتَ مَنْسُوبًا إِلَى كُلِّ آفَةٍ □□□ وَمَا زَالَ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ الْمَلَائِمُ  
لَأَنَّكَ لَمْ تَنْدَمْ لَشَرِّ فَعَلْتَهُ □□□ وَمَا تَأْتِ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ نَادِمٌ <sup>(٤)</sup>

سَعَى رَجُلٌ بِزِيَادٍ الْأَعْجَمِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا لِلْمُوَافَقَةِ، فَأَقْبَلَ زِيَادٌ عَلَى الرَّجُلِ، وَقَالَ:

فَأَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا اتَّمَنْتُكَ خَالِيًا □□□ فَخُنْتَ، وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمٍ  
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا □□□ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ <sup>(٥)</sup>

(١) الْعَنَتُ - بفتح تين - : الإِثْمُ، وبابه طَرَبٌ.

(٢) رواه أحمد في «المسند».

(٣) «الإحياء» (٣/ ١٤٠).

(٤) «روضة العقلاء» (ص ١٧٧).

(٥) «الإحياء» (٣/ ١٥٤).



وَمَنْ نَمَّ لَكَ الْيَوْمَ نَمَّ عَلَيْكَ غَدًا.

قال الحسن البصري - يرحمه الله - : «مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

لَا تَقْبَلَنَّ نَمِيْمَةً بُلْغَتْهَا      وَتَحَفْظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيْمَةً      سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا<sup>(٣)(٤)</sup>

وقال آخر:

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تَوْمَنْ عَقَارِيَهُ      عَلَى الصَّدِيقِ، وَلَمْ تَوْمَنْ أَفَاعِيَهُ  
كَالسَّبِيلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ      مِنْ أَيْنَ جَاءَ، وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ؟  
فَالْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ، كَيْفَ يَنْقُضُهُ؟<sup>(٥)</sup>      وَالْوَيْلُ لِلوُدِّ مِنْهُ، كَيْفَ يُفْنِيهِ؟<sup>(٥)</sup>

قال بعضهم: «لو صحَّ ما نقله النَّمَامُ إِلَيْكَ، لَكَانَ هُوَ الْمُجْتَرِيُّ بِالشَّتْمِ عَلَيْكَ، وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوْلَى بِحِلْمِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُقَابَلْكَ بِشْتِمِكَ»<sup>(٦)</sup>.

قال الشاعر:

دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ فُلَانَةٍ وَفُلَانٍ      وَاجْتَنِبْ مَا يُلْهِى عَنِ الرَّحْمَنِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً      وَجَمِيعُ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَاثِنٌ  
فَإِلَى مَتَى تَلْهُو وَقَلْبُكَ غَافِلٌ      عَنْ ذِكْرِ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ؟<sup>(٧)</sup>

(٢) أنباكها: أخبرك بها.

(٤) «موارد الظَّمان» (٣/٣٨٦).

(١) المرجع السابق (٣/١٥٣).

(٣) حاكها: نسجها، وبابه قال.

(٥) «روضة العقلاء» (ص ١٧٧).

(٦) «الإحياء» (٣/١٥٤).

(٧) «شذرات الذهب» (٥/٤١٥).

## ■ كيف نتعامل مع النَّمَام؟

قال الإمام النووي - يرحمه الله -: «وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ، وَقِيلَ لَهُ: فَلَانٌ يَقُولُ فِيكَ كَذَا - عَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الأول - أَلَّا يُصَدِّقَهُ؛ لِأَنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ.

الثاني - أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ، وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثالث - أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ - تعالى - ؛ فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ - تعالى - ، وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ - تعالى - .

الرابع - أَلَّا يَظُنَّ بِأَخِيهِ الْغَائِبِ السُّوءَ.

الخامس - أَلَّا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ، وَالْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ.

السادس - أَلَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نَهَى النَّمَامَ عَنْهُ، فَلَا يَحْكِي نَمِيمَةً عَنْهُ، فيقول: فلانٌ حكى كذا، فيصير به نماماً، ويكون آتياً ما نهى عنه»<sup>(١)</sup>.

وقَدْ ضَرَبَ لَنَا السَّلَفُ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ النَّمَامِ، وَإِلَيْكَ بَعْضُهَا:

روي أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ جَالِساً وَعِنْدَهُ الزُّهْرِيُّ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ فِيَّ، وَقُلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا فَعَلْتُ وَلَا قُلْتُ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَادَقٌ. فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّ: لَا يَكُونُ النَّمَامُ صَادِقاً. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: اذْهَبْ بِسَلَامٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) «شرح مسلم» (١١٣/٢)، و«فتح الباري» (٤٧٣/١٠) نقلاً عن أبي حامد الغزالي.

(٢) «الإحياء» (١٥٣/٣)، و«مختصر منهاج القاصدين» (ص ١٧٤).

وروي عن عمر بن عبد العزيز - يرحمه الله - أنه دخل عليه رجل، فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات: ٦). وإن كنت صادقا فانت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٌ مِّشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ (سورة القلم: ١١). وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو - يا أمير المؤمنين - لا أعود إليه أبدا<sup>(١)</sup>.

وروي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن رجلا سعى إليه برجل، فقال له: يا هذا، نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقا مقتناك، وإن كنت كاذبا عاقبتناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك؟ فقال: أقلني يا أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وقال رجل لعبد الله بن عمر - وكان أميراً -: بلغني أن فلانا أعلم الأمير أنني ذكرته بسوء. قال: قد كان ذلك. قال: فأخبرني بما قال لك؛ حتى أظهر كذبه عندك؟ قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني، وحسبي أنني لم أصدقته فيما قال، ولا أقطع عنك الوصال<sup>(٣)</sup>.

وقال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكر في قصصه بشر. فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقّي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله - تعالى - يحكم بيننا، وهو خير الحاكمين<sup>(٤)</sup>.



(١) و (٢) و (٣) «الإحياء» (٣/١٦٦).

(٤) المرجع السابق (٣/١٦٧).



## الآفَةُ الثَّالِثَةُ

## الْكُذْبُ



**الْكُذْبُ:** هو الإخبارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ، وَلَيْسَ الْإِخْبَارُ مَقْصُورًا عَلَى الْقَوْلِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بِالْفِعْلِ: كَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ، أَوْ هَزِّ الرَّأْسِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالسُّكُوتِ<sup>(١)</sup>. وهو صفةٌ ذميمةٌ، وعملٌ مردوٌّ، فهو من خِصَالِ النَّفَاقِ، ومن شُعَبِ الْكُفْرِ، بَلْ إِنَّ الْكُفْرَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهِ، فَالْكُذْبُ جِنْسٌ، وَالْكُفْرُ نَوْعٌ تَحْتَهُ<sup>(٢)</sup>.  
وَالْكُذْبُ مُحَرَّمٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

**قال النووي - يرحمه الله .:** «قد تظاهرت نصوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْكُذْبِ فِي الْجُمْلَةِ، وَهُوَ مِنْ قَبَائِحِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ مُنْعَقِدٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ مَعَ النُّصُوصِ الْمَتَظَاهِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

**قال النَّبِيُّ ﷺ - مُحَذِّرًا مِنَ الْكُذْبِ:** «وَيَاكُمْ وَالْكُذْبَ، فَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكُذْبَ، حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٢).

(٢) انظر «الأخلاق والسير» (ص ١٤٦).

(٣) «الأذكار» (ص ٣٢٤).

(٤) تقدم تخريجه ، واللفظ هنا لمسلم.

وعن معاوية بن حيدة قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيَلُ لَه، وَيَلُ لَه»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - في حديثٍ رُويَا النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «لَكُنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ، أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَبِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُوبٌ»<sup>(٣)</sup> من حديد، يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَنِمُ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ...»، وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ قَالَ - ﷺ - لِلرَّجُلَيْنِ: «طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُمْ. قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ، حَتَّى تَبْلُغَ الْأَفَاقَ»<sup>(٥)</sup>، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...»<sup>(٦)</sup>.

وَالْكَذَّابُ مَنْزُوعُ الثِّقَةِ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا عُرِفَ الْإِنْسَانُ بِالْكَذِبِ لَمْ يَزَلْ ■■■ لَدَى النَّاسِ كَذَّابًا، وَلَوْ كَانَ صَادِقًا  
فَإِنْ قَالَ لَمْ تُصْنَعْ لَهُ جُلَسَاؤُهُ ■■■ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ نَاطِقًا<sup>(٧)</sup>

(١) رواه أحمد (٣/٥)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٣٦/٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣) و (٢٦٨٢) و (٢٧٤٩) و (٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩).

(٣) الكلوب: واحد الكلايب، وهو حديدة يُعَلَّقُ عَلَيْهَا اللَّحْمُ، وَيُرْسَلُ فِي التَّنُورِ.

(٤) القفا: مؤخر العنق، يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، وَالْجَمْعُ قَفَى، وَأَقْفَاءٌ، وَأَقْفِيَّةٌ.

(٥) الأفاق: النواحي، والمفرد أفق - بضمين وقد تُسَكَّنُ الْفَاءُ -.

(٦) رواه البخاري (١٣٨٦) و (٦٠٩٦) و (٧٠٤٧).

(٧) «جواهر الأدب» (ص ٧١٣).

وَقَالَ آخَرُ:

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْبَلِّ ■■■ يَةِ بَعْضُ مَا يُحْكَى عَلَيْهِ  
 مَهْمَا سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ ■■■ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>  
 وَالكَذَّابُ مَهِينُ النَّفْسِ، لَيْسَ لَهُ مَرْوَةٌ، وَلَا يَسُودُ وَلَا خَيْرَ فِيهِ، كَمَا قِيلَ:  
 لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ ■■■ أَوْ فِعْلِهِ السُّوءِ، أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ  
 لِبَعْضِ جِيْفَةِ كَلْبٍ خَيْرُ رَائِحَةٍ ■■■ مِنْ كَذِبَةِ الْمَرْءِ فِي جِدِّ وَفِي لَعِبِ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ آخَرُ:

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ ■■■ بِأَذْهَبَ لِلْمَرْوَةِ وَالْجَمَالِ  
 مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ ■■■ وَأَبْعَدَ بِالْبُهَاءِ مِنَ الرُّجَالِ<sup>(٣)</sup>

قَالَ الْمَاورِدِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

«وَالْكَذِبُ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخَبَثِ نَتَائِجِهِ؛ لِأَنَّهُ  
 يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تُؤَلُّ إِلَى الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ  
 الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

نَعَمْ نَعَمْ إِنَّمَا النَّمَامُ ذُو ضَرَرٍ ■■■ لَكِنَّمَا الْكَاذِبُ الْجَانِي أَشَدُّ ضَرَرَ  
 أَخُو النَّمِيمَةِ إِنْ يَسْمَعُ يَنِمُّ، وَمَنْ ■■■ يَكْذِبُ يَقُلُّ مَا يَشَا قَوْلًا بَغِيرَ أَثَرٍ  
 لِذَاكَ لِي حِيلَةٌ فَيَمَنْ يَنِمُّ، وَمَا ■■■ لِي حِيلَةٌ فِي كَذُوبٍ مِلءُ فِيهِ شَرَرٌ<sup>(٥)</sup>

(١) «عيون الأخبار» (٢/٤٢٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٧١٢).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦١).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٢).

(٥) «جواهر الأدب» (ص ٧١٢).



■ ما يجوز من الكذب:

قال النووي - يرحمه الله -:

«فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، كان الكذب مباحاً، وإن كان واجباً كان الكذب واجباً، فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وسئل إنسان عنه - وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم أخذها، وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يورى، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارة مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية، وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الحال.

واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً»<sup>(١)</sup>.

زاد مسلم في رواية: «قالت أم كلثوم: ولم أسمعهُ يُرخصُ في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»<sup>(٢)</sup>.

(١) فينمي خيراً: أي يبلغ خبراً فيه خيرٌ وصلاًحٌ.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٣) «رياض الصالحين» (ص ٤٦٠).

فَالْكَذِبُ عَلَى طَرِيقِ التَّوْرِيَةِ وَالتَّعْرِيزِ جَائِزٌ لِلضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ، كَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَقَدْ تَطَرَّفَ بِرِدَاءٍ، وَانْفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «مِنْ مَاءٍ». فَوَرَى عَنِ الْإِخْبَارِ بِنَفْسِهِ بِأَمْرٍ يُحْتَمَلُ، فَظَنَّ السَّائِلُ أَنَّهُ عَنِ الْقَبِيلَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي يُخْلَقُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ، فَبَلَغَ مَا أَحَبَّ مِنْ إِخْفَاءِ نَفْسِهِ، وَصَدَّقَ فِي خَبَرِهِ<sup>(١)</sup>.

وَكَاذِي حُكِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ هَاجَرَ مَعَهُ، فَتَلَقَّاهُ الْعَرَبُ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَنْ هَذَا؟. فيقول: هَادِي يَهْدِينِي السَّبِيلَ. فيظنون أَنَّهُ يَعْنِي هِدَايَةَ الطَّرِيقِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُرِيدُ هِدَايَةَ سَبِيلِ الْخَيْرِ، فَيَصْدُقُ فِي قَوْلِهِ، وَيُورِي عَنْ مُرَادِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إِذَا طَلَبَهُ مَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الدَّارِ، قَالَ لِلْجَارِيَةِ: «قُولِي لَهُ: اطْلُبْهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا تَقُولِي لَهُ: لَيْسَ هَا هُنَا»؛ كَيْ لَا يَكُونَ كَذَّابًا<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ الشَّعْبِيُّ إِذَا طُلِبَ فِي الْمَنْزِلِ وَهُوَ يَكْرَهُهُ، خَطَّ دَائِرَةً، وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «ضَعِي الْأَصْبَعَ فِيهَا، وَقُولِي: لَيْسَ هَا هُنَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) و (٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٥).

(٣) و (٤) «الإحياء» (٣/ ١٣٧).

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِأَبَا: الْمَعَارِضُ مَنْدُوحَةٌ<sup>(١)</sup> عَنِ الْكَذِبِ،  
وَمَا أُوْرَدَ تَحْتَهُ حَدِيثَ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «مَاتَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ  
الْغُلَامُ؟. قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاخَ. وَظَنَّ أَنَّهَا  
صَادِقَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «إِنْ فِي الْمَعَارِضِ مَا يَكْفِي أَنْ يَعِفَّ الرَّجُلُ عَنِ  
الْكَذِبِ»<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا كُلُّهُ فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ، فَأَمَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْحَاجَةِ فَلَا؛ لِأَنَّ هَذَا  
تَفْهِيمٌ لِلْكَذِبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ كَذِبًا فَهُوَ مَكْرُوهٌ عَلَى الْجُمْلَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَأَخِيرًا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ:

إِذَا مَرَّ الْمَرْءُ أَخْطَاهُ ثَلَاثُ □□□ فَبِعِزِّهِ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ رَمَادٍ  
سَلَامَةٌ صَدْرِهِ، وَالصُّدُقُ مِنْهُ □□□ وَكِتْمَانُ السَّرَائِرِ فِي الضُّوَادِ<sup>(٥)</sup>



(١) مَنْدُوحَةٌ: سَعَةٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابُ (١١٦).

(٣) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ» (ص ٢٦٥).

(٤) «الْإِحْيَاءُ» (٣/١٤٩).

(٥) «رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ» (٥٣).



## الآفة الرابعة

## اللَّعْنُ



**اللَّعْنُ:** هو الطَّرْدُ والإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ أَلَّا يَكُونَ لَعَّانًا، وَلَا طَعَّانًا، وَلَا فَاحِشًا، وَلَا بَذِيئًا، إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ وَأَخْلَاقِ الْفُسَّاقِ نَاقِصِي الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>.

فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَالْبَذِيءِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لَصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «آفات اللسان» (ص ١٤٠).

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٨١/٢)، و«الصحيح» (٣٢٠).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٧) و (٦١٠٥) و (٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٧).

(٥) رواه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٤٣/٢)، و«الصحيح» (٨٩٠).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا يَكُونُ  
الْلَّعْنُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ عَلَيْهِ  
الْلَّعْنَةُ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْمَلْعُونُ الرِّيحَ الْمُسَخَّرَةَ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَهَا،  
فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «لَا تَلْعَنُهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ  
الْلَّعْنَةُ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَاللَّعْنُ مِنْهُيٌّ عَنْهُ حَتَّى لِلْحَيَوَانَ.

فَعَنِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ،  
وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ:  
«خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». قَالَ عِمْرَانُ: «فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي  
النَّاسِ، مَا يَعْزُضُ لَهَا أَحَدٌ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ  
بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ - ﷺ -، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: «حَلِّ<sup>(٤)</sup> اللَّهُمَّ الْعُنْهَا!». قَالَ: فَقَالَ  
النَّبِيُّ - ﷺ -: «لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ». وَفِي رَوَايَةٍ: «لَا تُصَاحِبُنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا  
لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٨)، والترمذي (١٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٤٧/٢)،

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٥).

و«الصحيح» (٥٢٧).

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٦).

(٤) حل: كلمة زجر للإبل واستحثاث.

## الآفه الخامسة

## السُّخْرِيَّةُ



السُّخْرِيَّةُ لَا تَصْدُرُ إِلَّا مِنْ إِنْسَانٍ مُمْتَلِيٍّ بِمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، مُتَّصِفٍ بِكُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، أَمَّا الرَّجُلُ الْمُتَخَلِّقُ بِجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ، وَكَرَائِمِ الْخِصَالِ فَهُوَ بِمَنَآئٍ عَنْ ذَلِكَ، وَكَيْفَ يَسْخَرُ مِنَ الْآخَرِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- نَهَى عَنِ السُّخْرِيَّةِ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾<sup>(١)</sup> (سورة الحجرات: ١١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -يَرْحَمُهُ اللَّهُ- فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ: «يَنْهَى - تَعَالَى - عَنِ السُّخْرِيَّةِ بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>. وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى -، وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقَرُ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَبَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بَابَ قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

(١) جاء تخصيصُ النساءِ في الآيةِ بالذكرِ تحذيراً من سُخْرِيَّةِ بَعْضِهِنَّ من بَعْضٍ؛ لأنَّ السُّخْرِيَّةَ شَائِعَةٌ فِيهِنَّ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٢٠٥).



■ وَأُورِدَ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ حَدِيثَيْنِ:

**أحدهما** - حديث عبد الله بن زَمْعَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ - ﷺ - أَنْ يَضْحَكَ الرَّجُلُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفُسِ»<sup>(١)</sup>.

**والثاني** - حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِمَنْى: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»<sup>(٢)</sup>.

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ : أَيَّ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْمَسْخُورُ مِنْهُ خَيْرًا مِنَ السَّاحِرِ كَمَا هُوَ الْحَالُ وَالْوَاقِعُ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات ١٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟» قَالَ: «أَتَقَاهُمْ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: «رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا - وَاللَّهِ - حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ». قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - . ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَّا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَلَّا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٠٤٢)، وفي رواية: ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي الضَّرْطَةِ، فَقَالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُهُمْ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْهُ؟»

(٢) رواه البخاري (١٧٤٢) و(٤٤٠٣) و(٦٠٤٣) و(٦٧٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٣) و(٣٣٧٤) و(٣٣٨٣) و(٣٤٩٠) و(٤٦٨٩) و(٢٣٧٨).

(٤) رواه البخاري (٥٠٩١) و(٦٤٤٧). والحديث محمولٌ على أَنَّ هَذَا الْفَقِيرَ خَيْرٌ فِي دِينِهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ

الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ. انظر «الفتح» (٥٨/١٣).

## الآفة السادسة

## البذاءة والتفحش في القول



الرَّجُلُ الْمُتَخَلِّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ يُنَزِّهُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُحْشِ، وَيُطَهِّرُهَا مِنَ  
الْبَذَاءَةِ، وَدَنِيَّةِ الْأَخْلَاقِ تَقْلُتُ الْأَلْفَاظُ الْبَذِيئَةُ مِنْهُ غَيْرَ عَابِيٍّ بِمَوَاقِعِهَا وَأَثَارِهَا.

والتَّفَحُّشُ فِي الْكَلَامِ يَأْتِي عَلَى مَعَانٍ، فَقَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ،  
وَقَوْلِ الْحَنَّا، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قَالَ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -  
فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى التَّعَدِّيِّ فِي الْقَوْلِ وَالْجَوَابِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -  
قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَسُ بْنُ يَهُودٍ، فَقَالُوا: «السَّامُ»<sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! قَالَ:  
«وَعَلَيْكُمْ». قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: «بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ»<sup>(٣)</sup>! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:  
«يَا عَائِشَةُ، لَا تَكُونِي فَاحِشَةً». فَقَالَتْ: «مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا؟». فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ  
عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا؟»، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) السَّامُ: الموت.

(٣) الذَّامُ: العيب.

(٤) رواه البخاري (٢٩٣٥) و (٦٠٢٤) و (٦٠٣٠) و (٦٢٥٦) و (٦٣٩٥) و (٦٤٠١) و (٦٩٢٧)، ومسلم - واللفظ له - (٢١٦٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «الْمُسْتَبَانُ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث: أن المتشاكين الذين يسب كل منهما الآخر يكون إثمهما على الذي ابتداء بالشتم، ما لم يعتد المظلوم بأن سبه أكثر وأفحش منه، أما إذا اعتدى كان إثم ما اعتدى عليه، والباقي على البادي، والحاصل إذا سب كل واحد الآخر فإثم ما قالا على الذي بدأ بالسب، وهذا إذا لم يعتد ويتجاوز المظلوم الحد، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

والتفحش في القول منهي عنه حتى للحيوان.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحْفَظْ لِسَانَكَ إِنْ لَقِيتَ مُشَاتِمًا ■■■ لَا تَجْرِينَ مَعَ اللَّئِيمِ إِذَا جَرَى  
مَنْ يَشْتَرِي عِرْضَ اللَّئِيمِ بِعِرْضِهِ ■■■ يَحْوِي النَّدَامَةَ حِينَ يَقْبِضُ مَا اشْتَرَى<sup>(٤)</sup>

وعلى المرء ألا يستسهل الألفاظ القبيحة؛ حتى لا يكون أهلاً لمقت الله إياه، واستخفاف الناس بشخصه، والألفاظ القبيحة كثيرة<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٧).

(٢) انظر «عون المعبود» (٢٣٧/١٣).

(٣) رواه أبو داود (٥١٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣١٤/٢).

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٢١١).

(٥) انظر «معجم المناهي اللفظية» فهو كتاب يطابق اسمه مسماه.



**قال النووي - يرحمه الله -:** «ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قول الشخص لمن يخاصمه: يا حمار، يا تيس<sup>(١)</sup>، يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح من وجهين: أحدهما أنه كذب، والآخر أنه إيذاء<sup>(٢)</sup>».

**قال الشافعي:**

أحب مكارم الأخلاق جهدي ■■■ وأكره أن أعيب، وأن أعابا  
وأصفح عن سباب الناس حلما ■■■ وشر الناس من يهوى السبابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه ■■■ ومن حقر الرجال فلن يهابا<sup>(٣)</sup>

وشريف النفس لا يجاري أصحاب الخلاعة والبذاءة، ويحافظ على مروءته صيانة لنفسه، فقد قيل: «احتمال السفيه خير من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكسته»<sup>(٤)</sup>.

**وقال ابن المقفع:** «واعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه<sup>(٥)</sup>، وأن سفه السفيه سيطلع له منك حقدًا، فإن عارضته، أو كافأته بالسفه، فكأنك قد رضيت ما أتى به، فأحببت أن تحتذي على مثاله، فإن كان ذلك عندك مذمومًا، فحقق ذمك إياه بترك معارضته، فأما أن تذمه وتمثله<sup>(٦)</sup> فليس في ذلك لك سداد<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

(٢) «الأذكار» (ص ٣١٤).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٥٣).

(٦) تمثله: تحتذيه وتسلك طريقه.

(١) التيس: من المعز، والجمع تيس، وأتيس.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥٢).

(٥) السفه - بفتحيتين - : ضد الحلم.

(٧) السداد: الصواب.

(٨) «الأدب الصغير والأدب الكبير» (ص ١٢٣).

قال أبو الأسود الدؤلي:

فاترك مجارة السفية؛ فإنها ■■■ ندم وغيب<sup>(١)</sup> - بعد ذاك - وخيم  
فإذا جريت مع السفية كما جرى ■■■ فلاكما في جريه مذموم<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

لا ترجعن إلى السفية خطابه ■■■ إلا جواب تحية حياكها  
فمتى تحركه تحرك جيفة ■■■ تزداد نتنا إن أردت حراكها<sup>(٣)</sup>



(١) الغيب - بالكسر - : العاقبة.

(٢) «جواهر الأدب» (ص ٦٦٣).

(٣) «الحلم» (ص ٣٢).

## الْآفَةُ السَّابِعَةُ شَهَادَةُ الزُّورِ



شَهَادَةُ الزُّورِ أَمَارَةٌ عَلَى ضِعَةِ<sup>(١)</sup> النَّفْسِ، وَحَقَارَةِ الشَّانِ، وَسُقُوطِ الْهِمَّةِ،  
وَالْقَحَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَسَفَهِ الْعَقْلِ، وَخَبْثِ الطَّوِيَّةِ<sup>(٣)</sup>، وَسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ قَطْعِ وَشَائِحِ  
الْمَحَبَّةِ، وَنَقْضِ عُرَا الْأُخُوَّةِ، وَإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَإِحْلَالِ التَّدَابُرِ  
والتَّفَرُّقِ مَكَانَ الْمَحَبَّةِ وَالْاجْتِمَاعِ.

أَبْعَدَ الصَّفَاءِ وَمَحْضِ الْإِخَاءِ ■■■ يَقِيمُ الْجَفَاءَ بِنَا يَخْطُبُ؟

وَقَدْ كَانَ مَشْرِينَا صَافِيَا ■■■ زَمَانًا، فَهَلْ كَدَّرَ الْمَشْرِبُ؟

وَالْأَصْلُ فِي الزُّورِ تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وَوَصْفُهُ بِخِلَافِ صِفَتِهِ، فَهُوَ كُلُّ بَاطِلٍ،  
سِوَاءٍ كَانَ ذَلِكَ شَرْكًا، أَوْ غِنَاءً، أَوْ كَذِبًا، أَوْ غَيْرَهُ، وَكُلُّ مَا لَزِمَهُ اسْمُ الزُّورِ؛  
لَأَنَّ اللَّهَ عَمَّ فِي وَصْفِهِ عِبَادَ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْصَّ  
مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا بِحُجَّةٍ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٢).

(١) الضُّعَةُ - بفتح الضاد وكسرهما - : الحقارة، وبابه ظُرْفٌ.

(٢) القَحَّةُ - بفتح القاف وكسرهما - : قِلَّةُ الْحَيَاءِ، وبابه ظُرْفٌ.

(٣) الطَّوِيَّةُ - بالفتح - : الضَّمِيرُ.

(٤) «جامع البيان» (٣١/١٩) بتصرفٍ.



قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهَا: «أَيُّ لَا يَحْضُرُونَ الزُّورَ: أَيُّ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الْمَحْرَمِ، فَيَجْتَنِبُونَ جَمِيعَ الْمَجَالِسِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْأَقْوَالِ الْمَحْرَمَةِ، أَوْ الْأَفْعَالِ الْمَحْرَمَةِ: كَالخَوْضِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَالْجِدَالِ الْبَاطِلِ، وَالْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْقَذْفِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالْغِنَاءِ الْمَحْرَمِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَفُرْشِ الْحَرِيرِ، وَالصُّوَرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانُوا لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى أَلَّا يَقُولُوهُ وَيَفْعَلُوهُ».

وَشَهَادَةُ الزُّورِ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِ الزُّورِ، تَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْأَوْلَوِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ

الزُّورِ﴾ (سورة الحج: ٣٠).

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: «أَيُّ: جَمِيعَ الْأَقْوَالِ الْمَحْرَمَاتِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ قَوْلِ الزُّورِ الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ، وَمِنْ ذَلِكَ شَهَادَةُ الزُّورِ»<sup>(٢)</sup>.

وَشَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ.

فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «أَلَّا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ

الْكِبَائِرِ؟» قُلْنَا: «بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ». قَالَ: «الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَكَانَ

مُتَكِنًا، فَجَلَسَ فَقَالَ - أَلَّا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَّا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»

فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَا يَسْكُتُ<sup>(٣)</sup>.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٥٨٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٣٨).

(٣) تقدم تخريجه، واللفظ للبخاري.

## ■ أضرار شهادة الزور:

لشهادة الزور أضرار كثيرة، فمنها:

١ - تضييل الحاكم عن الحق، والسبب في الحكم بالباطل، ولذلك قال رسول الله - ﷺ - : «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ**»<sup>(١)</sup> **مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ**»<sup>(٢)</sup>.

٢ - الظلم لمن شهد له؛ لأنه ساق إليه ما ليس بحق بسبب شهادة الزور، فوجبت له النار، ولذلك قال - ﷺ - : «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ؛ فَلَا يَأْخُذْهَا**»<sup>(٣)</sup>.

٣ - الظلم لمن شهد عليه، فيتعرض الشاهد لدعوة المشهود عليه بغير الحق ظلمًا، ودعوة المظلوم مستجابة، كما قال رسول الله - ﷺ - : «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ... وذكر منهم - دعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين**»<sup>(٤)</sup>.

(١) ألحن بحجته: أعلم وأفطن لها، من اللحن - بفتحتين - وهو الفطنة، وبابه فراح.

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - (٢٤٥٨) و(٢٦٨٠)، (٦٩٦٧) و(٧١٦٩) و(٧١٨١) و(٧١٨٥)، ومسلم

(١٧١٣) عن أم سلمة.

(٣) التخريج السابق.

(٤) رواه أبو داود (٥٧٨/٥)، وانظر «جامع الأصول» (١٤٥/٤).

وقال آخر:

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ■■■ فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ  
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ■■■ يدعوا عليك، وعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ  
٤ - قَدْ يَطْلُبُ مِنْهُ الْيَمِينُ عَلَى صَحَّةِ شَهَادَتِهِ، فَيَتَعَرَّضُ لَغَضَبِ اللَّهِ وَمَقَتِهِ،  
قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ اقْتَطَعَ<sup>(١)</sup> حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ  
النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فقال له رجل: «وإن كان شيئاً يسيراً، يا رسولَ اللَّهِ؟». قال:  
«وإن كان قَضِيْبًا مِنْ أَرَاكِ»<sup>(٢) (٣)</sup>

٥ - تَخْلِيصُ الْمَجْرِمِينَ مِنْ عُقُوبَةِ الْجُرَيْمَةِ.  
٦ - تَزْكِيَةُ الْمَشْهُودِ لَهُ، وَهُوَ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.



(١) اقْتَطَعَ: أَخَذَ.

(٢) الْأَرَاكِ: شَجَرٌ مَعْرُوفٌ يُسْتَاكُ بِأَعْوَادِهِ، وَاحِدُهُ أَرَاكَةٌ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٧) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ.

(٤) انْظُرْ «مَجْلَّةُ الْبَحْثِ»، بَحْثُ قَدَمِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْقَصِيرُ بِتَصْرُفٍ..

## الآفة الثامنة

## إفشاء الأسرار



إفشاء الأسرار ضربٌ من ضروب الخيانة، وقلَّ أن تجد رجلاً وفيّاً يفشي أسرارَهُ، وأسرارَ الآخرين.

**والسرُّ:** هو ما يقع بينك وبين صاحبك، فلا يحلُّ لك أن تُبينه لأحد، سواءً قال لك: لا تخبر به أحداً، أو التفت في حال حديثه خشيةً أن يكون أحدٌ يسمع، أو علمت أنه لا يحب أن يطّلع عليه أحدٌ غيرك، أو أخبرك بأمورٍ يستحي من ذكرها.

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا حدث الرجل بالحديث، ثم التفت، فهو أمانة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته<sup>(٢)</sup>، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»<sup>(٣) (٤)</sup>.

(١) رواه أبوداود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩)، وأحمد (٣٢٤/٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٦/١)، و«الصحيح» (١٠٩٠).

(٢) يفضي إلى امرأته: من الإفشاء، وهو مباشرة البشارة، وهو هنا كناية عن الجماع.

(٣) ثم ينشر سرها: أي يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع، وقبله من مقدمات الجماع، وهو من الكبائر.

(٤) رواه مسلم (١٤٣٧).



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ تَأَيَّمَتْ <sup>(١)</sup> بِنْتُهُ حَفْصَةَ، قَالَ: «لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيْالِي ثُمَّ لَقِيتُنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي الْآ أَتَزَوِّجُ يَوْمِي هَذَا. فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ فَصَمَّتْ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا. فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ <sup>(٢)</sup> مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيتُنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لَأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ - ﷺ - لَقَبِلْتُهَا» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَحَدًا. قَالَ أَنَسُ: «وَاللَّهِ، لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ» <sup>(٤)</sup>.

جَزَاهُمْ اللَّهُ عَنْ دِينِ الرَّسُولِ فَمَا ■ ■ ■ أَحَلَّى مَآثِرَهُمْ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ !  
لَوْ لَا لَطَائِفُ صُنْعِ اللَّهِ مَا نَبَتَتْ ■ ■ ■ تِلْكَ الْمَكَارِمُ فِي لَحْمٍ، وَلَا عَصَبٍ

(١) تَأَيَّمَتْ: أَيِ صَارَتْ بِلَا زَوَاجٍ.

(٢) أَوْجَدَ: أَشَدَّ غَضَبًا.

(٣) رواه البخاري (٤٠٠٥) و(٥١٢٢) و(٥١٢٩) و(٥١٤٥).

(٤) رواه مسلم (٢٤٨٢)، وأخرجه البخاري (٦٩/١١) بلفظ: «أَسْرَأَ إِلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ - سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلْتَنِي أُمُّ سَلِيمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ».

والحازم يستعينُ على إنجاحِ أعمالِهِ بالكِتْمَانِ.

قالَ رسولُ اللَّهِ - ﷺ - : «استعينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكِتْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»<sup>(١)</sup>.

قالَ ابنُ حِبَّانَ - يرحمهُ اللهُ -: «والحازمُ يجعلُ سرَّهُ في وعاءٍ، ويكتمهُ عن كُلِّ مُسْتَوْدِعٍ، فَإِنْ اضْطَرَّ الأمرُ وغلبَهُ، أودعَهُ العاقلُ النَّاصِحَ لَهُ؛ لأنَّ السِّرَّ أمانةٌ، وإفشاؤه خيانةٌ، والقلبُ لَهُ وعاءُهُ، فَمِنْ الأَوْعِيَةِ مَا يَضِيقُ بِمَا يُودَعُ، وَمِنْهَا مَا يَتَّسِعُ لِمَا اسْتُوْدِعَ»<sup>(٢)</sup>.

قالَ الشَّاعِرُ:

عليك بكتّم السّر في كلّ حالة ■■■ فقد جاء في الأخبار من ألف حجة  
إذا دخل اثنان الحديث فسره ■■■ يشيع، وصمت المرء أعظم حكمة<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

سأكتّمه سري، وأحفظ سره ■■■ ولا غرنّي أني عليه كريم  
حليم فينسى، أو جهول يشيعه ■■■ وما الناس إلا جاهل وحليم<sup>(٤)</sup>

وكبرامُ الناسِ يقضونَ هذا الحقَّ، فتتسعُ صدورُهُمُ لآسرارِهِمُ، وآسرارُ الآخرينَ، كما قيلَ: «قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ».

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٨٩).

(٣) «جواهر الأدب» (ص ٧١٨).

(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٨٥).

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا يَكْتُمُ السُّرَّاءُ مَنْ لَهُ شَرَفٌ ■■■ وَالسُّرُّعُنْدُ كِرَامُ النَّاسِ مَكْتُومٌ  
السُّرُّعُنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غُلُقٌ<sup>(١)</sup> ■■■ ضَلَّتْ<sup>(٢)</sup> مَفَاتِيحُهُ، وَالْبَابُ مَخْتُومٌ<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ أَطْلَعَ النَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِ وَأَسْرَارِ غَيْرِهِ، هَانَ عَلَيْهِمْ وَأَذَاعُوهُ، وَلَا يَفْعَلُ  
ذَلِكَ إِلَّا حَقِيرُ النَّفْسِ، وَالْحَازِمُ يَتَفَطَّنُ حَتَّى لِلطَّرِيقِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ بِهَا مَا  
عِنْدَهُ، وَهِيَئَاتَ أَنْ يَظْفَرَ أَحَدُهُمْ بِأَرَبِهِ.

قَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِيٍّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «كُنْ حَافِظًا لِلسُّرِّ، مَعْرُوفًا  
عِنْدَ النَّاسِ بِحِفْظِهِ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا مِنْكَ هَذِهِ الْحَالِ أَفْضَوْا إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهِمْ،  
وَعَذَرُواكَ إِذَا طَوَيْتَ عَنْهُمْ سِرَّ غَيْرِكَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُشْفِقُونَ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَ  
لَكَ اتِّصَالٌ بِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَعَادِينَ، فَإِنَّ الْوَسَائِلَ لاسْتِخْرَاجِ مَا عِنْدَكَ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ  
مِنْ كُلِّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَظْفَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَصْرِيحًا أَوْ  
تَعْرِيفًا، وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِي اسْتِخْرَاجِ مَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ طُرُقًا دَقِيقَةً، وَمَسَالِكَ  
خَفِيَّةً، فَاجْعَلْ كُلَّ احْتِمَالٍ - وَإِنْ بَعْدَ - عَلَى بَالِكَ، وَلَا تُؤْتِ مَنْ جِهَةً مِنْ  
جِهَاتِكَ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْحَزْمِ، وَاجْزِمْ بِأَنَّكَ لَا تَنْدُمُ عَلَى الْكُتْمَانِ، وَإِنَّمَا الضَّرَرُ  
وَالنَّدَمُ فِي الْعَجَلَةِ وَالتَّسَرُّعِ، وَالْوُثُوقِ بِالنَّاسِ ثِقَةً تَحْمِلُكَ عَلَى مَا يَضُرُّ»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ:

أَوْأَخِي رَجَالًا لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ ■■■ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا  
يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ، وَسِرُّهُمْ ■■■ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرُّجَالَ أَنْصِدَاعُهَا<sup>(٥)</sup>

(١) الْغُلُقُ - بفتحتين - : المغلاق، وهو ما يُغْلَقُ بِهِ الْبَابُ.

(٢) ضَلَّتْ : ضَاعَتْ.

(٣) «روضة العقلاء» (ص ١٩١).

(٤) «الرياض الناضرة» (ص ٢١٠).

(٥) «عيون الأخبار» (١/ ٨١).



وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَثِقُ بِكُلِّ أَحَدٍ، فَيُفْضِي إِلَيْهِمْ بِأَسْرَارِهِ، فَإِذَا انْتَشَرَ الْخَبْرُ وَذَاعَ - وَكُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ شَاعَ - لَمْ يَنْجُ مِنْ أَذَاعِهِ وَأَفْشَاهُ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَا وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ، فَلُمْتُهُ عَلَى أَنْ يُفْشِيَهُ؛ كَيْفَ أَلُومُهُ وَقَدْ ضَيَّقْتُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ ■■■ وَلَمْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ ■■■ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ يَكُونُ لِلْمَرْءِ صَدِيقٌ هُوَ مُسْتَوْدَعُ أَسْرَارِهِ، فَتَدْعُوهُ الْحَاجَةُ لِكِتْمِ السِّرِّ عَنْهُ خَوْفًا أَنْ يَنْتَقِلَ السِّرُّ إِلَى صَدِيقٍ آخَرَ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَا كَتَمْتَ السَّرَّ عَمَّنْ أَوَدَّهُ ■■■ تَوَهَّمَ أَنْ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ

وَلَمْ أُخْفِ عَنْهُ السَّرَّ مِنْ ظَنَّةٍ<sup>(٣)</sup> بِهِ ■■■ وَلَكِنِّي أَخْشَى صَدِيقَ صَدِيقِي<sup>(٤)</sup>

وَالرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمُتَخَلِّقُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ يَحْفَظُ أَسْرَارَ إِخْوَانِهِ، حَتَّى وَلَوْ تَصَرَّمَ حُبُّ الْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمَا، كَمَا قِيلَ:

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ ■■■ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمًا

بَلِ الْكَرِيمُ الَّذِي تَبَقَّى مَوَدَّتُهُ ■■■ وَيَحْفَظُ السِّرَّ، إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمًا<sup>(٥)</sup>

(١) «روضة العقلاء» (ص ١٨٨).

(٢) «ديوان الشَّافِعِيِّ» (ص ٩٢).

(٣) الظَّنَّةُ - بكسر الظاء - : التَّهْمَةُ - بفتح الهاء - .

(٤) «رسائل الإصلاح» (١٧/٢).

(٥) «عين الأدب والسياسة» (ص ٧٠).



## الْأَفَقُ التَّاسِعُ

## الْمَدْحُ الْمَذْمُومُ



الْمَدْحُ: نَقِيضُ الْهَجَاءِ، وَهُوَ حُسْنُ الثَّنَاءِ. وَقِيلَ: هُوَ الْوَصْفُ الْجَمِيلُ، وَعَدُّ الْمَآثِرِ<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: هُوَ وَصْفُ الْمَحَاسِنِ بِكَلَامٍ جَمِيلٍ<sup>(٢)</sup>.

وَالْمَذْمُومُ مِنْهُ: هُوَ مَا انْعَدَمَتْ فِيهِ ضَوَابِطُ الْمَدْحِ الْمُبَاحِ، فَاَنْعَدَمَ فِيهِ الصِّدْقُ، أَوْ صَاحِبُهُ النِّفَاقُ، أَوْ اتَّخَذَ مِهْنَةً لِلتَّكْسِبِ، وَزَادَ الْمَذْمُوحَ بَطَرًا، وَتَكَبَّرًا، وَظُلْمًا، وَرِثَاءً.

وَهَذَا النَّوعُ هُوَ الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ - ﷺ - فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ، فَقَالَ: «أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهَرَ الرَّجُلِ!»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ -، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ!» مَرَارًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ - لَا مَحَالَةَ - فَلْيَقُلْ: أَحْسِبْ فَلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذًا وَكَذًا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «لسان العرب» (٢/ ٥٨٩ - ٥٩٠)، و«تاج العروس» (٧/ ١١١).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (ص ٣٠٨٥).

(٣) رواه البخاري (٢٦٦٣) و(٦٠٦٠)، ومسلم (٣٠٠١).

(٤) رواه البخاري - واللفظ له - (٢٦٦٢) و(٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «حَاصِلُ النَّهْيِ عَمَّنْ أَفْرَطَ فِي مَدْحِ آخَرَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى الْمَمْدُوحِ الْعُجْبَ لَظَنَّهُ أَنَّهُ بِيَتْلِكَ الْمَنْزِلَةِ، فَرُبَّمَا ضَيَّعَ الْعَمَلَ، وَالْأَزْدِيَادَ مِنَ الْخَيْرِ اتِّكَالًا عَلَى مَا وَصَفَ بِهِ، وَلِذَلِكَ تَأَوَّلَ الْعُلَمَاءُ فِي الْحَدِيثِ: «احْتُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ»<sup>(١)</sup> أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ يَمْدَحُ النَّاسَ فِي وُجُوهِهِمْ بِالْبَاطِلِ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا جَاهِلًا غَرَّهُ إِفْرَاطُ مَادِحِهِ      لا يَغْلِبُنْ جَهْلُ مَنْ أَطْرَاكَ عِلْمَكَ بِكَ  
أَتْنَى وَقَالَ بِلا عِلْمٍ أَحَاطَ بِهِ      وانتَ أَعْلَمُ بِالْمَحْصُولِ مِنْ رَبِّكَ

وَمِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ عَرَفْنَا أَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الْمَدْحِ هُوَ الَّذِي يَعُودُ بِالْفِتْنَةِ عَلَى الْمَمْدُوحِ، أَوْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ أَوْ إِفْرَاطٌ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَ الْمَمْدُوحُ لَا يَزْدَادُ بِهِ إِلَّا كَمَالًا، أَوْ يَنْشَطُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَالْأَزْدِيَادِ مِنْهُ، أَوْ الدَّوَامِ عَلَيْهِ - فَهَذَا مَحْمُودٌ مَدُوبٌ إِلَيْهِ، فَعِنْدَمَا قَصَّتْ حَفْصَةُ رُؤْيَا أَخِيهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - عَلَى النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم - قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ - بَعْدَ ذَلِكَ - لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»<sup>(٣)</sup>.

فَهَذَا الْمَدْحُ مِنَ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم - كَانَتْ ثَمَرَتُهُ عَظِيمَةً لِلْمَمْدُوحِ، حَيْثُ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.

(١) رواه مسلم (٣٠٠٢) عن المقداد.

(٢) «فتح الباري» (٤٧٧/١٠).

(٣) رواه البخاري (١١٢٢) و(١١٥٧) و(٣٧٣٩) و(٣٧٤١) و(٧٠١٦) و(٧٠٢٩) و(٧٠٣١)، ومسلم

(٢٤٧٨)، (٢٤٧٩).

قَالَ النَّوَوِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ -: «قَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحَّاحِينَ بِالْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ، وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهَا أَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُجَازَفَةِ فِي الْمَدْحِ، وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَوْصَافِ، أَوْ عَلَى مَنْ يُخَافُ عَلَى فِتْنَتِهِ مِنْ إِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ، إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ.

وَأَمَّا مَنْ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ لِكَمَالِ تَقْوَاهُ، وَرُسُوحِ عَقْلِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ، فَلَا نَهْيَ فِي مَدْحِهِ فِي وَجْهِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ، بَلْ إِذَا كَانَ يَحْصُلُ بِذَلِكَ مَصْلَحَةٌ: كَنَشْطِهِ لِلْخَيْرِ، وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهُ، أَوْ الدَّوَامِ عَلَيْهِ، وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ - كَانَ مُسْتَحَبًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»<sup>(١)</sup>.

فَعَلَى الْمَادِحِ أَلَّا يَمْدَحَ أَيَّ شَخْصٍ بِأَكْثَرِ مِمَّا فِيهِ، فَقَدْ قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ: «لَا تَمْدَحْ أَحَدًا بِأَكْثَرِ مِمَّا فِيهِ؛ فَيَكُونَ مَا زِدْتَهُ نَقْصًا لَكَ».

وَعَلَى الْمَمْدُوحِ أَنْ يَر\_اقِبَ نَفْسَهُ مِنَ الْعُجْبِ، وَمِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ، وَلِيَدْعُ بِهَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ»<sup>(٢)</sup>.



(١) «شرح مسلم» (١٢٦/١٨).

(٢) «فتح الباري» (٤٧٨/١٠) نقلاً عن البيهقي في «الشُّعْب» (٢٢٨/٤) منسوبة لأبي بكر الصِّدِّيق، وصحَّحه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٨٥).

## الخاتمة



وَحَتَامًا فَإِنَّ الْكَمَالَ عَزِيزٌ، وَبَلُوغَهُ بَعِيدُ الْمَنَالِ، مُعْجِزُ الدَّرَكِ، فَمَنْ وَجَدَ خَلَلًا أَوْ نَقْصًا، فَتَحَنُّ نُنَاشِدُهُ اللَّهَ فِي إِصْلَاحِهِ، وَأَدَاءِ حَقِّ النَّصِيحَةِ فِيهِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ تَجَاوَزَ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْهَنَاتِ، وَالتَّمَسَّ لِي الْعُذْرَ فِي النِّقْصِ وَالتَّقْصِيرِ.

إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَ ■■■ جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا!

وَأَجِدُنِي مُضْطَرًّا لِأَنْ أَقُولَ مَا قَالَ مَنْ قَبْلِي: «هَذَا جُهِدُ الْمُقْلِّ، وَحِيلَةُ الْمُفْلِسِ، حَذَرٌ فِيهِ مِنَ الدَّاءِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ، وَوَصَفَ فِيهِ الدَّوَاءَ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَنَاوُلِهِ لظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ، وَهُوَ يَرْجُو أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ غِيَّهُ لِنَفْسِهِ بِنَصِيحَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ».

فَإِنْ كُنْتَ - أَخِي الْقَارِئُ - مِمَّنْ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِحِفْظِ الْجَمِيلِ، فَأَقْلُ الْجَمِيلِ فِي حَقِّ كَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ «حَفِظَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ!»، أَوْ «رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ!».

وَأَسْتَوْدِعُكَ - أَخِي - بِهَذَا الدُّعَاءِ:

بَقِيَتْ مَدَى الدَّهْرِ، وَعِلْمُكَ رَاسِخٌ ■■■ وَخَيْرُكَ مَمْدُودٌ، وَلَيْلُكَ عَامِرٌ  
يُودُ سَنَاكَ الْبَدْرُ، وَالْبَدْرُ زَاهِرٌ ■■■ وَيَقْفُو نَدَاكَ الْبَحْرُ، وَالْبَحْرُ غَامِرٌ  
وَهُنْتُ أَيَّامًا تَوَالَى نَشَاطُهَا ■■■ كَمَا تَتَوَالَى فِي الْعُقُودِ الْجَوَاهِرُ

وَأَخِرُ دُعَاؤَنَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



# مراجع البحث والفهرس



## مراجع البحث



- القرآن الكريم.
- «أبجد العلوم» لصديق حسن خان.
- «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي.
- «الأخلاق والسير» لابن حزم الأندلسي.
- «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح الحنبلي.
- «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي.
- «الأدب الصغير والأدب الكبير» لابن المقفع.
- «الأدب المفرد» للبخاري.
- «الأذكار» للنووي.
- «إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد» لعبد العزيز السلمان.
- «إرواء الغليل» للألباني.
- «الاستقامة» لابن تيمية.
- «الإصابة» لابن حجر العسقلاني.
- «آفات اللسان» للقحطاني.
- «إقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية.
- «أقوال مأثورة» لمحمد لطفي الصبّاغ.
- «الألفية في الآداب الشرعية» لأبي عبد الله محمد بن عبد القوي.
- «إنباه الرواة على أنباء النحاة» للقفطي.
- «البداية والنهاية في التاريخ» لابن كثير الدمشقي.
- «بذل المجهود» لخليل السهارنفوي، تعليق الكاندهلوي.
- «بر الوالدین» للحنّاوي.

- «بر الوالدین» للطرموسی.
- «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي.
- «بلوغ الأماني».
- «بهجة المجالس وأنيس المقيم والمسافر» لأبي عبد الله الأثري.
- «بهجة المجالس» لابن عبد البر.
- «البيان والتبيين» للجاحظ.
- «تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي».
- «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
- «تحفة الأحوذی» لأبي العلي عبد الرحمن المباركفوري.
- «تخريج الإحياء» للحافظ العراقي.
- «تخريج المشكاة» للألباني.
- «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.
- «تسلياة أهل المصائب» لأبي عبد الله النجی.
- «التعريفات» للجرجاني.
- «تفسير البحر المحیط» لأبي حیان الأندلسي.
- «تفسير الطبري».
- «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير الدمشقي.
- «تفسير القرطبي».
- «التفسير القيم» لابن قيم الجوزية.
- «التفسير الكبير» للرازي.
- «تنبيه الغافلين» لأبي الليث السمرقندي.
- «تهذيب الأخلاق» للجاحظ.
- «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني.
- «تهذيب مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية، تهذيب عبد المنعم العزبي.
- «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي.



- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدٍ».
- «جامع الأصول، لابن الأثير».
- «جامع البيان لابن جرير الطبري».
- «جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي».
- «الجرح والتعديل، لأبي محمد الرازي».
- «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية».
- «جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي».
- «كتاب الحلم، لابن أبي الدنيا».
- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني».
- «حياة الحيوان، للجاحظ».
- «الداء والدواء، لابن قيم الجوزية».
- «دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني».
- «ديوان أبي الطيب المتنبي».
- «ديوان أبي فراس الحمداني».
- «ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري».
- «ديوان الإمام الشافعي» تحقيق البقاعي.
- «ديوان عبده محمد العماد» (مخطوط).
- «ديوان المثاني، لعبد الوهاب عزّام».
- «الرحيق المختوم، لصفى الرحمن المباركفوري».
- «رسائل الإصلاح، لمحمد الخضر حسين».
- «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي».
- «رياض الصالحين، للنووي».
- «الرياض الناضرة والحدائق النيرة، لابن سعدٍ».
- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية.
- «الزواجر» لابن حجر الهيتمي».

- «السُّنْةُ الصَّحِيحَةُ، للألباني.
- «السُّنْةُ الضَّعِيفَةُ، للألباني.
- «السُّنَنُ» لأبي داود السُّجِسْتَانِي.
- «السُّنَنُ» للترمذي.
- «السُّنَنُ» للنسائي.
- «السُّنَنُ» لابن ماجه القزويني.
- «السُّنَنُ» لأبي محمد الدَّارِمِي.
- «سير أعلام النبلاء» للذهبي.
- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي.
- «شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب الحنبلي.
- «شرح حماسه أبي تمام» للتبريزي.
- «شرح السُّنَّة» للبغوي.
- «شرح سنن أبي داود معالم السُّنَن» للخطابي.
- «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي.
- «شرح مسلم» للنووي.
- «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني.
- «شعب الإيمان» للبيهقي.
- «شفاء العليل» لابن قيم الجوزية.
- «الشُّوقِيَّات» لأحمد شوقي.
- «الصُّحاح» لأبي نصر الجوهري.
- «صحيح البخاري» .
- «صحيح مسلم».
- «صحيح ابن حبان» للألباني.
- صحيح الأدب المفرد» للألباني.
- «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.

- «صحيح الجامع، للألباني.
- «صحيح سنن ابن ماجة، للألباني.
- «صحيح سنن أبي داود، للألباني.
- «صحيح سنن الترمذي، للألباني.
- «صفة الصفوة، لابن الجوزي.
- «صيد الخاطر، لابن الجوزي.
- «العقد الفريد» لأحمد بن عبده ربه القرطبي.
- «كتاب الضعفاء» للعقيلي.
- «عدة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين» لابن قيم الجوزية.
- «عشرون قصيدة في الزهد» جمع محمد سيد أحمد.
- «العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي.
- «عمل اليوم والليلة» لابن السني.
- «عون المعبود شرح أبي داود» للعظيم آبادي.
- «عين الأدب والسياسة» لعلي بن هذيل.
- «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.
- «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» للسفاريني.
- «الغوامض والمبهمات» لابن بشكوال.
- «مجموع فتاوى ابن تيمية» جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.
- «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني.
- «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- «فتح المغيب» للسخاوي.
- «فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين» لأبي عبد الله مصطفى العدوي.
- «كتاب الفنون» لابن عقيل الحنبلي.
- «الفوائد» لابن قيم الجوزية.
- «القاموس المحيط» للفيروزآبادي.

- «قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا.
- «الكبائر، للذهبي.
- «كشف الأستار، للبزاز.
- «كشف الخفاء، للعجلوني.
- «الكليات، للكفوي.
- «لسان العرب، لابن منظور.
- «مجلة البحوث.
- «مجمع الزوائد، للهيتمي.
- «مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي.
- «مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية.
- «المدخل، لابن الحاج.
- «المروءة الغائبة.
- «المروءة وخوارمها، لمشهور بن حسن آل سليمان.
- «مساوئ الأخلاق، للخرائطي.
- «المستدرك، للحاكم.
- «المسند، للإمام أحمد.
- «المصنّف، لابن أبي شيبه.
- «المُعْجَم الأوسط، للطبراني.
- «المُعْجَم الكبير، للطبراني.
- «مُعْجَم مقاييس اللغة، لابن فارس.
- «مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية.
- «مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا.
- «مكارم الأخلاق، لابن تيمية، تحقيق وإعداد عبد الله بدران ومحمد عمر الحاجي.
- «مكارم الأخلاق، لابن عثيمين، إعداد وترتيب خالد أبو صالح.
- «مكارم الأخلاق، للخرائطي.



- «مكارم الأخلاق، لسليم الهاللي».
- «مكاشفة القلوب، لأبي حامد الغزالي».
- «منظومة الأدب».
- «منهاج القاصدين، لابن الجوزي».
- «منهج السنة النبوية، لابن تيمية».
- «موارد الظمآن لدروس الزمآن، لعبد العزيز السلمان».
- «نظرة النعيم، لمجموعة علماء».
- «نفح الطيب، للمقري».
- «النونية، لابن القيم بشرح هرأس».
- «هداية المسترشدين، للحارث المحاسبي».
- «الهدية الإسلامية».
- «الهمة العالية، لمحمد بن إبراهيم الحمد».
- «كتاب الورع، لابن أبي الدنيا».
- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمآن، لابن خلكان».



## فهرس



٣	■ مقدمة فضيلة العلامة محمد بن إسماعيل العمراني
٥	■ المقدمة
٧	■ تعريف الأخلاق
٩	■ الأخلاق بين الطبع والتطبع
١١	■ أهمية الأخلاق:
١٣	١ - أنها امثال لأمر الله - سبحانه وتعالى -
١٣	٢ - أنها طاعة لرسول الله ﷺ
١٣	٣ - أنها سبب لمحبة الله سبحانه وتعالى
١٣	٤ - أنها سبب لمحبة رسول الله ﷺ
١٤	٥ - أنها أعظم سبب لدخول الجنة بعد تقوى الله - تعالى -
١٤	٦ - أن كمال الدين - بعد التوحيد - في حسن الخلق
١٤	٧ - أنها أثقل شيء في الميزان
١٤	٨ - أنها عبادة عظيمة
١٥	٩ - حصول الخيرية
١٥	١٠ - أنها من خير أعمال العباد
١٥	١١ - أنها سبب لتعمير الديار، وزيادة الأعمار
١٦	١٢ - أنها من أعمال أهل الجنة
١٦	١٣ - أنها سبب في تأييد الله ونصره
١٩	■ أسباب اكتساب مكارم الأخلاق:
٢١	١ - الإخلاص
٢٣	٢ - العلم
٢٦	٣ - العقيدة الصحيحة
٣٢	٤ - النظر في كتاب الله - تعالى -

- ٥ - التَّاسِّي بِالنَّبِيِّ - ﷺ - ..... ٣٤
- ٦ - الدُّعَاءُ ..... ٣٧
- ٧ - الْعَمَلُ الصَّالِح ..... ٤٠
- ٨ - الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ ..... ٤٤
- ٩ - الْمَحَاسِبَةُ ..... ٥٣
- ١٠ - الْمَجَاهِدَةُ ..... ٥٧
- ١١ - الْإِسْتِفَادَةُ مِنَ الْآخَرِينَ ..... ٥٩
- ١٢ - عُلُوُّ الْهَمَّةِ ..... ٦٢
- ١٣ - النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ سُوءِ الْخُلُقِ ..... ٦٨
- صُورٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ: ..... ٧١
- ١ - الْحَيَاءُ ..... ٧٣
- ٢ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ..... ٨٤
- ٣ - صَلََةُ الرَّحِمِ ..... ٩٥
- ٤ - حَسَنُ الْجَوَارِ ..... ١٠٤
- ٥ - حَسَنُ السَّمْتِ ..... ١١٠
- ٦ - الْوَقَارُ ..... ١١٤
- ٧ - الرِّفْقُ ..... ١١٦
- ٨ - الرَّحْمَةُ ..... ١٢١
- ٩ - التَّوَاضُّعُ ..... ١٢٦
- ١٠ - الْحِلْمُ ..... ١٣٨
- ١١ - الْكَرَمُ ..... ١٥٧
- ١٢ - إِكْرَامُ الضَّيْفِ ..... ١٨٢
- أَدَبُ الضِّيَافَةِ ..... ١٩٣
- ١٣ - الْمُرُوءَةُ ..... ١٩٦
- ١٤ - الصَّبْرُ ..... ٢٠٢
- ١٥ - الْإِنْتِصَارُ ..... ٢٢٧

٢٣٥	١٦ - الْإِنْصَافُ
٢٤١	١٧ - الْمُدَارَاةُ
٢٤٦	١٨ - الصَّدْقُ
٢٥٠	١٩ - حُسْنُ الظَّنِّ
٢٥٣	٢٠ - تَجَنُّبُ الْغَضَبِ
٢٦١	٢١ - تَجَنُّبُ الْحَقْدِ
٢٦٦	٢٢ - تَجَنُّبُ الْحَسَدِ
٢٨٠	٢٣ - غَضُّ الْبَصَرِ
٢٨٣	٢٤ - الْغِيْرَةُ
٢٨٨	٢٥ - عَدَمُ الْإِنْشَغَالِ بِعُيُوبِ النَّاسِ
٢٩١	٢٦ - حِفْظُ اللِّسَانِ
٢٩٦	٢٧ - تَجَنُّبُ آفَاتِ اللِّسَانِ، وَمِنْهَا:
٢٩٦	( أ ) الْغِيْبَةُ
٣٠٦	( ب ) النَّمِيْمَةُ
٣١٤	( ج ) الْكَذْبُ
٣٢٠	( د ) اللَّعْنُ
٣٢٢	( هـ ) السُّخْرِيَّةُ
٣٢٤	( و ) الْبَدَاءَةُ وَالتَّفَحُّشُ فِي الْقَوْلِ
٣٢٨	( ز ) شَهَادَةُ الزُّورِ
٣٣٢	( ح ) إِفْشَاءُ الْأَسْرَارِ
٣٣٧	( ظ ) الْمَذْحُ الْمَذْمُومُ
٣٤٠	■ الْخَاتِمَةُ
٣٤١	■ الْمَرَّاجِعُ
٣٥٠	■ الْفَهْرَسُ





من إصداراتنا

للإمام محمد بن عبد الوهاب بن عثيمين

- فن الحوار .
- طريقنا للقلوب .
- ملك القلوب .
- تسهيل البلاغة .
- كيف تنال محبة الله .
- الخطاب البليغ في جماعة التبليغ .
- الصحيح من الأثر في خطب المنبر .
- حادي الصديق إلى بيت الله العتيق .
- الأخلاق بين الطبع والتطبع .
- المنتقى من الأحاديث القدسية .
- نزهة الأحباب شرح منظومة الآداب .
- تحفة الخطيب (أسول الخطابة - آدابها - صفات الخطيب) .
- رسالة إلى ولدي .. من تصاحب ؟ .
- صلاة المسلم فضائل وأحكام .
- تهذيب الآداب الشرعية .
- ظلمات الظلم .

التوزيع في القاهرة: الغريب للنشر والتوزيع خلف الجامع الأزهر

شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥٤١٩١٠٦٢١ / ٢٥١٢٠٢٠٢٠٢

داركم المتميزة



دار القلم

للتوزيع والتأليف

١٩١٧ شارع خليل الجليل - مسقط كامل - إسكندرية

ت: ٥٤١٩١٠٦٢١ - ٥٢٢٢٠٢

Email: dar\_aleman@hotmail.com

دار الأمان

للطباعة والنشر والتوزيع